عبد الرحمن الشبيلي

أعلام بلا إعلام

الجـزء الأول

الطبعة الأولـى

صفـر ١٤٢٨هـ - مارس ٢٠٠٧م

الريـاض

(ح) عبدالرحمن بن صالح الشبيلي : ١٤٢٧ هـ.

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الشبيلي ، عبدالرحمن بن صالح

أعلام بلا إعلام / عبدالرحمن بن صالح الشبيلي.-

الرياض ، ١٤٢٧هـ.

٤٠٠ ص، ١٧ X ٢٤ سم

ردمك : ٧ ـ ٥٤٥ ـ ٥٢ ـ ٩٩٦٠

١ ـ السعودية ـ تراجم　　　أ. العنوان

ديوي ٩٢٠,٠٥٣١　　　١٤٢٧/١٧٠٢

رقم الإيداع : ١٤٢٧/١٧٠٢

ردمك : ٧ ـ ٥٤٥ ـ ٥٢ ـ ٩٩٦٠

الطبعة الأولى

صفر ١٤٢٨هـ ـ مارس ٢٠٠٧م

الرياض

أعلامٌ بلا إعلام



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾

صدق الله العظيم

آل عمران ، الآية (٢٠٠)

ملأى السنابل تنحني بتواضع

والفارغات رؤوسهنّ شوامخ (*)

(*) لم يعثر المؤلف على قائله.

المحتويات

صفحة

مقدمة المؤلف(*)

لا أبلغ من أن يحترف الإنسان مهنة من المهن، أو يمارس فناً من الفنون، ثم يقف مع نفسه بعض الوقت لالتقاط الأنفاس، والتأمل في طريقه، ليرى إذا كان يسير في الاتجاه الصحيح، وليجري تقويماً شاملاً لمسيرته، وليعود إلى ما سجله غيره من الممارسين، وإلى ما كتبه المنظّرون من قبله، فيستفيد من آرائهم وخبراتهم.

تلكم هي نظرتي عند الحديث عن تجربة هي إلى الهواية أقرب من الاحتراف، إذ لم يسبق من قبلُ أن نظرت في تجربة الآخرين، أو فتشت عما سلكه الأسبقون، أو قرأت فيما كتبه أساتذة الأدب عن أصول هذا الفن وقواعده وتاريخه.

فالكتابة في السير والتراجم بشقيها: سير الذات وسير الغير، هي في الواقع، ميدان فسيح من ميادين الأدب، له أصوله وأنماطه، وقد كُتبت فيه دراسات وأطروحات، وعرفته الثقافة العربية منذ أمد

(*) كانت في الأساس محاضرة بعنوان: تجربتي في كتابة السيرة والترجمة، ألقاها المؤلف في مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية في الجوف مع افتتاح موسمها الثقافي (مساء الخميس ١٤٢٦/١٠/١٥هـ ـ ٢٠٠٥/١١/١٧م)، ونشرت في مجلة الجزيرة الثقافية، العددان (١٣٠ و ١٣١) بتاريخ ١٩ شوال ١٤٢٦هـ (٢٠٠٥/١١/٢١م) والأسبوع اللاحق له، ثم طوّرت لتصبح مقدمة لهذا الكتاب.

بعيد، حيث يزخر التراث بالمئات من الكتب التي سجلت سير الزعماء والمصلحين وطبقاتهم، وسبرت مكامن القوة في شخصياتهم .

وفي عصرنا الحديث، شاع مصطلح التراجم، وهو تعبير مولّد يطلق على السير الموجزة، ثم انتشر منذ عقود قليلة نمط السير الذاتية (بما فيه اليوميات والذكريات والاعترافات ونحوها)، وهو ما يحكي فيه المرء قصة حياته بأسلوب ضمير الغائب (الرواية) أو باستخدام ضمير المتكلم، وسواء أكتبه بقلمه أم أذن لغيره بالكتابة عنه.

يقول د. عبدالله الحيدري في كتابه المتميّز: السيرة الذاتية في الأدب السعودي (دار طويق، ١٤٢٤هـ) والذي كان في الأساس رسالة ماجستير، وعلّق عليه الشيخ حمد الجاسر: «والنوع الأول هو المعروف بالسير الغيرية، أو ما يعرف لدى الغرب بتعبير Biography، وهو البحث عن الحقيقة في حياة إنسان فذّ، والكشف عن مواهبه وأسرار عبقريته من ظروف حياته التي عاشها والأحداث التي واجهها في محيطه والأثر الذي خلفه في جيله، وإن النقد العربي قد استوعب التفرقة بين المصطلحين المركّبين، فأطلق تعبير Biography لسير الغير ومصطلح Autobiography للسير الذاتية التي يتحدث فيها الكاتب عن نفسه» أ. هـ.

ومع حداثة هذه التجربة في مجتمعنا، فإن المتتبع لما صدر من سير، من أمثال ما كتبه عزيز ضياء في سيرته الذاتية: حياتي مع الحب

والجوع والحرب، وحمد الجاسر في سوانحه، ود. غازي القصيبي في كتابه: حياة في الإدارة، وفي سيرته الشعرية، والأستاذ أبو عبدالرحمن ابن عقيل في تباريحه، والدكتور عبدالعزيز الخويطر في «وسم على أديم الزمن»، وإبراهيم الحسون في خواطره، وهي جميعها من نوع السير الذاتية، وليست تراجم للغير، فإنها - في ظني - قد بلغت من الجودة ما يضاهي ما تضمه المكتبات من نتاج عربي، وهي تتفوق بشكل ملحوظ على ما أنتجته المكتبة السعودية من كتب وتراجم للغير.

لم يكن لي قبل عام ١٤١٤هـ (١٩٩٤م) سابق خبرة في كتابة السير، لكنني أستذكر هنا خطوة مرحلية قديمة يعود تاريخها إلى عام ١٣٩٦هـ (١٩٧٦م)، وكانت بمثابة التمهيد لاهتماماتي التوثيقية في هذا المجال.

ففي أواخر سنوات عملي في وزارة الإعلام، جالت في خاطري فكرة تنشيط ذاكرة المشاهدين بتاريخ أبرز أعلام الوطن الذين قدموا خدمات جليلة في سبيل تأسيسه وتوحيده ونهضته، وقد قمت، من ثمّ، بتسجيل حلقات تلفزيونية توثيقية مع بعضهم، تتحدث عن مراحل حياتهم، وعن شهاداتهم الشفوية حول الأحداث التي عاشوها أو شاركوا فيها.

كان من تلك المقابلات - ما عرض في حينه وما لم يعرض - ما حوى مادة ثرية معمقة، فعملت منذ وفاة الشيخ محمد بن جبير عام ١٤٢١هـ (٢٠٠٣م) على تحويل تلك التسجيلات إلى سلسلة كتب توثيقية

شملت حتى الآن الشيخ حمد الجاسر والأمير مساعد بن عبدالرحمن، بالإضافة إلى الأمير خالد السديري (تحت الطبع)، وكانت الحوارات التلفزيونية تمثل المتون الرئيسية لتلك الكتب، ثم أضفت إليها قراءات من بعض عارفيهم، وصوراً وهوامش تتضمن تراجم موجزة للتعريف بالشخصيات الأخرى التي عرض لها كل حوار، حتى إن كتاب الأمير مساعد بن عبدالرحمن حمل أربعين تعريفاً بآخرين، ورد ذكرهم في ثنايا المقابلة الأساسية التي كنت أجريتها معه قبل ثلاثين عاماً.

لكنني قبل أن أقرر تحويل هذه الحلقات التسجيلية القديمة إلى كتب، بدءاً بكتاب الشيخ ابن جبير، كنت مررت بالتجربة الأثرى والأكثر تميّزاً حتى الآن:

فلقد كنت منذ عام ١٤٠٧هـ (١٩٨٧م) أرسم في الذهن - كما يفعل المعماريون - تصوّراً لكتاب يوثق سيرة أحد أقاربي ممن اتفق المجتمع على تقدير أعماله وخدماته، وكنت أبحث عن متعهد ينفذ الرسومات والتصاميم، ويحيل الفكرة إلى واقع، أو كما يتمنى إنسان تحوك في خاطره مشاعر، أن يتحول إلى شاعر يصوغ أفكاره في قصيدة معبرة.

وبعد طول انتظار جرت خلاله محاولات - من قبل آخرين - لتنفيذ الفكرة، كان على المصمم نفسه أن يتحول إلى مقاول، وأن يقوم بتنفيذ أفكاره بنفسه، فإذا بالكتاب يرى النور في شوال عام ١٤١٤هـ (١٩٩٤م)،

كتاب من (٥٠٠ صفحة)، يتحدث عن سيرة طيب الذكر، السفير محمد الحمد الشبيلي، ويلقى من الحفاوة ما لم يحلم به مؤلفه.

أما التجربة الثالثة، من تجارب كتابة السير والتراجم، فقد مررت بها بين عامي ١٤١٧هـ و ١٤٢٠هـ (١٩٩٧ ـ ٢٠٠٠م)، حينما كنت أعكف على تأليف كتابي التوثيقي عن تاريخ الإعلام السعودي، الصادر عام ١٤٢١هـ، وقد أسفر البحث عن التطرق إلى عشرات من رجال الثقافة والإعلام في المجتمع السعودي، مما شجع على كتابة مقالات عن كل شخصية على حدة، نُشرت مجّزأةً في جريدة الجزيرة، ثم مجتمعةً في كتاب (إعلام وأعلام)، الصادر بمناسبة الذكرى المئوية لتأسيس المملكة ١٤١٩هـ (١٩٩٩م).

إن ما تتسم به هذه التجارب، على اختلاف موضوعاتها من حيث الإطالة والعمق، هو تجنب الإغراق في تفاصيل الحوادث، وسهولة اللغة والتراكيب وبساطة الأسلوب، مع الانعتاق من التشدد في شروط البحث الأكاديمي وقيوده، ذلك أن معظم تلك السير والتراجم قد أعدت أساساً للنشر الصحفي، وكانت موجهة إلى جمهور المثقفين والمتخصصين وإلى السواد الأعظم من القراء على حدٍ سواء .

ثم دخلت في تجربة رابعة من نوع أكثر عمقاً في مجال كتابة التراجم الموجزة، عندما التزمت لجريدة عكاظ في مطلع شهر شعبان

عام ١٤٢٤هـ (سبتمبر ٢٠٠٣م) ـ تحت عنوان: تحية وبعد ـ بكتابة سلسلة مقالات عن شخصيات تتفادى الأضواء وتعزف عن الظهور، مع أنها بلغت مكانة عالية ـ علمية أو عملية ـ في المجتمع، وقدمت جهوداً مشكورة في خدمة الوطن، وقد أفاد نشر تلك المقالات سلفاً في الصحافة في تلقي بعض التعليقات والتصويبات عليها، ومع الأيام صارت تلك الحلقات أكثر تفصيلاً وطولاً، وأصبحت تشمل شخصيات قديمة ومعاصرة، كما توسَّع نشرها صحفياً ليشمل جريدتي الحياة والشرق الأوسط ومجلتي الشورى والمجلة، وهي الحلقات التي تضمنها ـ بعد جمعها ـ كتابي هذا بعنوان: **أعلام بلا إعلام**.

لقد شجعت الحفاوة التي استُقبلت بها تلك السلسلة من المقالات عند نشرها في الصحف، على جمعها وإضافة ما جدّ عليها، وروعي في تسلسل وضع كل مقال تاريخ نشره في المطبوعات الصحفية، كما هو مدوّن في هامش عنوانه في هذا الكتاب.

لم تخل تلك التجارب من فوائد واستنتاجات، تعرض الوقفات الآتية لأبرزها مع التركيز على كتاب السفير الشبيلي نموذجاً لتلك السير والتراجم :

الوقفة الأولى: كانت شخصية ذلك الكتاب أحد السفراء السعوديين، المشهود لهم بالشمائل الكريمة، خدم بلاده ومواطنيه سفيراً في خمس

دول، وأمضى نحواً من ستة عقود في الوظيفة العامة، مكرساً وقته وجهوده وإمكاناته في إسعاد غيره، وصون سمعة وطنه، وعُرضت عليه الوزارة فاعتذر، فكان احتفاء المجتمع بصدور الكتاب بمستوى منزلة الرجل، لدرجة غفرت كون مؤلفه أحد الأقربين.

فأهمية الشخصية التي يُكتب عنها، والتوافق في شهادة الناس على منزلته فيما تميز به، تكون دون شك، العامل الأول في نجاح المؤلَّف، والإقبال على اقتنائه والحفاوة به، ومفتاح تعليقات وسائل الإعلام عليه.

الوقفة الثانية: كان الكتاب في مسوداته المبكرة يضم ثلاثة فصول، وكانت صياغته تتسم بالعمومية، ومعلوماته غير مكتملة التوثيق، ولكن ما أن انفتحت أمام المؤلف خزينة الأوراق الخاصة، وألبومات الصور التي كانت تزخر بها غرفة المقتنيات الشخصية للسفير الشبيلي، حتى تغيّرت صورة الكتاب، وتحول حجمه من فصول ثلاثة إلى ثمانية، وزادت الصور إلى عشرة أضعاف، وحظي بالكثير من الأسانيد والوثائق الخاصة، وصارت المعلومة تدل على المعلومة، والصورة توحي بالفكرة، والوثيقة تقود إلى مصادر المعلومات، وقد أثبتت تلك التجربة أن البحث عن القرائن والدلائل والتواريخ غاية تستحق شد الرحال، مهما كانت القيمة أو كان التأخير.

وكان بين ما تم العثور عليه، شواهد وإثباتات أصيلة للعديد من القصص والروايات التي وردت على ألسنة رواتها، ومن الطبيعي، أن يشكّل العثور على صورة تخدم موضوعها، وتوضع في مكانها المناسب في الكتاب، سعادة لا توصف لأي مؤلف، وأن ترد قصة في ثنايا الروايات وقد مضى على حدوثها نصف قرن، ثم يجد الباحث بين أوراق شخصية الكتاب ما يؤكد تفاصيل الواقعة ورموزها وتواريخها، وأن تحتل صورة مكاناً بارزاً في إخراج الكتاب، ثم يجد مؤلفه، والكتاب ماثل للطبع، من يعرّف باسم صاحبها، فهي مواقف تمثل متعة في عالم مؤلف السير والتراجم لا يقدر مدى الإحساس بها إلا من مرّ بها أو جرّبها، بل إن استذكارها، مع مضي الزمن، لا يقل نشوة وإسعاداً عن تذكر مطاردة قنص عاشها هواته.

الوقفة الثالثة: تتصل بضرورة إلمام المؤلف بخلفية الموضوع، وبالمعلومات التاريخية المتعلقة به، وبالشخصيات الواردة فيه، إذ لا أتخيل مؤلفاً يمكنه أن يكتب عن شخصية لا يعرف عنها إلا القليل، فضلاً عن أن يكون قد تأثر بها أو تشبّع بمعرفتها أو تفاعل معها من قبل، وإن من نافلة القول: إن أفضل أنواع الكتابة وأكثرها بلاغة هو ما يصدر عن عاطفة، مهما بلغ احتراف المؤلف وقدرته على الصياغة والتعبير.

وما من شك في أن القراءة المكثفة في الموضوع الذي يراد التأليف

فيه، وزيارة المواقع التي سيتم التطرق إليها، والالتقاء مراراً مع الشخصية التي سيكتب عنها ومع معارفه، هي بعض الوسائل التي تعزز من قدرة الكاتب على استيعاب موضوعه وإجادة الكتابة فيه.

الوقفة الرابعة: وتتحدث عن مرحلة يمكن تسميتها: مرحلة التدقيق والمقارنة، إذ لابد لكل مؤلِّف في موضوع ذي صلة بالتاريخ، ألا يأخذ مأخذ التسليم كل ما يقع عليه ناظراه من معلومات دون أن يعرضها للتحقيق والمقارنة، فضلاً عن ضرورة أن يراجع مسوداته ويقارن بين تواريخ تخص واقعة بعينها وردت في مواضع مختلفة من كتابه، حتى لا يحصل تنافر في الكتاب نفسه.

إن المعلومات الخطأ التي ترد في بعض الكتب، لا تشوّه الكتاب نفسه بقدر ما تربك الكتب والأبحاث التي تبنى عليه، وما لم يقم الناقل بالتثبت من كل معلومة ينقلها، فإن الخطأ قد يتراكم، ويصبح جرثومة أو (فيروساً) يلوّث جميع ما يصدر بعده من كتب أو نقولات .

ومن اللافت للنظر، أن هناك العديد من السير والتراجم التي صدرت في المملكة، وهي تمتلئ بالمعلومات الجديدة والموضوعات الأصيلة الجيدة، لكنها لا تُسند بتواريخ أحداثها، ولا تختم بالفهارس والكشافات التي تساعد الباحث والقارئ على تحديد مواضع المعلومات عند العودة إليها، وفي ظني، أن توثيق التواريخ وتكشيف المعلومات، هما أهم عناصر

الكتابة التاريخية، ويمثلان عصب التأليف في مجال السير والتراجم، ودليلاً على تمكّن الكاتب ومثابرته وجدّيته في البحث والتنقيب.

الوقفة الخامسة: وتتناول مرحلة النقد والتقويم، وهي مرحلة لا يوليها بعض المؤلفين المستعجلين ما تستحقه من اهتمام، مع أنها يمكن أن تكشف لهم عيوباً لا يكون في مقدور المؤلف أن يكتشفها بمفرده، وقد قيل فيما مضى: إن المؤلف يقرأ نفسه، وبالتالي فقد يمر عليه الخطأ المطبعي وغيره دون أن يلحظه.

ولعل أفضل طريقة لنقد الكتاب وتقويمه قبل طبعته النهائية أن يعقد المؤلف ندوة للمتخصصين في موضوعه، أو لمجموعة من النقاد المحتملين، لمعرفة آرائهم في مسوداته الأخيرة، فقد تكفل هذه الخطوة تخفيف الملحوظات التي تبدى على الكتاب فيما بعد، وهنا ينبغي على المؤلف ألا يتأفف من أي رأي، ولا يتذمر من التأخير، أو من كثرة التعديلات وإعادة الصياغة، فالتصويبات التي ترد إليه قبل الطبع تفضُل بمراحل ما يتلقاه بعده، وخير له أن يتلمس عيوب كتابه قبل الصدور من أن يُلفت نظره إليها بعد فوات الأوان، وعندما يحظى المؤلف بمساعدة من محترف في التصحيح والمراجعة والصياغة، أو عندما يكون هو نفسه مؤهلاً لذلك، فإنها قمة الحظ في عالم الكتابة والتأليف، وإن ما يقضيه المؤلف من جهد ووقت في هذه المرحلة خير

وسيلة لإتقان العمل وتحري كماله وضمان تميّزه، ودليلٌ على احتراف المؤلف وثقته بنفسه.

إن كل ما أصدرته حتى الآن من كتب في مجال الإعلام أو في مجال السير، قد استغرق ما بين عشر إلى خمس عشرة تجربة (بروفة) طباعية، مارست فيها أقصى درجات المراجعة والتمحيص الممكنة، ومع ذلك فلم يخل واحد منها من الأخطاء بأنواعها.

الوقفة السادسة: هل يمكن الحكم على ما يكتبه كاتب السير والتراجم بالموضوعية والحيدة ؟ أو بعبارة أخرى: هل تتوافر شروط النزاهة في كل ما يكتبه مؤلفو التراجم ؟

إن من الصعب على أي كاتب سيرة المحافظة على ذلك، خاصة إذا ما كان اختياره للأشخاص مبنياً على الإعجاب المسبق بهم، فالكتابة في السير تظل بَوْحاً عن الذات أو تعبيراً عن الآخرين، رغم ما قد يلتزم به الكاتب من اعتدال في الطرح، وتجنب في مبالغات الثناء والألقاب، وأضيف: إنه ما لم تعرض كتابات السير على المعايير العلمية وتطبق عليها، فإن من غير المحتمل أن يحافظ كتّاب السير على موضوعيتهم وحيدتهم في كتابات أعدت للأغراض الإعلامية، أو لاستكشاف جوانب التميز في الأشخاص.

السؤال الثاني الذي يُطرح في هذا المقام، هو عن مدى تطابق المعلومات التي ترد في تلك السير مع واقع حياة الشخصيات التي تكتب عنها، خاصة أن الكثيرين قد لا يعرفون محتوى تلك الكتابات قبل نشرها، وهو ما يتم في الغالب مع معظم ما كتبت، ولعل في استشارة المحيطين بالشخصيات المترجم لها ما يكفل دقة المعلومات الواردة فيها، وضمان صحة ما ورد عنها من معلومات.

الوقفة السابعة: وتتصل - باختصار - بإشكالية ما يواجهه بعض كتب السير والتراجم في بلادنا خاصة، من بعض الحساسيات الاجتماعية، نتيجة إيراد كلمات أو معلومات أو قصص قد تثير النعرات القبلية والإقليمية، وربما يلحق بها مسألة الدخول في قضية الأعمار وأمثالها، وهي أمور يحتاج التطرق إليها كثيراً من الحذر والحيطة، فلقد تسببت إثارة مثل هذه الموضوعات في إيقاف العديد من مؤلفات السير والتراجم حتى بعد فسحها وتداولها.

الوقفة الثامنة: إن من عوامل التشويق في مثل هذه الكتابات، هو التوسع فيما يمكن تسميته عنصر «الشخصنة»، وهو الغوص في أعماق الشخصية، والتطرق في السياق نفسه إلى أسماء شخصيات أخرى ذات علاقة بالشخصية الرئيسية.

لقد سبق الإخوة من كتاب الحجاز ومصر، قديمهم وحديثهم، إلى

الأخذ بهذا العنصر والاهتمام به، حتى لا تكاد مقالة أو كتاب سيرة تخلو من الحديث عن مأكل الإنسان، وعن رفاقه، وعن اهتماماته الأسرية، وعن الإتيان بأسماء من حوله من أقاربه، مع رفع الكلفة عند الكتابة عن الدواخل النفسية والإنسانية، فمتى ما توافر عنصر «الشخصنة»، وهو أمر أساسي في كتابة السير، ضمن عوامل الظُرف والتشويق وسهولة العبارة والإيجاز، فإنه ـ في ظني ـ مدعاة لإمتاع القارئ وجذبه وارتياحه .

أما بالنسبة للتراجم الواردة في هذا الكتاب، فإنها في الواقع، خلاصة تجربة متواضعة امتدت اثني عشر عاماً، من الانشغال في فن لم يكن لكاتبها سابق خبرة فيه أو تخصص، ومن الطبيعي أن تكون عرضة للنقد، خاصة إذا ما عرف أن تلك التراجم ـ على تباين أصنافها ـ قد التزمت منهجاً مبسطاً في الأسلوب، يتحرر من وثاق البحث العلمي المتشدد .

لقد حاولت تلك السير والتراجم التركيز على الجوانب الطريفة والمشوّقة، وربما المجهولة من حياة شخصياتها، وروعي في انتقاء الأسماء أن تكون لها مكانة شعبية في المجتمع أو ذات ماض مؤثر وناجح، وبالتالي، تجتذب القارئ وتغريه على الاستزادة من المعلومات الإنسانية عنها .

ولاشك في أن تلك الأسماء المختارة، القديمة منها والمعاصرة، ليست سوى عينة محدودة لقائمة طويلة من الشخصيات التي تجتمع فيها

السمات نفسها في سائر أنحاء الوطن، لكن الأمل أن يكون هذا الكتاب نواة لغيره يتابعه المؤلف أو آخرون من الكتّاب والمؤلفين فيما بعد، خاصة أن هناك توجّهاً متزايداً في الساحة الثقافية للكتابة في مجال التراجم والسير، على أنه لابد من التأكيد مرة أخرى على أن هذه المقالات، وإن كانت تشبه إلى حد ما في نهجها كتابة السير، إلا أنها ـ دون شك ـ لا ترقى إلى منزلة التراجم الكاملة لأصحابها.

ومع تواضع هذه التجربة القصيرة التي عرضت لها، والتأكيد على أنها لا تتعدى الهواية ولا تدخلني بين المؤرخين، فلقد اتخذت المحاولات التي قمت بها للكتابة في السير قوالب فنية مختلفة، لكنها ـ بأي حال من الأحوال ـ لم تأخذ الشكل التقليدي لكتابة السير، التي تبدأ عادة بمكان الولادة وتاريخها ثم بسرد المراحل العلمية والعملية وعدد الذرية إلى آخر هذه المعلومات الشخصية، بل نحت منحىً متحرراً يركز في بدايته على أبرز ملامح الشخص أو خصاله وما هو معروف أو مجهول عنه، وغالباً ما توضع المعلومات (البيوغرافية) في نهاية المقال أو البحث، وهناك سيرُ أخذت نمط استعراض عمل فكري قام به، وذلك مثلما حصل عند استعراض سيرة خليل الرواف وإبراهيم الحسون، وعلى كل حال، فإنه عندما يأتي الأمر إلى تقويم منهج الكتابة ونقد أسلوبها فهو شأن ينبغي أن يصدر الحكم عليه من غير كاتبها.

سيلاحظ القارئ الكريم أن بعض مقالات الكتاب قد أُعدت للنشر في صحف تصدر في الخارج، مستخدمة التاريخ الميلادي فقط، بينما أُعد بعضها الآخر للنشر في الداخل، مستخدمة التاريخين، الهجري والميلادي، فبقي كل منهما على حاله دون تغيير في التواريخ، بل وفي المضمون.

وإن المؤلف ليتقدم إلى كل من أسهم في إعدادها، سواء قبل النشر الأول أو بعده، ولكل من أمده بالصور أو بالملحوظات بخالص الامتنان والتقدير، خاصاً في هذا الشأن الأستاذ عبدالله بن محمد الناصر (من مكتبة الملك فهد الوطنية)، مع شكر خاص لأخي الشيخ عبدالعزيز السالم، وأخي الأستاذ إبراهيم بن عبدالرحمن التركي، ولأخي الأستاذ منصور بن عبدالله أبالخيل اللذين تفضلوا بالاطلاع على مشروع الكتاب، وأبدوا تصويبات وجيهة عليه.

وإذا كانت فكرة هذا الكتاب ومقالاته قد انطلقت من إبراز عينة من شخصيات في المجتمع السعودي، ظلت بعيدة عن دائرة الأضواء، وعازفة عن بريقها ووهجها، فإن كاتب التقديم الأخ د. عبدالعزيز بن عبدالله الخويطر، هو شخصية لا تختلف بالأسلوب والتواضع والعمق، عن شخصيات الكتاب، بل لعله الأنموذج الأوضح لها، ومن هنا جاء اختياره، ليتوّج الكتاب بقلمه، فله كل الشكر على تجاوبه، وعلى ما أهداه للمؤلف من أفكار.

المؤلف

الرياض

١٤٢٧/١٠/٠١هـ - ٢٠٠٦/١٠/٢٣م



تقديم

بقلم الدكتور

عبدالعزيز بن عبدالله الخويطر

لا أكاد أَكُفُّ عن حثّ أصدقائي على جمع ما يكتبونه في الصحف في كتاب يضم شمل مقالاتهم وأُعدِّد الأسباب التي أقنعتني بصحة هذا الاتجاه، وسلامة نتائجه، والخسارة الواضحة في عدم الإقدام على هذه الخطوة، وكان من جملة ما أقدمه بين يديْ حثّي هذا أن للصحف قراءً وللكتب قراءً، ومن يعجبه مقال استدعى الأمر في وقت لاحق أن يعود إليه فمن السهل عليه أن يجده في كتاب عنده على رف مكتبته، والكتاب الذي يحوي مقالات شتى في مواضيع متجانسة أو متقاربة يصبح مرجعاً علمياً يأخذ مكانه بين مراجع الأصل، ويصبح بغية الباحث وعضده.

ومن بين الذين آمنوا مثلي بهذه الفكرة أخي وصديقي الأستاذ الدكتور عبدالرحمن بن صالح الشبيلي، الذي وجد الفائدة الكبرى من هذا الاتجاه، والرأي الصائب، بعد أن عمل على إخراج كتاب عن حياة شخص حبيب علينا، عزيز عند كثير من الناس: أبو سليمان

محمد الحمد الشبيلي، ونعم الوسيلة لتبنّي فكرة، ونعم المقنع للسير في خط لابد أن تحمد عقباه، ويُرحَّب بما ينتج منه وفيه.

الدكتور عبدالرحمن من الذين لا يملّون التأمّل في طرّق أبواب شيّقة، ولا يتوقفون عن التفكير في شيء جديد يكون مبنياً على منهج منتظم، وخطط متقنة، فهو في كتابه الذي بين أيدينا: «أعلام بلا إعلام» يحدّد سمة محتوى الكتاب، فيتحدث عن أناس بارزين في عملهم، منتجين إنتاجاً وافياً شافياً في الأمور التي وكلت إليهم، أو اتخذوها نهجاً لعملهم وحياتهم، وابتعدوا عن الضجيج، ولم يفكروا في الإعلان عن أنفسهم، ولا عمّا فعلوه، ولا عمّا أنجزوه، وكانوا، ما استطاعوا، يبتعدون عن الإعلام، ويتحاشون الضجيج وصخب التحدث عن الذات، رغم أن هناك من كان يلهث خلف بعضهم ليقتطف شيئاً من فكرهم، أو عقيدتهم في العمل، أو إلقاء ضوء على ما يعرف الناس من فتات يفرّ من الوأد، ويختبئ خلف ستر التواضع الذي كان لازماً لبعضهم، وهو تواضع يزيد من جاذبية الحرص على الخروج بشيء أقل من القليل، وهو في أعين الناس كثير لما يحويه من منهج مبدع، وسير منفرد.

ومجرد تفكير الدكتور عبدالرحمن في هذا النهج دليل على نضج في الفكر، وسلامة في الاتجاه، وانفراد في النهج. ثم يلي هذا حُسن اختيار الأشخاص ليدخلوا بإتقان في الإطار المرسوم سابقاً، ولم يقف

الدكتور عبدالرحمن عند رسم هذا الإطار وحشوه دون أن يكون وراء كل خطوة فكر عميق يجعل ما جاء في النهاية محل إعجاب.

فالدكتور عبدالرحمن تلمّس أعلامه من أحياء وأموات، وفي كلا الحالين أخذهم من مهن مختلفة، ومن ثقافات متعددة، ومن مناطق متباينة، ومن أزمنة بعضها متصل وبعضها منفصل، وكانت أعمال «أعلامه» الجاذب فيها مشاركتها بطريقة ما بالمساهمة في تثبيت الكيان مع من منهم في قمة المسؤولية، سواء كان هذا فكرياً بالكتابة والتأليف، أو بالقيام بعمل رسمي، أو عمل تجاري، أو غير ذلك من المجالات التي كان للمساهمة بالعمل بها بإخلاص دفع لعجلة التقدم في الوطن، في المجالات المختلفة.

إن في تدوين حياة هؤلاء الأعلام تسجيلاً لتاريخنا، ونحن في حاجة إلى رسم جوانبه من جميع النواحي، إن في ذلك الحديث عن هؤلاء الأعلام بالطريقة التي اختارها الدكتور عبدالرحمن توضيح صور لا يمكن أن تُتصور أو تُعرف إلا عن طريق مثل هذا العرض المتقن، والمبني على بحث مستفيض، وتحقيق دقيق، وتحرٍّ للحقائق في صورتها الموثقة، وبجانب فائدة هذا النهج، واختيار هذا الأسلوب، هناك تحرٍّ للجاذبية، وإبعاد للملل، وهذا واضح من الاختصار في بعض المواد، والإسهاب في مواد أخرى، وهي مَقْدرة لا يتقن السير فيها إلا من عرف أنفُسَ الناس،

وجعلته التجارب يختار نهجاً محموداً مثل هذا.

لو لم يكن المجال هنا كتابة «مقدمة» لجاء الحديث عن الكتاب صفحات وصفحات، فكل موضوع عن عَلَم من هذه «الأعلام» له منّا، أهل هذا الجيل، ما يجعلنا، وفاءً له، نُحلل ونُعدِّد ونُمثّل، ونذهب خلف الأسطر لنرى ما هناك من إشعاع حجم الكتابة أوجب على كاتب «الأعلام» أن يختصر فيما كان بإمكانه أن يسهب ويطيل، ويُمتّع روحه بأنه أدّى ما يبهجه أن يؤديه، ولكن طبيعة المقالات في الصحف تحتم عليه الاقتصار على المساحات المخصصة لمثل هذا الفن من الكتابة.

لا أشك في أن الدكتور عبدالرحمن وقد حمد هذا الطريق، وحمدناه معه، سوف يستمر في تلمس «الأعلام» الذين لم يلمسهم في هذه المقالات، وأن نرى منه ما يجعلنا نطمئن إلى أن جانباً مهمّاً من التاريخ وجانباً مهماً من الوفاء قد وُفّي حقه. وشكراً للدكتور عبدالرحمن بأن تكفّل في هذا الجانب الذي كان لابد أن يتبناه أحد من الكُتّاب القادرين، وتهنئة له على هذا، وتهنئة لنا، نحن القرّاء، على هذه الهديّة القيّمة، وفّق الله المؤلّف، وجزاه خير الجزاء على ما قدّم.

عبدالعزيز بن عبدالله الخويطر

٣٠/٠٨/١٤٢٧هـ (٢٣/٠٩/٢٠٠٦م)

(١)

محمد بن عبد الله النويصر

عكاظ: الإثنين ٣ شعبان ١٤٢٤هـ ، الموافق (٢٩ سبتمبر ٢٠٠٣م)، العدد (١٣٥٤٧).



تربطني صلة بعيدة بمعالي الشيخ محمد النويصر، لكن العام والعامين يمضيان دون التوقف لإلقاء التحية عليه، وربما، لم يكن لهذه الكلمات أن تظهر لولا مناسبة هذه الرسائل التي تتوجّه إلى بعض المتوارين عن الأضواء.

هذا الإنسان العامل بصمت، الذي لا يهزه الإطراء، ولا يأبه بموقعه في أدوات الدعاية والإعلام، حقق التوازن في نهجه، والقسط والاعتدال في التدبير والتصرف الشخصي، وحظي باحترام رؤسائه وزملائه ومرؤوسيه، وصار مدرسة في الصمت والهدوء وملامسة قلم الرصاص على المعاملات، وأصبح الرقم المهم طيلة عقود خمسة.

يبكر في الحضور، ويتأخر في الانصراف، واهباً نفسه ووقته لواجبات وظيفته، ممتنعاً عن الشكليات الاجتماعية ليكون رهن عمله، وتعامل مع مسؤولياته بوسطية وعقل راجح كبير.

عرفته لأول مرة، في اليوم الأول لتولّي الملك فيصل مقاليد الحكم قبل أربعين عاماً (١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٤م)، فوجدته الملازم الأمين الذي يصمد أمام الصروف والظروف، السهل منها والعسير، الحلو منها والمرّ، وكأنّي به، وهو المغبوط الأكثر على الوجاهة والحظوة، كان الغارق

في بحر لجيٍّ من الضغوط والإحراجات والوساطات التي قد تجعل مثله يدني المهدّئات من كرسيّه وسرير نومه، ثم إن هناك العديد من الجوانب الخيرة في سيرته، لكن المقام هنا ليس مقام تزكية أو شهادة، فهو قد تجاوزهما من ناحية، فضلاً عن أن هذه المسائل أمانات عند الله، لكن الحديث في هذه الزاوية ينحصر في جزئيتين:

❖ **الأولى**: أنه من فئة من العقلاء، الذين حافظوا على سمتهم وصمتهم ولم يعرضوا أنفسهم للبروز، ولم يتخذوا منصّات للوجاهات الاجتماعية، وهي أمور يندر وجودها بين المسؤولين، ويصعب عليهم أن يقاوموها ويثابروا على النأي بأنفسهم عنها.

فهو، مع كل ما يتمتع به من جاذبية موضوعية ووظيفية، لم يتحفز يوماً لمقابلة إعلامية، تظن فئات كثيرة أن الأهمية تمر عبر بوابة نجوميتها.

❖ **الثانية**: أنه من مدرسة متميزة في الإدارة، جمع فيها بين التقليدية والتحديث وبين الكلاسيكية والتطوير، حافظ فيها على أساليب متوارثة، واحتفى بكل تقنية حديثة، واتسع فكره للجديد، تآخى عنده الشيوخ والشباب، واحتضن التطويريين، وأفسح المجال للطاقات المبدعة كي يتواءم الديوان الملكي مع كل مستجدات العصرية، وأوجد جيلاً خلاّقاً منسجماً من الطاقات والكفايات المؤهلة.

الشيخ محمد بن عبدالله بن صالح النويصر (أبو عبدالرحمن) الذي يقترب عمره الوظيفي من إكمال ستة عقود، - هو من أسرة النويصر المعروفة في مدينة الخَبْراء بالقصيم - كان قد ولد في مكة المكرمة في حدود عام ١٣٤٤هـ (١٩٢٥م)، وقد درس في مدرسة الفلاح فيها، وتخرج منها في حدود عام ١٣٥٣هـ، ثم التحق بأول عمل له في وزارة المالية (أيام كان الشيخ عبدالله السليمان وزيرها)، ثم أوفد إلى حائل مع اللنجاوي لتنظيم شؤون المالية فيها، وقد استبقاه الأمير عبدالعزيز بن مساعد عدة سنوات، تزوج الشيخ النويصر خلالها بوالدة أبنائه الكبار، ثم التحق بديوان الملك في الحجاز، وسكرتيراً مع الشيخ إبراهيم السليمان العقيل، وهو ما مكّنه من مرافقة مكتب الأمير (الملك) فيصل في رحلاته، التي ربما كان أقدمها رحلته إلى سان فرانسيسكو عام ١٣٦٤هـ (١٩٤٤م) للتوقيع على ميثاق الأمم المتحدة، وهي الفترة التي بدأت معها صلته بالملك فيصل تتوثق وتتدرج حتى صار بعدها رئيساً لديوانه الملكي.

وللشيخ محمد عشرة من الأبناء وعشر من البنات، يغمرهم بحنانه ويقف على رعايتهم، ويخصهم بنصيب من وقت يكرّس جلّه على شؤون مكتبه في الديوان الملكي والذي لا يكاد يُبقي له وقتاً للراحة والصلاة ومداعبة الأطفال.

لقد ترجّل الشيخ النويصر عن صهوة الوظيفة العامة في يوم السبت ١٤٢٦/٩/٥هـ (٢٠٠٥م) بعد أن سجل أطول فترة قضاها رئيس سابق في منصبه رئيساً للديوان الملكي، (٤٢ عاماً)، ولعله سجل أيضاً أطول فترة قضاها موظف في الوظيفة العامة (نحو ثمانية وستين عاماً).

إنها خواطر صادقة، استوجبت طبيعة هذه السلسلة الجديدة الإفصاح عنها، مختومة بالدعاء له بعمر مديد وحياة هنيئة، وعسى أن يكون للتاريخ نصيب من قلمه بما تسمح الظروف له بتسجيله وقوله.

(٢)

عبد المحسن بن حمد المنقور

عكاظ: الإثنين ١٠ شعبان ١٤٢٤هـ ، الموافق (٦ أكتوبر ٢٠٠٣م)، العدد (١٣٥٥٤).



والحديث يتصل، عن هؤلاء الأعلام، الذين أسهموا، ومازالوا، في بناء النهضة الاجتماعية والثقافية والإدارية، لكنهم يتوارَونْ عن الأضواء، لا زهداً فيها فحسب، ولكن اقتناعاً، بأن الطريق الأبلغ والأكثر أصالة وصدقاً إلى خدمة الوطن، هو في التواضع ونكران الذات، وتجنّب المنّة وانتظار المقابل والمردود.

تتحدث هذه الحلقة، عن رمز وطني آخر، ينحدر من أسرة علم وكرم وفضل، بلغ تجرّدها أنك لا تدري إن كانت من هذه المنطقة «سدير» أو تلك «الاحساء»، إذ لم تسع إلى تكريس المنشأ والمحتد والأصل، بل اهتمت بخدمة الإنسان ومصلحة الوطن والمجتمع بعامة.

الكل يتذكر ذلك التربوي الطيب الذي يذوب خجلاً وتواضعاً، ويعتذر لوطنه لأنه لم يقدم ما له عليه، وهو الأستاذ عبدالمحسن بن حمد المنقور، الذي خبرناه سفيراً «غير متوّج» عندما كان ملحقاً ثقافياً في لبنان «١٣٧٧هـ إلى ١٣٩٤هـ»، ثم أصبح وكيلاً للحرس الوطني في المنطقةالشرقية «١٣٩٤هـ إلى ١٤٠٤هـ»، واختار مدينة الدمام مقراً لاقامته الدائمة بعد تقاعده، لتضيف إلى وداعته رقّة، وينثر مزيداً من المودّة بين أرجائها، ولقد كان في كل موقع تبوأه، وفي كل مدينة مرّ بها أو أقام، ذلك الكريم، الذي يغمر زائره بحفاوة لا تنقطع، وبسخاء

لا يقارن أو يوصف، وهو الأبيّ الذي لا يعطي الفرصة لمحبيه أن يبادلوه الحفاوة، مقلّلاً باستمرار من كل ما يقدمه نحوهم.

الشيخ المنقور، ولد في حوطة سدير في منتصف الأربعينيات الهجرية، (العشرينيات الميلادية)، وتلقى تعليمه الابتدائي في مدرسة الهفوف الأميرية، ثم انخرط في سلك التعليم، مدرساً في المدرسة ذاتها، ورافق الشيخ حسن بن عبدالله آل الشيخ، والشيخ عبدالوهاب عبدالواسع، في مسيرة التعليم الصاعدة «كمّاً وكيفاً» التي رعياها، وسقيا غراسها في تلك الفترة «١٣٨٠هـ - ١٣٩٥هـ»، وله من البنات واحدة (شعاع)، ومن الأبناء ثلاثة هم: حمد وعادل ونزار.

وأسرة المنقور كما ذكرت، خرَّجت عدداً من المربّين الأفاضل، من بينهم أخوه الأصغر السفير ناصر المنقور، (انظر ص ١٨٣)، الذي لا تنسى جامعة الملك سعود إسهامه في تأسيسها، وابن عمهما الأستاذ عبدالعزيز بن محمد المنقور، الذي يذكره المبتعثون «من جيلي» إلى أمريكا، حيث كان ملحقاً تعليمياً متألقاً هناك.

وإذا ذكرت أسرة المنقور وعلماؤها فإن أول من يقفز إلى الذهن منها هو المؤرخ الشيخ أحمد بن محمد المنقور، المتوفّى في حوطة سدير عام ١١٢٥هـ، وهو صاحب المؤلفات الفقهية، الذي تناوله الشيخ حمد الجاسر ود. عبدالله الشبل في كتاباتهما، وألف عنه د. عبدالعزيز

الخويطر دراسة تحقيقية «١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م».

لا يُنكر على أبي حمد هذا الإفراط في التواضع والصمت، لكنه يطالب بتوثيق هذه المرحلة التي مرّ بها، وبخاصة في مجال التعليم، وأن يفتح صدره وأرشيفه ويُجري قلمه ليكتب تجربته الثرية الواسعة ويدوّنها.

إن عبدالمحسن المنقور، نموذج سعودي من نوع خاص، ومعلّم وطني متميّز، والحديث عنه هو حديث عن جنسه الكثير في مجتمعنا، لكنهم يتوارون عن الأضواء والذكر، وينبغي أن يشار إليهم بالثناء والتقدير، متع الله حياتهم بالعافية[1].

---

(١) توفي، رحمه الله، بالسكتة القلبية وهو نائم في بيروت، ودفن في الدمام بتاريخ ١٤٢٧/٣/٣هـ (٢٠٠٦/٤/١م)، ولمزيد عن سيرته، يرجى الرجوع إلى ما تضمنته جريدة الجزيرة، العدد (١٢٥٦٤) بتاريخ ١٤٢٨/٢/٢هـ (٢٠٠٧/٢/٢١م) بمناسبة تدشين مركز صحي أقيم على نفقته وإخوانه في حوطة سدير.



(٣)

حسن بن محمد كتبي

عكاظ: الإثنين ١٧ شعبان ١٤٢٤هـ، الموافق (١٣ أكتوبر ٢٠٠٣م)، العدد (١٣٥٦١).





لما كان نهج هذه الزاوية هو تتبع حياة رموز وطنية، أسهمت في نهضة هذه البلاد، لكنها تتوارى عن الأضواء، فإن اسم الشيخ حسن كتبي يرد في صلب القائمة، وضمن الأوائل فيها.

عرفته إبان عمله وزيراً للحج والأوقاف في مطلع التسعينات الهجرية «السبعينات الميلادية» وصادفته في إحدى رحلاته الخارجية، فعرفت من خلالها كثيراً من خصاله وأسلوب تفكيره.

قد لا تضيف هذه الزاوية جديداً لقرائها عن سيرة هذا الرجل الكريم، لكننا خبرناه صاحب قلم متمكناً، وأديباً، أغنى الدوريات بكتاباته الفكرية المعمقة، وأهدى المكتبة الثقافية السعودية جملة من الإصدارات القديمة والمعاصرة.

ولد الشيخ حسن كتبي في الطائف سنة ١٣٢٩هـ «١٩١٠م» والتحق في مكة المكرمة بمدرسة الفلاح، ثم اختاره مؤسسها الحاج محمد علي زينل للدراسة في الهند مدة ثلاث سنوات، ضمن مجموعة كان يرغب في تأهيلها لتدريس العلوم الشرعية.

وفي عام ١٣٥٢هـ «١٩٣٣م» عمل مدرساً في مدرسة الفلاح بمكة المكرمة ثم انتقل للعمل أستاذاً للأدب العربي في المعهد العلمي السعودي

بمكة المكرمة، وشارك في تحرير جريدة «صوت الحجاز» التي أصدرها محمد صالح نصيف بين عامي ١٣٥٠ ـ ١٣٦٠هـ (١٩٣٠ ـ ١٩٤٠م) والتي صارت فيما بعد نواة لجريدة «البلاد»، ثم تقلب في عدد من الوظائف التعليمية والإدارية، وأقام فترة في جنوب إفريقيا وفي مصر، ثم عين وزيراً للحج والأوقاف ١٣٩٠هـ (١٩٧٠م) في عهد الملك فيصل.

كتب سيرة حياته «هذه حياتي» في كتيّب صغير صدر سنة ١٣٧٦هـ (١٩٥٦م)، وألَّف جملة من الكتب منها على سبيل المثال: الأدب الفني، وأشخاص في حياتي، ودورنا في زحمة الأحداث، وسياساتنا وأهدافنا، والسياسة علم وفن وأدب، ونظرات ومواقف».

كان حسن كتبي مساوياً في العمر لحمد الجاسر، لكن الأول درَّس الثاني في المعهد العلمي السعودي، حيث كان أحمد عبدالغفور عطار صاحب ومنشئ جريدة «عكاظ» وحسين عرب، من تلاميذها أيضاً، وقد كشفت مذكرات الشيخ عبدالله خياط عن صلة وثيقة علمية وأدبية كانت تربط بينهما، وتوثقت إبّان عملهما في المعهد العلمي السعودي، حيث انضم الشيخ الكتبي إلى هيئة تحرير صحيفة المعهد «الشباب الناهض» وكان الشيخ الخياط مديراً لها، ثم جاء في المذكرات أن الهيئة حاولت تحويل الصحيفة إلى مجلة للعموم، يكون الكتبي رئيساً لتحريرها لكنها لم تفلح.

لقد تميزت كتابات الشيخ حسن كتبي - وكتبه بوجه خاص - بمناهضة الشيوعية في أوج توهجها قبل أربعة عقود، وبالدراسات الإسلامية الفلسفية، وهو منهج انفرد به - أو كاد - بين كتّاب جيله السعوديين، ولعل من أبرز كتبه في هذا الموضوع مخطوطاً لم يقدر له الطبع والظهور بعنوان: السياسة الإسلامية ١٣٥٣هـ (١٩٣٤م)، ومخطوطاً آخر عن سيرة الشيخ محمد سرور الصبّان.

المعروف أن حسن محمد كتبي قد تفرغ للعبادة وأعمال الخير، لكن المأمول أن ينقشع انطواؤه وصمته عن عمل يوثّق المرحلة الثانية التي لم يوثّقها من حياته. وأن يخرج ما قد يكون مخطوطاً، فاسمه «الكتبي» يفرض عليه ألا يُطلّق التأليف، وألا يبتعد عن الكتاب، فلقد عودنا في كل فترة ينطوي فيها على نفسه أن يخرج منها بإبداع أدبي أو فكري إسلامي.

أجزل الله له في الأجر والثواب.



(٤)

أحمد بن محمد المانع

عكاظ: الإثنين ٢٤ شعبان ١٤٢٤هـ، الموافق (٢٠ أكتوبر ٢٠٠٣م)، العدد (١٣٥٦٨).



الحديث في هذا الأسبوع عن شخصية تعليمية تربوية، باحث في الفقه والتراث، لم يدّخر وسعاً طيلة الارتباط بالخدمة العامة، أن يضع كل إمكاناته في التيسير على الطلاب وتسهيل انتهاء فترات إيفادهم بنجاح.

كرّس حياته، قبل الوظيفة وأثناءها وبعدها، في قضاء حاجات الناس، وفي طلب العلم، حتى صار نسخةً من والده (الشيخ محمد المانع)، ومع ذلك لم يكن للأضواء حيّز في اهتماماته، لم يُصبه أي شكل من أشكال حب الظهور ولفت الأنظار، أو شعور بالأستاذية أو الفوقيّة والتعالي على المبتدئين.

ذلك هو الأستاذ أحمد ابن الشيخ محمد المانع، أحد رجالات التعليم المخضرمين في بلادنا، الذي عُرف أكثر ما عرف، أثناء عمله في الملحقية الثقافية في مصر، بقية السبعينيات وطيلة الثمانينيات والتسعينيات الهجرية من القرن الهجري الفائت.

الأستاذ أحمد (أبو عبدالله)، هو أوسط أبناء الشيخ محمد بن مانع، والده هو العلامة، ذائع الصيت في مديرية المعارف العامة، الذي ولد في عنيزة سنة ١٣٠٠هـ، وتنقل يطلب العلم بين نجد والحجاز والأحساء

وقطر والعراق ومصر، ثم أصبح في عام ١٣٦٥هـ (١٩٤٥م) مديراً عاماً للمعارف، خلفاً للشيخ محمد طاهر الدباغ مكملاً جهوده المشهودة في نشر التعليم في سائر أنحاء البلاد، حتى سُلِّمت الأمانة إلى خادم الحرمين الشريفين ـ الملك فهد ـ عند تحويل مديرية المعارف إلى وزارة سنة ١٣٧٣هـ (١٩٥٣م)، في السنة ذاتها التي توفي فيها الملك عبدالعزيز ـ طيّب الله ثراه ـ.

لازم الشيخ المانع (الأب) الأمير فهد بن عبدالعزيز، بصفة مستشار في وزارة المعارف برتبة وكيل وزارة، حتى طلبته حكومة قطر (عام ١٣٧٧هـ) في عهد حاكمها عبدالله بن قاسم آل ثاني وابنه على الإشراف على القضاء والتعليم في قطر.

وقد توفي عام ١٣٨٥هـ، إثر عملية جراحية كانت تُجرى له في لبنان، ودفن في قطر.

خلّف الشيخ المانع (الأب) ثلاثة من الأبناء، وهم عبدالعزيز وعبدالرحمن، وأحمد (موضوع هذا المقال) الذي ولد في حدود عام ١٣٤٧هـ، ورافق والده، يسير على خطاه في طلب العلم والاهتمام بخدمة طلابه، وهو، حقيقةً، من العلماء التراثيين المجتهدين، الذين يمكن للمحقق أن يركن إلى معلوماتهم وإجاباتهم، وبخاصة في الدراسات الجغرافية ومعرفة القبائل وكتب التراث، لدرجة قد يبزّ بها كبار

المتخصصين والأكاديميين، مع أنه، من تواضعه، لا يعدّ نفسه منهم، ولا يضع اسمه في مواضعهم ومراتبهم، وقد قال عنه محمد بن عبدالله آل عبدالقادر في كتابه «تحفة المستفيد»: إنه فقيه محقّق، متخصص في معرفة الكتب ومؤلفيها.

الجميل في حالة الأستاذ أحمد المانع ونظرائه، المتوارين عن الأضواء، العازفين عن الظهور، أنهم ظلوا على صلة بالكتاب والبحث، وذلك بالرغم من أن علاقتهم بالوظيفة قد انتهت، وأن تواصلهم مع الاطلاع والعلم لا يقود إلى ترقية أو نيل درجة أو شهادة، ولهذا يزداد تقديرهم ويعظُمُ إجلالهم.

كان طيلة إقامته في مصر، الحريص على حضور الندوات العلمية، والمشاركة في اللقاءات الثقافية، ومن المواظبين على الصالونات والمنتديات الخاصة (ومنها على سبيل المثال ندوة الأستاذ محمود شاكر الأدبية، رغم انعقادها أسبوعياً بعيداً عن منزله).

ظلّ الأستاذ المانع طيلة عمله في الملحقية الثقافية السعودية في القاهرة سنداً للمبتعثين، مرناً معهم، سخيّاً بماله الخاص، يستضيف ويسلّف، ويوظّف علاقاته في سبيل تسهيل قبولهم، والحصول على مقاعد ومنح دراسية في الكليات العلمية بالذات، حتى لقد استطاع في أحد الأعوام أن يحصل على (٣٠٠) مقعد للطلبة السعوديين في كليات الطب فقط.

الأستاذ أحمد المانع، متعه الله بالصحة والعافية، له أربعة من الأبناء وبنتان، وإذا كان هناك من رجاء، أتوجه به باسم رجال التربية والتعليم إلى أبي عبدالله، فهو أن يسعى إلى استكمال توثيق جهود والده، وجمع نتاجه العلمي المتناثر، وتدوين سيرته، وتبيين مكانته العلمية، وهي مسؤولية نشاركه ونسانده فيها جميعاً.

(٥)

عبد الله بن علي الجشي

عكاظ: الإثنين ١ رمضان ـ ١٤٢٤هـ، الموافق (٢٧ أكتوبر ٢٠٠٣م)، العدد (١٣٥٧٥).



«إذا ذكر القطيف، فلابد أن يسجّل اسمه ضمن أبرز رموز مثقفيه ومفكّريه المعاصرين، فلقد ولد في القطيف على ساحل الخليج العربي في حدود عام ١٣٤٢هـ (١٩٢٣م) وأقام فترة في العراق، تولّى تحرير مجلة (الغَرِيّ) النجفية فترة من الزمن ١٣٦٥هـ (١٩٤٦م) ثم عاد إلى أرض الوطن سنة ١٣٦٧هـ (١٩٤٨م)، يواصل اسهاماته في التأليف وفي الصحافة السعودية والخليجية، والغَرِيّ (المثنى الغَرِيّان) أسطورة في التراث العربي لها علاقة بمدينة الحيرة العراقية».

هذا ما كتبته عنه في أحد إصداراتي عن تاريخ الإعلام السعودي، إنه الشاعر والمؤرخ عبدالله بن علي الجشّي، الذي يقيم في القطيف بين قلمه وكتابه، بين الشعر والتاريخ، بعيداً عن بريق الشهرة إلا عند محبيه وعارفيه.

له من دواوين الشعر: الحب للأرض والإنسان، وقطرات ضوء، وغزل، وملحمة «شراع على السحاب» ودواوين أخرى مخطوطة، وله مؤلفات تاريخية منها: الدولة القرمطية في البحرين، وتاريخ النفط في العالم حتى عام ١٨٥٨م، وله من الأولاد ابن واحد (قطيف) وبنت واحدة (يمامة).

اخترت من شعره نماذج من أربع قصائد، كتب الأولى منها عام

١٣٧١هـ (١٩٥١م) في أواخر عهد الملك عبدالعزيز، حين زار القطيف وفد من جامعة القاهرة، بينه د. عائشة عبدالرحمن (بنت الشاطئ) فأقام أهل القطيف حفل تكريم له، أدرجت فيه قصيدته التي تضمنها أحد مقررات وزارة المعارف آنذاك، وهي مكونة من (٣٠) بيتاً، وهي منشورة في كتاب: أرض المعجزات لبنت الشاطئ، يقول مطلعها:

يا قـادة الجيـل الجـديد تحيَّـة
أزكـى مـن الزهـر النـديّ وأنضـرُ

ثم يقول في آخرها:

هـذي بـلادي في قديـم عهودهـا
عِلـمٌ وفـنٌ خالـدٌ لا يُدثـر

أما القصيدة الثانية فقد كتبها لابنته «يمامة» (نشرتها جريدة الرياض يوم ١٩٩٥/٠٥/٣٠م)، وهي بعنوان: «بين اليمامتين» (٣٠ بيتاً) يقول في بدايتها:

طوفي «يمامة» بالجزيرة، حلوة الأنغام نشوى
طيري «يمامة» «لليمامة» فالذُّرى للطير مأوى

إلى أن قال:

كم «لليمامة» قصةُ عربية تُتلى وتُروى

حَفَلت بأمجادٍ مخلّدة المعالم مثل «رضوى»

ثم وجد كثيرٌ من القراء في قصيدته (فاتك السراب)، التي نشرت في جريدة الرياض، العدد ٩٥٠٤، في (١٤٠٥/٠١/٢٣هـ) عزماً منه على اعتزال الشعر، فلم يوافقوه، وقد جاء فيها:

لا تقل لي بالأمس كنت مجيداً

نزح الأمس والزمان نزوح

إلا أن علاقته الوثيقة بصديقه الراحل حمد الجاسر جعلته يرثيه شعراً بقصيدة عصماء (٥٥ بيتاً) بعنوان (شيخ الجزيرة) يقول فيها:

تلد الجزيرة للفتوح وتنجب

وكتائب ملء التخوم تأهبّ

لكنها وهي الولود شحيحة

لا منهل عذب ونبت طيب

والشيخ الجشّي شاعر وطني مبدع، حمل هموم أمته، وعبّر عن خلجات المتحمّسين من شباب عصره، درس في العراق وكتب في صحافته، وكان على صلة بالبحرين، أسهم في نهضتها، وكُتب عنه في أكثر من (٢٠) مصدراً، وبخاصة تلك التي توثق لأدب الخليج العربي ومثقفيه.

وهو أحد كبار أسرة الجشّي القطيفية، التي ينحدر منها د. جميل الجشّي، وعدد من الأدباء والشعراء والفقهاء وتجار اللؤلؤ في المنطقة الشرقية.

التحق الأديب عبدالله الجشّي بأول عمل له في منتصف السبعينيات الهجرية (الخمسينيات الميلادية) في مصلحة العمل والعمال بالمنطقة الشرقية، ثم واكب تأسيس الوزارة الذي بني على مكاتب العمل في الدمام والرياض وجدة، فانتقل عمله إلى الوزارة، معاصراً أول ثلاثة من وزراء العمل (الأمير فيصل بن تركي «الأول» بن عبدالعزيز، وناصر المنقور، وعبدالرحمن أبا الخيل)، كما ارتبط بصداقة وثيقة مع عبدالكريم الجهيمان وعبدالله بن إدريس وغيرهما، وكان قد أسهم في إنشاء أول مكتبة عامة في القطيف والمنطقة الشرقية.

أقيم له عام ١٤٢٦هـ (٢٠٠٦م) حفل تكريمي في المنطقة الشرقية، شاركت فيه مجموعة من أدباء المملكة والخليج، وهو سيبقى عزيزاً مكرماً من الجميع رفيعاً بأدبه وفكره، ندعو له بمديد العمر مع دوام الصحة واستمرار العطاء[١].

---

(١) كُرِّم في مهرجان التراث والثقافة التاسع عشر في الجنادرية ١٤ محرم ١٤٢٦هـ (٢٠٠٥/٠٢/٢٣م)، ومنح وسام الملك عبدالعزيز من الدرجة الأولى، وعقدت عنه ندوة فكرية ضمن فعاليات المهرجان، كما كتب عنه المؤلف مقالاً آخر بتلك المناسبة نشرته المجلة العربية في عدد محرم ١٤٢٦هـ (فبراير ٢٠٠٥م).

(٦)

عبدالرحمن بن صالح الحليسي

نشر من جزأين، **عكاظ**: الإثنين ٨ رمضان المبارك ١٤٢٤هـ ، الموافق (٣ نوفمبر ٢٠٠٣م)، العدد (١٣٥٨٢)، وعدد يوم الإثنين اللاحق.



الحديث في هذه الحلقة عن شخصية دبلوماسية لها عبق تاريخي خاص، تُذكِّر بجيل السفراء القدامى، وبقية رموز الدولة الكبار، أو بأولئك الرجال الذين أقاموا علاقات تجارية مع بلدان العراق والشام ومصر والهند، فتعلموا وتفتحت أذهانهم واتسعت مداركهم، أو بأولئك الذين هاجروا وتأثروا بثقافات خارجية، مع محافظتهم على عراقتهم وعاداتهم ولهجتهم.

وهو عندما يتحدث تحس بأنك أمام التاريخ يتكلم، فلا يسعك المقام والمقال إلاّ الإنصات بكل جوارحك، والأخذ بكل تحليلاته، والتسليم من الأعماق بكل ما يورده.

وهو بالرغم مما شاهده وعاشه من ظروف الفاقة وشظف الحياة التي عايشها جيله، وما أدركه من أوضاع معيشية صعبة كانت تعم أنحاء البلاد قبل أن تنعم بالاستقرار والموارد الطبيعية، فإنه مثال جيد على امتزاج الأصالة والمعاصرة في مسكنه وأسلوب حياته، وهو صورة معبّرة للرواد الذين أسهموا في بناء النهضة الإدارية الحديثة في العهود المبكرة لهذه البلاد.

هذه الشخصية العريقة، لا تعرف وسائل الإعلام داره، أو الطريق

إلى بابه، مع أنه من الأكارم، والمتحدث اللبق الجاذب، والعارف بأصول الدبلوماسية والتشريفات (البروتوكول).

لكن أحداً لم ينجح بعد في إقناعه بالإفراج عما تختزنه ذاكرته من أسرار ومحفوظات، والتخلي عن سياسة الصمت والاحتفاظ بكل المعلومات لنفسه وأدراج مكتبته الخاصة ورفوفها العالية.

إنه الشيخ عبدالرحمن الصالح الحليسي، أحد من أعتز بجيرتهم منذ أعوام، وأحد مخازن التاريخ المعاصر المتوارية عن الأضواء، وصاحب التجربة الإدارية والدبلوماسية الثرية.

أبو صالح، ولد في بريدة بالقصيم سنة ١٣٤١هـ (١٩٢٢م) ودرس الثانوية في مصر، وتخصص في الحقوق من جامعة القاهرة (١٣٦٦هـ - ١٩٤٧م)، ثم التحق بوزارة الخارجية، وشارك مع وفد المملكة إلى نيويورك (١٩٤٧م) لمناقشة القضية الفلسطينية في الأمم المتحدة، عُيّن بعدها في السفارة السعودية في لندن عندما كان الشيخ حافظ وهبة سفيراً هناك، وكان الشيخ الحليسي يقوم بعمل السفير في بعض الأحيان (قائم بالأعمال) عند غيابه.

وفي مطلع عهد الملك سعود وبداية تشكيل الجيل الثاني من الوزارات أعير الشيخ الحليسي إلى وزارة الزراعة (الجديدة آنذاك) وكيلاً لها،

مع وزيرها الأمير سلطان بن عبدالعزيز، وكانت له إسهامات في جهود تطوير البحث العلمي الزراعي.

وبعد ما يقرب من أربع سنوات في الزراعة، عاد إلى وزارة الخارجية، ليكون أول سفير للمملكة في السودان بعد استقلالها (من عام ١٩٥٧ إلى ١٩٦٠م)، ثم صار سفيراً في إيطاليا، وافتتح وهو في روما أول سفارة سعودية في النمسا، وفي عام ١٩٥٥م وقع الاختيار عليه خليفة لحافظ وهبة، سفيراً لدى المملكة المتحدة، وكان إلى جانب ذلك سفيراً غير مقيم لدى الدنمارك، كما حضر في عام ١٩٦٢م مؤتمر عدم الانحياز في يوغسلافيا.

ثم تقاعد وعاد إلى المملكة في عام ١٣٩٦هـ (١٩٧٦م) بعد عشر سنوات قضاها سفيراً في بريطانيا وبعد حياة حافلة بالعطاء الإداري والدبلوماسي.

ومنذ ذلك التاريخ، عاد الشيخ الحليسي إلى عشق قديم له في الزراعة، فأنشأ مكتباً استشارياً يباشر فيه أعماله بنفسه، ويتسلّى في وقت فراغه، وأصبح في إحدى الفترات رئيساً لمجلس إدارة بنك القاهرة السعودي قبل اندماجه.

لقد جمع الشيخ الحليسي بين التجربة الدبلوماسية في أعرق مواطنها

بريطانيا وإيطاليا، والتخصص في القانون الدولي والتجاري من خلال دراسته الجامعية، والإلمام بالاقتصاد من خلال متابعة دراساته العليا في جامعة لندن (London School of Economics) أثناء إقامته الأولى.

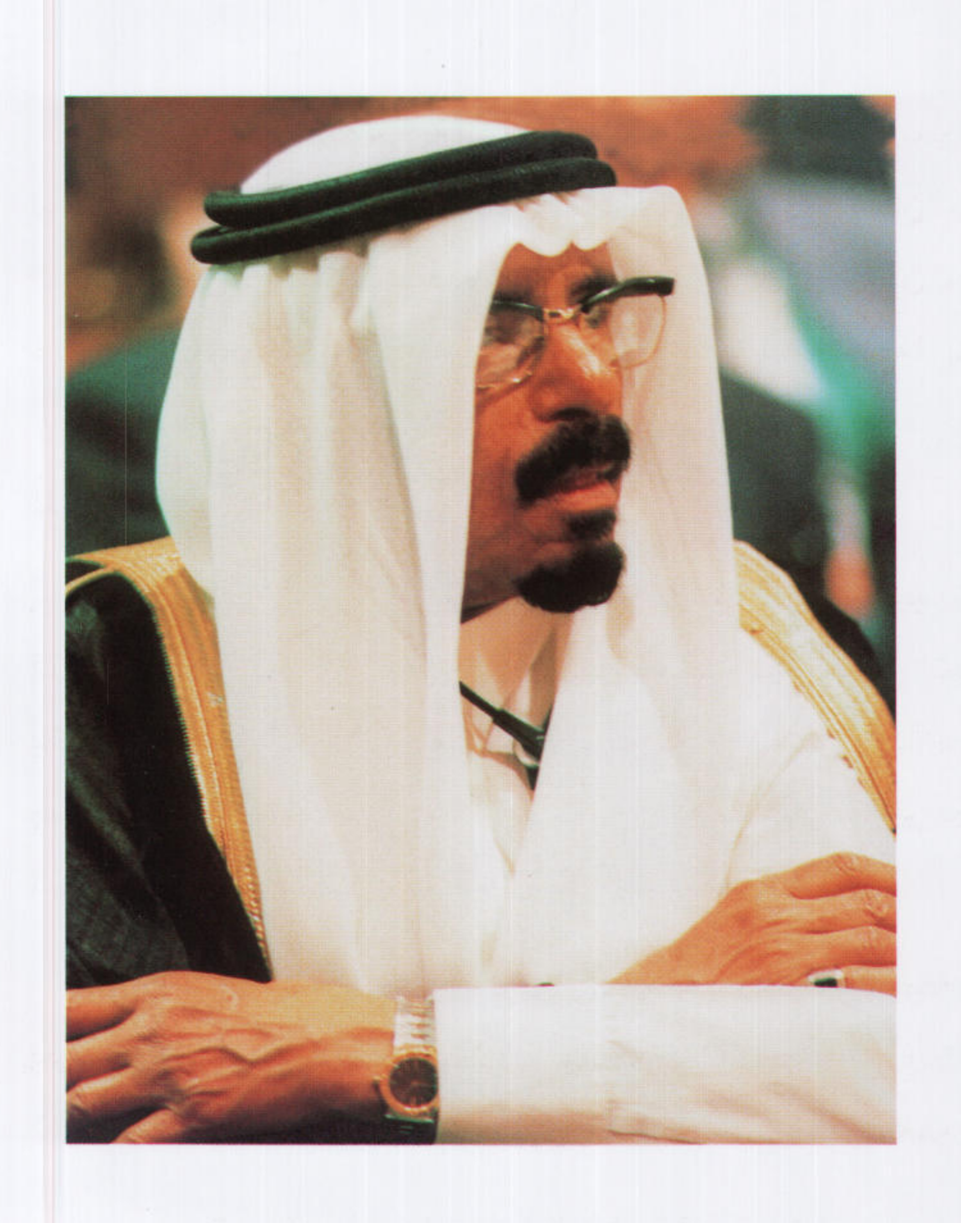
الشيخ الحليسي، الذي يستقبل زائره بحفاوة بالغة، ولا يسمح له بالخروج من منزله إلا بعد استيفاء كل شروط الضيافة، هو كنز لم يستثمر من ذكريات لم تسجل، وله من الأولاد ابنان هما: صالح وعبدالعزيز، وبنتان هن: هدى وهالة.

يروي د. عبدالعزيز الخويطر في أحاديثه الشفوية وفي ذكرياته المكتوبة طرفاً من مواقف الشيخ الحليسي مع الطلبة المبتعثين في لندن، وكيف كان يمشي في خدمتهم، ويُخضع مقدرات السفارة ومقدّراته لرعايتهم.. ألبسه الله ثوب الصحة والعافية.

(٧)

عبد الله بن عبد الرحمن الملحوق

عكاظ (ط ٢) : الإثنين ٢٢ رمضان المبارك ١٤٢٤هـ ، الموافق (١٧ نوفمبر ٢٠٠٣م)، العدد (١٣٥٩٦)، ثم ظهر في طبعتها الأولى في الأسبوع اللاحق.



شخصية هذه الحلقة خلطة من التعليم والإعلام والدبلوماسية، كان له منها جميعاً نصيب كبير، لكنه بالإضافة إلى كل ذلك كان أحد الشهود الأبرز على ما أصاب هذه البلاد من بلاء الإرهاب بل كان أحد ضحاياه، وإليكم سيرته الذاتية، كما استقرئت من عدة مصادر (مقرّبة) أو منشورة (وهو دأب هذه الحلقات) أو كما ظهر في سجله الوظيفي في وزارة الخارجية.

ولد الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن الملحوق في الرياض في مطلع الأربعينيات الهجرية (العشرينيات الميلادية)، وتلقى تعليمه في مكة المكرمة، ثم التحق بالبعثة التعليمية الثالثة إلى مصر، حيث درس في دار العلوم، وكان من زملائه في تلك البعثة: أحمد عبدالغفور عطار، ومحمود عارف، وإبراهيم السويّل، وعبدالله عريف، وعبدالله الخيّال، وعبدالله عبدالجبار.

كانت أولى وظائفه الحكومية المراقبة على مدارس أرامكو ومطبوعاتها وهي وظيفة مارسها في أواسط الستينيات الهجرية (١٣٦٣هـ - ١٩٤٣م)، وكان شاغلها يوفد من الديوان الملكي، وأول من عمل بها الشيخ حمد الجاسر.

ثم صار رئيساً لديوان إمارة المنطقة الشرقية أيام الأمير سعود بن جلوي، وقد عمل فيها نحواً من أربع سنوات (١٣٦٥هـ حتى ١٣٦٩هـ)،

ثم انتقل إلى بيروت ملحقاً إعلامياً (مشرفاً على مكتب الصحافة والنشر في السفارة السعودية في لبنان)، حيث تدرج في عدد من الوظائف الدبلوماسية، ونال عدداً من الأوسمة الرفيعة السعودية ومن الدول التي عمل فيها، فهو في بداية التسعينيات الهجرية (١٩٧٣م)، عُين سفيراً للمملكة في السودان، ثم في الجزائر فاليونان، وقد أحيل على التقاعد سنة ١٤١٧هـ (١٩٩٧م)، وذكر معجم المطبوعات العربية في المملكة للدكتور علي جواد الطاهر، أن للملحوق كتابين هما: (فيصل) عندما كان نائباً للملك في الحجاز، وقد ألفه وهو طالب في مصر (١٣٥٨هـ، ٨٠ ص)، و (السعوديات الكبرى) وقد طبعه في بيروت في (١٥٨ ص)، وهو عن زيارة ولي العهد الأمير سعود إلى لبنان وسوريا والعراق، وكان قد أسس مكتباً في لبنان قبيل عمله هناك، شاركه فيه من عبدالكريم الجهيمان ومحمد عودة (فلسطيني)، وهو المكتب العربي السعودي للتأليف والنشر.

هناك محطات كثيرة ـ كما رأينا ـ في حياة هذا الإنسان الكريم، البعيد عن الأضواء، لكن هذا الحّيز المتاح قد لا يسمح بأكثر من التركيز على محطتين بارزتين:

ـ الأولى: أنه ومجموعة معه، من بينهم عبدالعزيز القصيبي وعبدالله أبو عايشة، كانوا قد عملوا على تأسيس، أول مطبعة في المنطقة الشرقية وهي (شركة الخط للطبع والترجمة والنشر في مدينة الدمام) وقد تزامن

ذلك مع جهد مماثل كان يقوم به الشاعر خالد الفرج في أواخر عام ١٣٧٣هـ (١٩٥٣م)، أما لفظ (الخط) الذي اتخذ اسماً لشركة الطبع فهو المدلول الجغرافي لمنطقة القطيف وساحلها (من صفوى والعقير إلى الظهران).

مهد قيام هذه المطابع لبدء الصحافة الأهلية في المنطقة الشرقية، حيث تعاون عبدالله الملحوق وعبدالكريم الجهيمان في إصدار أول هذه الصحف (أخبار الظهران ١٣٧٤/١/١هـ)، وأصدر يوسف الشيخ يعقوب جريدة (الفجر الجديد ١٣٧٤/٧/١١هـ) وتبعهم سعد البواردي في إصدار مجلة (الإشعاع في محرم ١٣٧٥هـ) وعبدالله شباط في إصدار مجلة (الخليج العربي ١٣٧٦هـ) وجريدة (الخليج العربي) بعد ذلك بعام.

وكانت أرامكو سبقت هذه الجهود الفردية بإصدار جريدتها (الشمس والوهج) بالإنجليزية ومجلتها (قافلة الزيت) بالعربية، وقد صدرتا إبّان حياة الملك عبدالعزيز.

ـ أما المحطة الثانية المثيرة في حياة الأستاذ الملحوق، فهي تعرّضه (في مارس من عام ١٩٧٣م) إلى هجوم إرهابي في منزله، عندما كان سفيراً وعميداً للسلك الدبلوماسي في السودان، يقيم حفلاً وداعياً كبيراً لأحد السفراء، فقد هاجمتهم مجموعة ملثمة من (٨) أعضاء من منظمة أيلول الأسود الفلسطينية، واحتجزت اثنين من الدبلوماسيين الأمريكيين والقائم بالأعمال البلجيكي والسفير الأردني والسفير السعودي (الشيخ الملحوق)،

وقد فضّلت زوجته (أم محمد) البقاء إلى جواره بعدما ضمنت الإفراج عن أولادهما.

أسفر الاحتجاز، الذي استمر أربعة أيام، عن قتل عدد من هؤلاء الرهائن وعن الإفراج، بعد اتصالات واسعة، عن السفير السعودي.

وعندما التحق الشيخ الملحوق بعمله اللاحق سفيراً في الجزائر، شهد الفصل الأخير من حادثة الاختطاف الشهيرة التي تعرض لها وزير البترول السعودي الأسبق الشيخ أحمد زكي يماني التي انتهت في الجزائر، أما في اليونان، وهي محطته الأخيرة التي بقي فيها عدة سنوات فقد استهدفته سيارة مفخخة، وهو في طريقه إلى مقر عمله في السفارة، لكن الله شاء له أن ينجو (بأعجوبة) إذ كان قد ترجّل عن سيارته قبل الحادث بلحظات، ليكمل مشواره ماشياً على الأقدام[1].

الشيخ عبدالله، متعه الله في عمره وصحته وأعانه على طاعته، يقيم في مسقط رأسه (الرياض) وله من الأولاد ابن واحد (محمد) وأربع بنات (سارة ونورة ولولوة وسُلاف)، حفظهم الله جميعاً من كل مكروه.

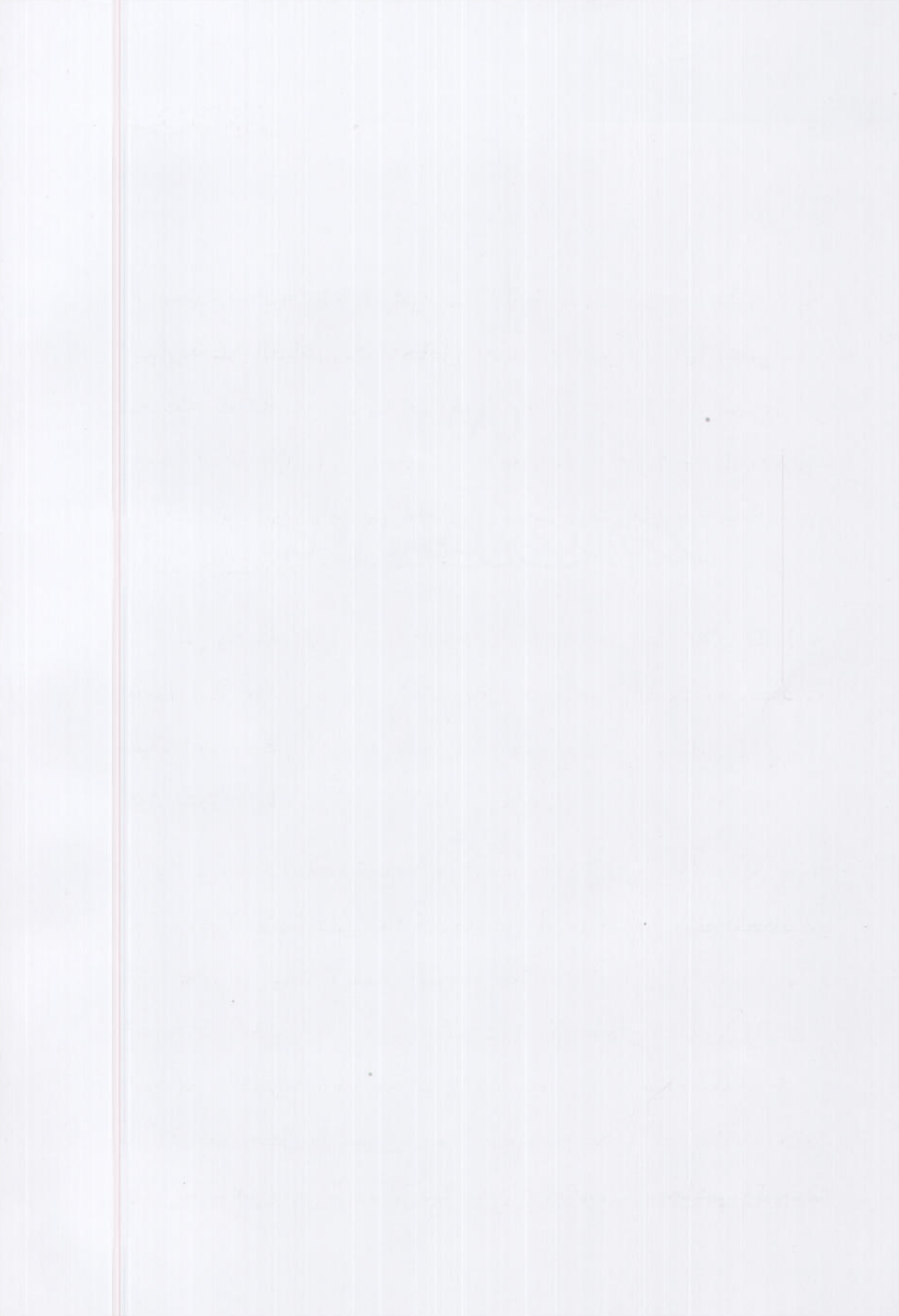
---

(١) صدر مؤلَّف عن دار الساقي في بيروت، لحرمه عصمت الحجّار الملحوق، بعنوان: الدبلوماسية واجهة ومواجهة، تروي فيه تفاصيل تلك الحوادث (٢٠٠٥م).

(٨)

سارة الفيصل بن عبد العزيز

عكاظ: الإثنين ٧ شوال ١٤٢٤هـ ، الموافق (١ ديسمبر ٢٠٠٣م)، العدد (١٣٦١٠).



تنطبق مقاييس هذه الزاوية تمام الانطباق في اختيارها للشخصيات المتوارية عن التباهي في المحافل العامة، وتوثيق سيرتها، على سيّدة سعوديّة عازفة عن الأضواء، نذرت نفسها ومقدّراتها منذ نشأتها لخدمة العمل الإنساني والخيري والاجتماعي، وإفراغ شحنات كبيرة من شحنات الحب والعاطفة التي وهبها الله إياها لرعاية اليتيم والمعاق والفقير.

ليس غريباً في مجتمع التكافل الاجتماعي في بلاد المسلمين عامة، وفي مهد الحرمين الشريفين بخاصة، أن تجد من يكرّس حياته لخدمة غيره من المحتاجين، ولكن القليل النادر من يؤدي ذلك بعيداً عن الأنظار ووسائل الإعلام وبريقها.

وليس جديداً في مجتمع الأسر المخمليّة في الشرق والغرب على وجه العموم، وفي بلادنا على وجه الخصوص، أن يوجد من يهتم بتخصيص جزء معتبر من وقته لأعمال البر، أو للعناية بالمعاقين، أو بتنمية موارد الجمعيات الخيرية، أو بتبنّي مشروعات الإسكان التنموي والشعبي والمخفض، لكن الشخصية التي اختارتها هذه الزاوية، جنّدت نفسها منذ الصغر لكل ما يسمى أعمال الخير بمختلف أشكاله، ووظّفت جهودها - دون مقابل - لتنمية روح التكافل الجماعي وتوجيهه

لخدمة ذوي الحاجة والمعوزين.

أكبر ما يميز سارة الفيصل بن عبدالعزيز، من بين الآثار الكريمة التي غرستها في هذا المجتمع، أنها أسست مدرسة للعمل الإنساني، يتدرّب فيها ويتخرّج منها أرتال من محبي تجنيد الذات في هذا الاتجاه، وأنها أوجدت نموذجاً يحتذى به في بقية المناطق لجمعيات متخصّصة في هذا المجال، وبالفعل أصبحت جمعية النهضة النسائية الخيرية، التي شقت طريقها ورسّخت سمعتها التكافلية الخيرية منذ عام (١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م) أكاديمية تعليمية وتدريبية وتأهيلية لتخريج متخصصات في العمل الإنساني بكل فروعه ومجالاته وأشكاله.

لم تكن سارة الفيصل الأولى، وليست الوحيدة في هذا المجال، لكنها كانت رائدة في نكران الذات، وفي استقطاب مجموعة معها من سيدات المجتمع بكل أطيافه، لإدارة هذه الجمعية - المدرسة العريقة - والإيمان بأهدافها ومقاصدها، والتفرغ جزئياً أو كلياً للعمل فيها وزرع القدوة بين منسوباتها بالتواجد والحضور، حتى صارت الجمعية بالفعل، مثلاً في العمل الخيري الرصين، والبحث الميداني في الأحياء الفقيرة، واستقصاء حقيقة العوز عند بعض الأسر المحتاجة.

لقد علّمنا الزمن، أن التصدي للعمل الخيري حبل طويل وطريق شاق وعمل مضن، يتطلب الدأب ومغالبة النفس وقهر الرغبات، لا تنجح فيه طالبة الوجاهة الاجتماعية، ولابد أن ينبع عن عقيدة راسخة وإيمان أصيل ورغبة صادقة، وجهد متصل لا ينتظر المردود أو الشكران.

وسارة الفيصل ومثيلاتها من وجيهات المجتمع النسائي السعودي اللواتي اقترنت هذه الجمعيات بأسمائهن وثابرن على السهر على رعايتها وعكفن على متابعة شؤونها، لم يكنّ بحاجة إلى مجد أو جاه، من هنا صارت مباشرتهن وعكوفهن على العمل الخيري طيلة هذه العقود أموراً لا تحتمل التأويلات الأخرى، والأحرى بهذا المجتمع بكتَّابه ومسؤوليه، أن يشيد بجهودهن ويعمل على تكريم الرائدات منهن ويبرز تضحياتهن وإنجازاتهن.

لقد أصبحت جمعية النهضة النسائية الخيرية بالرياض، بجهود راعيتها سارة الفيصل وزميلاتها مَعْلَماً إنسانياً حضارياً على مستوى الوطن، ومؤسسة اجتماعية تنموية تقوم على جهود فاضلات متبرعات لا يرتجين إلا جزاء الله الأوفى، وأن تتحقق من خلال هذه الجمعيات أهداف التكافل والبر في المجتمع المسلم المتراحم، وأن يطمئن المواطن إلى مقاصدها وغاياتها الإنسانية.

حيّا الله سارة الفيصل، العاملة بصمت ومثابرة، وحيّا الله كل من سار على خطاها في عمل الخير وتلمّس حاجات الأسرة المعوزة في كل أرجاء الوطن، وأكثر من أمثالها.

ورحم الله والدتها ومعلّمتها (الأميرة عفّت الثنيان آل سعود) التي كانت لها أياد بيضاء معروفة ورائدة في العمل الاجتماعي والتربوي الخيري في وقت الندرة والكفاف وقلة الكفايات.. وكل عام وأنتم بخير.

(٩)

محمد بن ناصر العبودي

عكاظ: الإثنين ١٤ شوال ١٤٢٤هـ، الموافق (٨ ديسمبر ٢٠٠٣م)، العدد (١٣٦١٧).



إنه صاحب الرقم الأول أو يكاد، بين المؤلّفين السعوديين المعاصرين في غزارة الإنتاج والتأليف، فلقد أصدر حتى تاريخه ما ينوف على (١٣٠) كتاباً، مع ما يقرب من (١٠٠) مخطوط تنتظر الطبع.

كان جُلّ تأليفه فيما يسمى أدب الرحلات، فهو لم يُبق بلداً واحداً في العالم ـ على ما أظن ـ إلا مرّت عليه قدماه، إذ مكنته وظائفه الحالية والسابقة من أن يجوب الدنيا بجهاتها الأربع وقاراتها الست، يتفقد أحوال الأكثريات والأقليات المسلمة، ثم يبادر فور عودته إلى تدوين معلوماته وانطباعاته، يسجلّ أدق التفاصيل عن عادات الشعوب، ويوثّق أوضاعها، حتى أصبح، بحق، الخبير السعودي الأول بأحوال المسلمين في العالم ومعرفة جغرافية بلدانهم، وصار لديه حتى الآن (١٦٠) كتاباً نصفها مخطوط والنصف الآخر مطبوع في ثقافة الرحلات، بدأها بكتابه (في أفريقيا الخضراء) المطبوع في بيروت سنة ١٣٨٨هـ (١٩٦٨م).

من بين كتبه المخطوطة على سبيل المثال: ثلاثة عن سيبيريا، وأربعة عن رحلاته في بقية روسيا، وأربعة عن جولاته في جمهوريات الموز، وسبعة عن سفراته في دول البلقان، وثلاثة في رحلات الكاريبي، وثمانية عن أمريكا الجنوبية.. وهكذا، وهو يخص إذاعة القرآن الكريم ببرنامج إسبوعي يروي فيه تجاربه وانطباعاته في تلك الرحلات.

أما المجال الثاني الذي أبدع فيه فهو تراث الأمثال الشعبية والألفاظ العامية، التي تناولها في نحو عشرة كتب، صدر آخرها قبل أيام (كلمات قضت) معجماً من عدة أجزاء للكلمات النجدية القديمة المنقرضة والباقية والمتجددة، ولعل كتابه عن الأمثال العامية في نجد المطبوع في القاهرة عام ١٣٧٩هـ (١٩٥٩م) في خمسة مجلدات هو أقدم مؤلفاته على الإطلاق، وقد قدّمه العلاّمة حمد الجاسر.

إنه في منهجه التأليفي لا يجمع الأمثال والمصطلحات فحسب، لكنه يبحث في أصولها، فيرجع الفصيح منها إلى منبته، ويبين حال الدخيل منها والمعرّب.

ووضع الشيخ العبودي يده بيد الشيخ الجاسر لإصدار المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، الذي شاركتْ في تأليفه قمم الباحثين، فألف الجزء الخاص ببلاد القصيم، في ستة مجلدات صدرت في سنة ١٣٩٩هـ (١٩٨٠م) مطبوعة في الرياض، وقد أُعيد طبعها بعد عشرة أعوام.

أما المجال الرابع الذي اهتم به فهو الأنساب، حيث يُعد الشيخ العبودي أحد المراجع المطّلعة في معرفة الأسر والقبائل، وبخاصة في منطقة القصيم، وقد وضع كتاباً في هذا الميدان (من عدة أجزاء) بين مخطوطاته العديدة التي تنتظر الطبع، وهو بعنوان «معجم أسر القصيم».

لكن الشيخ العبودي، وهو الأهم، قبل أن يكون رحالة وباحثاً لغوياً ونسّابة ومحققاً جغرافياً، هو رجل تعليم وتربية، والمحتسب الداعي إلى الله، ففي سبيل الدعوة والتبليغ جاب الآفاق، وأسهم في برنامج هذه البلاد لنشر الدعوة المحمدية إلى الخير والمحبة والسلام، وعلى أساس من الرفق واللين وتبسيط الأمور وضرب المثال الحسن، كما ألّف مجموعة من الكتب التي تحمل نفحات من الإيمان وقبسات من سكينة القرآن.

أشرف الشيخ العبودي على الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة لمدة أربع عشرة سنة (بين عامي ١٣٨٠هـ و ١٣٩٤هـ) ثم أصبح أميناً عاماً للهيئة العليا للدعوة الإسلامية، وفي عام ١٤٠٣هـ (١٩٨٣م) عُيّن أميناً عاماً مساعداً لرابطة العالم الإسلامي، وهو المنصب الذي يشغله الآن.

والشيخ محمد بن ناصر العبودي من مواليد بريدة بالقصيم عام ١٣٤٥هـ وله من الأولاد ثلاثة أبناء هم: ناصر وخالد وطارق وست بنات، والكل من أم واحدة، فأبو ناصر، بالرغم من وجوده في محيط يكثر فيه المعدّدون، يلتزم بالتوحيد ويتمسك به عقيدة ومسلك حياة.

وإذا كان قد فاتني مع الأسف حضور تكريمه في صالون عبد المقصود خوجة (سنة ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م) وفي نادي القصيم الأدبي (سنة ١٤٢١هـ

- ٢٠٠٠م)، فقد أسعدني الحظ بالمشاركة في تكريم الوطن له في مهرجان الجنادرية التاسع عشر.

وفقه الله في حله وترحاله، وأمدّ له في حياته ليواصل جهاده الدعوي وجهده العلمي، وجزاه عما قدّم لدينه وأمته ووطنه خير الجزاء.

(١٠)

محمد بن عبد الرحمن الشيباني

عكاظ: الإثنين ٢١ شوال ١٤٢٤هـ، الموافق (١٥ ديسمبر ٢٠٠٣م)، العدد (١٣٦٢٤).



كان سرور كاتب هذه الزاوية غامراً، وهو يرى شيخه الإداري والإعلامي محمد عبدالرحمن الشيباني في حال من الصحة والحيوية، يحضر في الرياض قبل ثلاثة أعوام زفاف حفيدته، محتفظاً بروحه المرحة المعهودة وبشاشته المعتادة.

عرفت هذا الوجه السمح منذ أيامي الأولى في وزارة الإعلام بجدة قبل أربعين عاماً، في مبناها المجاور لمؤسسة النقد (قرب المطار القديم)، وهو يحظى باحترام زملائه ومرؤوسيه ومحبتهم وتقديرهم.

وهو وُلد ـ حسب إقراره ـ في عام ١٣٣٨هـ (١٩١٩م) في المدينة المنورة، ونال الابتدائية من المدرسة الأميرية فيها، ثم التحق بمدرسة تحضير البعثات في مكة المكرمة، لكن ظروفه المادية أجبرته على الانسحاب منها بعد ثلاثة أعوام، ليتنقّل بعد ذلك بين عدة وظائف بريدية وتعليمية ومحاسبية في إدارة البرق والبريد والمعارف والمالية بين عامي ١٣٦١ و ١٣٦٧هـ (١٩٤٢ ـ ١٩٤٨م).

وبالرغم من قسوة الظروف المعيشية والمناخية في الظهران ـ مقارنة مع الحياة الأنعم في مكة المكرمة والمدينة المنورة آنذاك ـ فإن الحظ قد ابتسم له هناك بعدما انتقل للعمل مراقباً للغة العربية في مدارس أرامكو،

وهي وظيفة يُوفد شاغلها ـ كما جاء في حلقة سابقة عند الحديث عن عبدالله الملحوق ـ من الديوان الملكي، فكان انتقاله للعمل في الظهران (سنة ١٣٦٨هـ ـ ١٩٤٨م) بمثابة نقلة نوعية في حياته الوظيفية، فهناك تعرّف على أمير المنطقة الشرقية سعود بن جلوي، الذي اختاره رئيساً لديوان الإمارة في وظيفة ظل يشغلها سبع سنوات.

وفي المنطقة الشرقية أيضاً، توثقت صلته برئيسه الشيخ حمد الجاسر مراقب عام مدارس أرامكو ومطبوعاتها، فقامت بينهما صداقة متينة امتدت عبر السنين.

ثم شاء الله، أن تُمثّل عودته إلى جدة مرحلة مهمة أخري في حياته الوظيفية، حيث دخل مجال الإعلام من أوسع الأبواب، فعمل في بداية الأمر مراقباً عاماً لشؤون البرامج في مديرية الإذاعة أيام كان الشيخ عبدالله بلخير مديراً عاماً للإذاعة والصحافة والنشر ١٣٧٦هـ (١٩٥٦م)، ثم أصبح رئيساً لتحرير الجريدة الرسمية (أم القرى) لفترة تقارب ثلاث سنوات (بدءًا من عام ١٣٧٨ وحتى ١٣٨١هـ).

رافق الشيباني الإرهاصات التي قادت إلى تحويل تلك المديرية إلى وزارة سنة ١٣٨٢هـ (١٩٦٢م)، فَعُيِّن في البداية مستشاراً ومشرفاً على الجوانب المالية والإدارية والفنية، في حين كان حمزة بوقري وكيلاً للشؤون الإعلامية، ثم أصبح الشيخ الشيباني، وكيلاً للوزارة في حين

حلّ فهد بن خالد السديري محل البوقري في عمله المذكور، وظل أبو خضر الشيباني يشغل عمله هذا حتى سنة ١٣٩٤هـ (١٩٧٤م)، حيث تقاعد وفقاً لرغبته، وله من الأولاد اثنان وعشرون (مناصفة بين الذكور والإناث).

وبعد..ليس من اليسير إيجاز تاريخ الشيخ محمد عبد الرحمن الشيباني في زاوية كهذه، محصورة بين الإعلان والخبر والصور، لكنه إنسان متواضع فاضل، بكل ما تترجمه هاتان الكلمتان من معاني ومفاهيم، وهو ذو ثقافة إسلامية وتربوية عالية، وصاحب مدرسة إدارية ومالية مرنة أسهمت في القفزة الإعلامية التي رافقت تأسيس وزارة الإعلام.

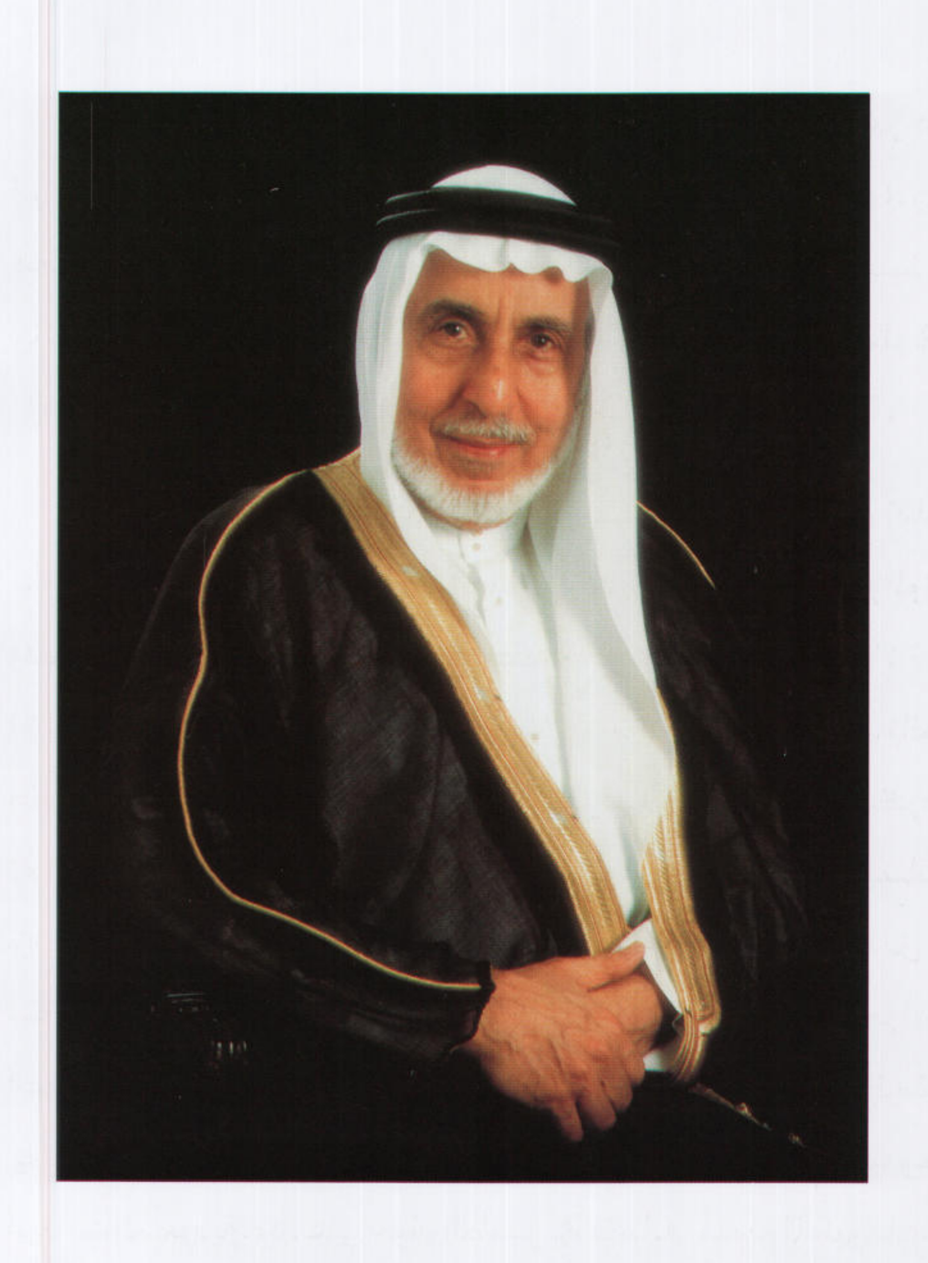
إنه، منذ أن تقاعد، يتخذ من جوار بيت الله الحرام موطناً لإقامته، والتفرّغ للعبادة والتأمل والقراءة، لكن زملاءه وتلاميذه الإعلاميين يطمعون بأن يخصهم بشيء من وقته لتدوين ذكرياته، بارك الله له في جواره، وأبلغه الأجر والثواب.



(١١)

مُقبل بن عبد العزيز العيسى

عكاظ: الإثنين ٢٨ شوال ١٤٢٤هـ ، الموافق (٢٢ ديسمبر ٢٠٠٣م)، العدد (١٣٦٣١).



تتسابق في الذهن قائمة الشخصيات التي تنطبق عليها معايير هذه الزاوية، ممن هم في المقام الأول، بعيدون عن الأضواء، عازفون عنها، رغم عطائهم وخدماتهم في سبيل إنهاض هذا الوطن وتنميته، وممن يعيشون بيننا ولم يسبق لي أن كتبت عنهم في مناسبات سابقة، حريصاً، قدر الإمكان، على أن أكتب عن أحدهم عن معرفة شخصية موثقة.

وصاحب العنوان، هذا الأسبوع، شاعر يقيم في جدة، منذ أن تقاعد عام (١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م) عن عمله الدبلوماسي في عدد من البلدان والمواقع والمسؤوليات، وُلد في مدينة عنيزة بمنطقة القصيم في حدود عام ١٣٤٧هـ (١٩٢٨م) وانتقل مع أسرته إلى الحجاز ودرس الابتدائية في الطائف، كما حصل على الثانوية من مدرسة تحضير البعثات في مكة المكرمة، ثم ابتعث إلى القاهرة سنة ١٣٧٠هـ (١٩٥٠م) حيث نال شهادة الليسانس في الحقوق، والتحق بالعمل الدبلوماسي في وزارة الخارجية، وعمل في لبنان وسويسرا، وله من الأولاد عبدالعزيز وإيمان، كتب عنه د. إبراهيم الفوزان في كتابه عن الأدب في الحجاز، وعبدالكريم بن حمد الحقيل في كتابه عن شعراء العصر الحديث، وصالح جمال في كتاب: وحي البعثات السعودية، ود. علي جواد الطاهر في كتابه: معجم المطبوعات في المملكة، وعبدالعزيز الرفاعي في المكتبة الصغيرة، كما أوردت مجلة

(المنهل) ترجمة لحياته، وحوى معجم عبدالعزيز البابطين عن شعراء العرب نبذة عن حياته، وتناول شعره كثير من المحللين والناقدين ومنهم عبدالله بن إدريس ومحمد العامر الرميح ود. أحمد الضبيب.

صدرت له مجموعة من الدواوين الشعرية منها: قصائد من مقبل العيسى ١٣٩٢هـ (١٩٧١م)، وديوان غربة الروح (١٤١٤هـ - ١٩٩٤م) تقديم د. أحمد الضبيب، والهروب من حاضر، الذي أصدره سنة (١٤١٤هـ - ١٩٩٤م) أيضاً، كما نشرت المطبوعات الصحفية المحلية كثيراً من شعره ونثره، وكان من أقدم ما عثرت له قصيدة في تحية الملك عبدالعزيز مطلعها: (أقبل فها أم القرى مزدانة) نشرتها الجريدة الرسمية أم القرى (١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م).

قيل عن شعره: إن فيه مسحة من التشاؤم، وإن جلّه في موضوعات قومية ووطنية وغزلية، وإن أقدم قصيدة له قد نظمها في مطلع الستينات الهجرية (الأربعينيات الميلادية)، وإنه نهج بشعره نهج الشعراء المحدثين.

وقال عنه د. الضبيب في تقديم ديوانه غربة الروح: «**إنه ديوان شعر جيد، يصدر في وقت بَعُدَ العهد فيه بيننا وبين الشعر الجيّد، أحسست أنني بإزاء شاعر ذي كلمة واضحة وجرَسْ هادئ، وألفاظ تستمدد جذورها من تراث العرب الأصيل**»، ثم استشهد د. الضبيب من لمحات شعره الرقيقة بأبيات من قصيدة نظمها في نكسة سنة ١٩٦٧م يقول في مطلعها:

أختـاه مـا ـ أقسـاه مـن قَـدَرٍ   أن يفقـد الإنسـان مـا أغلـى
حسب القضا أن تخسري وطنا   في غـربةٍ أو تصبحـي ثكلـى

كما يستشهد من شعره في الغزل العذري الرقيق النابع من خصال المروءة والعفة من قصيدة يقول فيها:

تبت يدي إن لامستْ لي صبوة   يمناي أو قتل الظما لي مذهبي
لي من صفات المؤمنين شـمائل   لسوى طريق المؤمنين لم تتعصبِ

واقتبست هذه الزاوية من ديوانه (الهروب من حاضر) بيتين من قصيدة بعنوان (شيخ الصحافة) قالها بمناسبة تكريم أحمد السباعي سنة (١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م):

يا عاشق الحرف كم تحلو الدُّنا بيدٍ   للصالحات وكم تشقى بصنع يدِ
لئن جفاك نجوم كنت تلهمهـا   فلن تهون على الأقمار في بلدي

ويقول من قصيدة له بعنوان: لك الله يا شعب العراق (١٩٩٠م):

لك الله يا شعب العراق أترتضي   حروبـاً وأنت الثاكل المغلـولُ
وحظك منها ثاكل ومعذب   بجـرح وعجـز دائـمٍ وفلـول

إلى أن قال:

تبصَّر، فربعي في الجهاد كتائب   لنصر وماضي الرافدين دليل

ويبدو أن للشاعر تجربةً مع الشعر العامي، إذ عثرتُ له على قصيدة من (١٦) بيتاً، كتبها بتاريخ ١٤٠٥/٣/١٥هـ (١٩٨٤/١٢/٧م)، موجهة إلى أمير منطقة الجوف عبدالرحمن بن أحمد السديري بمناسبة صدور ديوانه (القصايد) يقول في مطلعها:

الله، على شقٍّ صخيّ الوسايد ... في نقرةٍ تهدى نسايم عليله

في نقرةٍ للجوف ما هي صهايد ... تشوي ملامح طارشٍ في مقيله

حيَّا اللّه مقبل العيسى، فهو وإن توارى عن الأضواء، يظل نجماً مضيئاً في سماء الحركة الثقافية السعودية، ورمزاً له مذاق خاص، من رموزها التي نالت الاحترام والإكبار، لأدبه وعزة نفسه وفكره المستنير[1].

---

(١) توفي، رحمه الله، يوم الإثنين ١٤٢٦/٠٢/١٨هـ، وقد رثاه المؤلف بكلمة منشورة في جريدة الجزيرة (الجمعة ١٤٢٦/٠٢/٢٩هـ الموافق ٢٠٠٥/٠٤/٠٨م، العدد ١١٨٨٠)، وكتبت نوّير العنزي، الدَارسة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية رسالة ماجستير عن شعره.

(١٢)

مُحَمَّد المُرشِد الزغيبي

عكاظ: الإثنين ٦ ذو القعدة ١٤٢٤هـ، الموافق (٢٩ ديسمبر ٢٠٠٣م)، العدد (١٣٦٣٨).



ومن الشخصيات المتوارية عن الأضواء، الممعنة في نكران الذات والتواضع رغم ما احتلته في يوم من الأيام من مكانة إدارية وسياسية واجتماعية رفيعة، وما تحتله اليوم في أفئدة عارفيها من سمعة وتقدير واحترام، هو الشيخ محمد المرشد الزغيبي، الذي يتحلق في دارته بحي الحمراء بجدة مساء كل يوم جَمْعٌ من زملائه وعارفيه ومحبيه، تنبلج أساريره لرؤيتهم، فيفتح لهم قلبه وبيته لاستضافتهم وحواراتهم ويضفي عليهم من كرمه ومحبته وإنسانيته مناخ الألفة والصفاء.

أبو مرشد، كما يعرف عند الجميع، هو من أسرة الزغيبي من عنيزة في القصيم، التي اشتهر منها العالم الفاضل خاله الشيخ صالح بن عبدالله الزغيبي إمام المسجد النبوي وخطيبه لمدة «٤٠» عاماً في أواخر عهد الأشراف ومطلع الدولة السعودية في المدينة المنورة، والمتوفى عام ١٣٧١هـ وقيل ١٣٧٢هـ (١٩٥٢م).

كما عرف من هذه الأسرة الكريمة محمد بن إبراهيم الزغيبي الذي تولى خفر السواحل في بدايات الدولة السعودية في الحجاز أيضاً (١٣٤٥هـ - ١٩٢٦م).

ولد محمد المرشد الزغيبي - شخصية هذا المقال - في حدود عام

١٣٣٠هـ (١٩١٢م) في عنيزة، ثم درس في المدينة المنورة، والتحق بأول عمل له في خفر السواحل، في أثناء فترة ابن عم والده محمد الإبراهيم الزغيبي، ثم استمر فيها في أثناء فترة سليمان النانيه الذي تولى إدارتها في حدود عام ١٣٥٠هـ (١٩٣١م).

ثم انتقل عام ١٣٥٨هـ إلى الشعبة السياسية في الديوان الملكي، التي كانت تعد المطبخ السياسي الأهم في الدولة، أو وزارة الخارجية المصغرة المرافقة للملك عبدالعزيز في حله وترحاله، فعمل فيها في أوج عصرها الذهبي في الخمسينيات والستينيات الهجرية (الثلاثينيات والأربعينيات الميلادية)، وكان يرأسها يوسف ياسين ويساعده رشدي ملحس، ومن زملائه عبدالعزيز بن معمر، وعبدالله بن إبراهيم بن معمر، ومحمد العبدالرحمن الشبيلي، وعبدالرحمن المطلق، وعبدالله بن عبدالعزيز التويجري، وعبدالله بن عبدالمحسن التويجري، ومحمد العُمري، وطاهر رضوان.

عني الزغيبي بتنظيم أرشيف الشعبة السياسية، بما تضمه من معاهدات واتفاقيات ومخاطبات دولية ومحلية، ويبدو أنه التحق خلال تلك الفترة بدورة في مصر جعلته أحد المتخصصين القلائل في مجال التوثيق.

وقد نقل خبرته هذه معه إلى وزارة الخارجية عام ١٣٦٦هـ (١٩٤٦م)،

فأشرف على فهرسة وثائق هذه الوزارة التي تلي الديوان الملكي في أهميتها، وتعد أولى الوزارات.

وفي منتصف السبعينيات الهجرية (١٩٥٥م)، عُين الشيخ الزغيبي وزيراً مفوضاً في السفارة السعودية في القاهرة مع الشيخ إبراهيم السليمان العقيل، ثم خلفه في شعبان ١٣٨٠هـ (مطلع عام ١٩٦١م) سفيراً فيها.

وفي ٩/١٠/١٣٨١هـ (مارس ١٩٦٢م) اختير الزغيبي وزيراً للمواصلات خلفاً للشيخ عبدالله السعد القبلان، وبقي فيها حتى ٣/٦/١٣٨٢هـ (أكتوبر ١٩٦٢م) حينما خلفه الشيخ محمد عمر توفيق.

محمد المرشد الزغيبي هو والد كل من مرشد وأحمد وعبدالوهاب وخالد ويوسف وليلى ومها، وهو صاحب سيرة عطرة، وشخصية ودودة محببة، تشجع على قول ما هو أكثر، لكنه الحيز المحدود الذي يضيق عن قول كل ما في الخاطر، منَّ الله عليه بالعفو والعافية.



(١٣)

عبدالله عثمان القصبي

عكاظ: الإثنين ١٣ ذو القعدة ١٤٢٤هـ، الموافق (٥ يناير ٢٠٠٤م)، العدد (١٣٦٤٥).



صاحب قلم صريح، ورأي اصلاحي مستنير، يتوارى عن الأضواء منذ أعوام في مزرعته، بين مكة المكرمة والطائف، يفلح ويقرأ ويتأمل، ولعله يكتب، بعد أن فرّغ نفسه من صخب معدات المقاولات، ومعاناة المراجعات، وصداع المناقصات، وما يستتبعها من منغصات.

الشيخ عبدالله عثمان القصبي، هو من جيل من النجديين النازحين، من أهالي سدير والوشم والزلفي والقصيم الذين قطنوا جنوب العراق لمدد متفاوتة، في فترات مختلفة منذ أوائل القرن الفائت أو قبله، هاجر آباؤهم، وولد الشباب منهم هناك، فنهلوا من علوم حديثة لم تكن تتوافر في كتاتيب هذه البلاد القائمة عند تأسيسها.

كانت هناك ـ بخاصة ـ مدرسة مشهورة في الزبير اسمها «النجاة» أسسها الشيخ محمد أمين الشنقيطي سنة ١٣٣٨هـ (١٩١٩م)، وخرَّجت كثيراً ممن قادوا الحركة التعليمية والثقافية فيما بعد في مدارس القصيم وسدير والأحساء والكويت والبحرين وقطر وغيرها.

فمن المتقدمين الذين درسوا في مدارس جنوب العراق شخصيات مثل المشايخ: محمد بن مانع وصالح بن ناصر الصالح وعبدالعزيز العتيقي ومحمد بن ضاوي وعبدالمحسن أبابطين.

ومن المحدثين شخصيات مثل: السفير محمد الحمد الشبيلي وعبداللطيف أبابطين والدكتور صالح حمدان الحمدان والدكتور عبدالرحمن السويلم والمهندس عبدالمحسن السويلم والشيخ عبدالرحمن أبا الخيل والشيخ عبدالله القصبي وعدد من آل البسّام وغيرهم.

الأستاذ القصبي ولد في الزبير في أوائل الأربعينيات الهجرية (١٩٢٢م) ودرس الابتدائية والثانوية في العراق، وحصل على ليسانس الآداب والماجستير في الصحافة من جامعة القاهرة سنة ١٩٥٧م، وتتسب أسرته إلى بلدة «القصب» المعروفة في إقليم الوشم، شمال غربي الرياض قريباً من شقراء، وتسمى العائلة «آل قاسم».

أسهم مع الأمير طلال بن عبدالعزيز في تأسيس وزارة المواصلات وشارك في وضع هيكلها التنظيمي الأول عام ١٣٧٣هـ (١٩٥٣م)، وكان من بين اهتماماته في الوزارة أمور السكك الحديدية، وقد تلقى دورة تدريبية في بريطانيا في إدارتها، ثم عين بعد حين مديراً عاماً لمصلحة الطرق، ثم رئيساً لبلدية جدة.

وبعد استقالته، عمل مديراً لمؤسسات عبدالله هاشم ثم أصبح مديراً عاماً لمؤسسة المدينة الصحفية لفترتين، وكان أحد أعضائها المؤسسين وأحد كتّابها المبرزين في تلك الفترة.

ومازلت أذكر سلسلة مقالات جريئة ناقش فيها وضع المؤسسات الصحفية بوجه خاص، والإعلام السعودي بشكل عام، في مطلع التسعينيات الهجرية (السبعينيات الميلادية)، نشرها في جريدة المدينة المنورة في حينه.

ثم برز اسم الشيخ عبدالله القصبي بوصفه واحداً من أبرز المقاولين السعوديين في مجالات التشييد والطرق والإنشاءات، وذلك في أعقاب تكوين مؤسسته (كرا) في عام ١٣٨٨هـ (١٩٦٨م)، التي نفذت عدداً من مشروعات المشاعر المقدسة وأنفاقها، كما تولى رئاسة مجلس إدارة شركة مكة للإنشاء والتعمير، وعدد آخر من الشركات، وكان في بعض آخر عضواً في مجالس إدارتها.

ثم أدخل مؤسسته (كرا) في مجال الصناعة والتعدين، فحصلت على مجموعة من الامتيازات، مما جعله يتجه قبل أربعة أعوام إلى تفريغ نفسه وتركيز نشاطه على تطوير أعمالها بالتوجيه والإشراف العام، ولولا أن «أبا ماجد» قد حقق نجاحات مشهودة في مجال الأعمال، لكان الظن أنه أقرب إلى العمل الفكري الثقافي الذي لا يسمح أحياناً بأي منافسة من نوع آخر، لكنه الدليل على ما يتميز به الشيخ القصبي من ذهن متفتح وكفايات متنوعة.

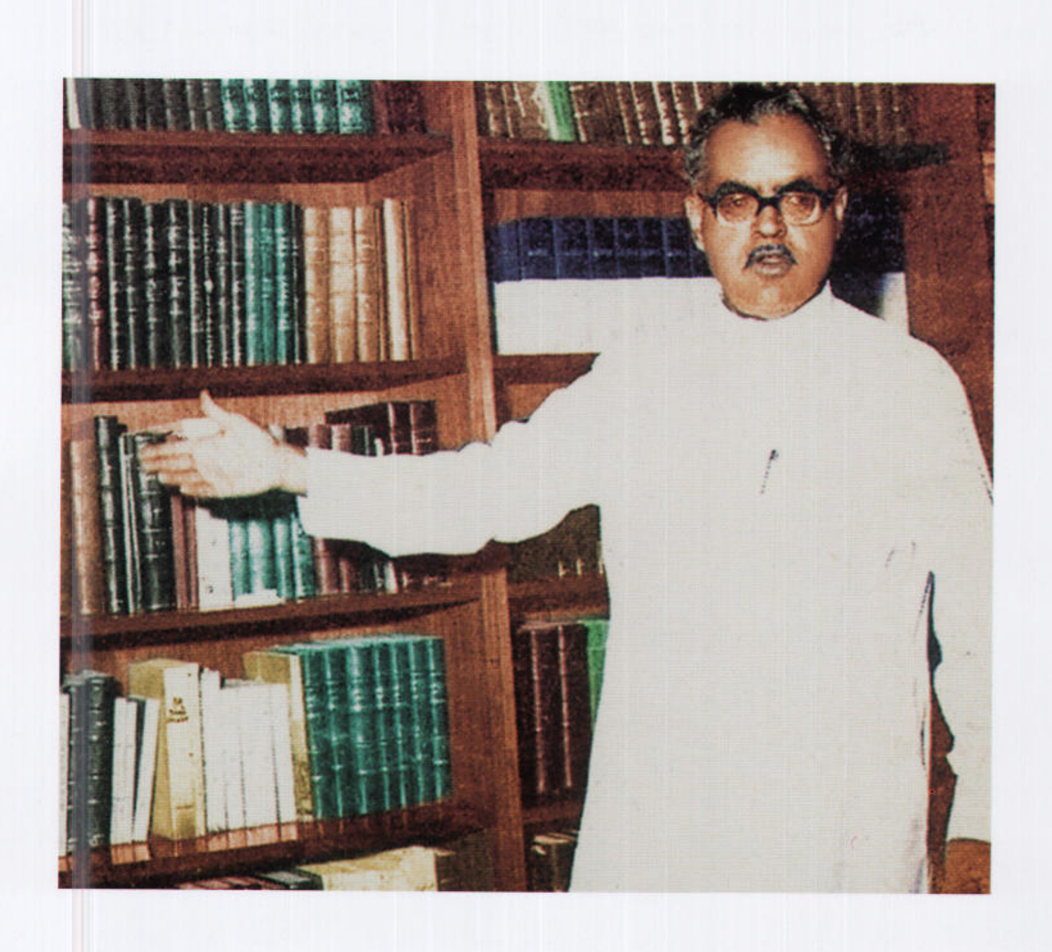
شخصية هذا المقال هو والد د. ماجد القصبي وإخوانه أسامة ومنى ومي، وعلى صحافتنا، وبخاصة جريدة المدينة، التي خدمها بقلمه ورأيه

وإدارته أن تخرجه من عزلته، فهو والحمد لله مايزال متوقد الذهن، واضح الرؤية، ومجتمعنا هو أحوج ما يكون في هذه الفترة بالذات إلى كل من يمتلك الفكر واللسان والقلم للإسهام في صونه وتنويره.

(١٤)

د. عبد الله بن ناصر الوهيبي

عكاظ: نشر في جزأين: الإثنين ٢٠ ذو القعدة ١٤٢٤هـ ، الموافق (١٢ يناير ٢٠٠٤م)، العدد (١٣٦٥٢)، وعدد يوم الإثنين اللاحق له.



من بين قائمة الشخصيات العازفة عن الأضواء، التي مر ذكرها، لا أحد حيرني صمته وعزلته مثل الدكتور عبدالله بن ناصر الوهيبي، حتى كاد يفتقده المجتمع الثقافي والتعليمي، بالرغم من أنه سليل علم، ومؤرخ ومتابع، وأستاذ كبير في التراث والأدب العربي، ويمتلك مكتبة ثرية عامرة.

أبو ناصر، كما يميزه بهذا اللقب محبوه وعارفوه، يقبع في دارته بحي الربوة في مدينة الرياض، يأنس بزيارة أصدقائه وأقاربه مساء كل يوم، فيستمعون إلى طرفه وتعليقاته ويستمتعون بأحاديثه وذكرياته، ويستفيدون من علمه ومخزون مكتبته.

هو في الاعتبار والعلم أشبه بالعمدة في حيّه يسعى لتطويره ويتابع شؤونه ويهتم بجيرانه ويقوم بواجباته الاجتماعية خير قيام.

وهو المتابع للحركة الثقافية وللجدية في نتاج الطبع والنشر، والحريص على حضور ندوة أستاذه الشيخ حمد الجاسر ضحى كل يوم خميس، والعالم الذي لا يبخل بمعرفته بل يتبنى حاجة الباحثين حتى يلبيها ويحققها لهم دون منّة أو جلبة أو تظاهر، وهو المرجع، بتواضع، لمن تعترضه مشكلة أو معلومة ناقصة، أو العثور على كتاب نافد، أو خلاف علمي تراثي.

فهو وإن احتجب عن التظاهرات الاجتماعية والثقافية، فإنه لا يحجب نفسه عن خدمة الباحثين، أو متابعة ما يدور في الساحة الثقافية والتراثية

من مستجد، أو قديم مبعوث من جديد.

أبدأ بالتعريف بوالده المولود سنة ١٣٢٤هـ (١٩٠٦م) في رياض الخَبْراء بالقصيم ودرس في المدينة المنورة، ثم التحق بفرقة الهجانة وارتحل معها إلى ضبا، وصار قاضياً فيها ثم نقل إلي قضاء تبوك فأملج فينبع، ثم الطائف، عين عام ١٣٦٨هـ (١٩٤٨م) في رئاسة القضاء بمكة المكرمة، ثم أصبح مستشاراً في ديوان المظالم بعيد تأسيسه على يد الأمير مساعد ابن عبدالرحمن في عهد الملك سعود، وانتهى به المطاف نائباً لرئيس الديوان إلى أن توفي عام ١٣٨٢هـ (١٩٦٢م).

أما بالنسبة لشخصية هذا المقال د. عبدالله بن ناصر الوهيبي، فقد ولد عام ١٣٤٨هـ (١٩٢٩م) في رياض الخَبْراء أيضاً، ودرس في كتَّابي عمّه وعمّة أبيه، ثم لحق بأبيه في أملج، ودرس فيها الابتدائية، وعمل كاتباً في محكمة البلدة مع والده، ثم تنقل معه إلى ينبع والطائف ومكة المكرمة، حيث ترك الوظيفة والتحق بالمعهد العلمي السعودي ثم بمدرسة تحضير البعثات.

ثم ابتعث إلى مصر عام ١٣٧٢هـ (١٩٥٢م)، وبعد أن سجل للماجستير بعد نيل البكالوريوس أجبره مرض والده على العودة ليكون إلى جواره، فالتحق بسلك الإدارة التعليمية في وزارة المعارف، وانتهى به الأمر أميناً عاماً لجامعة الملك سعود في بداياتها.

وقد تهيأت له الفرصة بعد وفاة والده لاستئناف البعثة إلى جامعة لندن، حيث نال الدكتوراه في الأدب العربي عام ١٣٨٩هـ (١٩٦٩م).

كان يقيم في «كمبردج» على بُعد ساعتين من لندن، لكنه قبل افتتاح الملحقية التعليمية في بريطانيا لرعاية المبتعثين، ورغم بُعده عن لندن، يبذل نفسه وماله لاستقبال الموفدين الجدد، وتذليل سكنهم وقبولهم، وقد أورد الأستاذ عبدالعزيز الذكير كاتب زاوية «نافذة الرأي» اليومية في جريدة الرياض قصيدة نبطية قالها الشاعر المعروف سعد العبدالعزيز السليم عندما زاره في كمبردج يقول فيها:

ويش كمبردج لولا حمد والوهيبي

حريمها عجز على بسكليتات

يقصد حمد العبدالله العلي الزامل والدكتور الوهيبي.

جاءت أطروحته حول كتابات الجغرافيين العرب عن شمال الحجاز حتى القرن الرابع الهجري، طبعت في بيروت بنصها الإنجليزي، عن دار الرسالة ١٩٧٣م، (٥٠٠) صفحة، مهداة إلى صديقه معالي الشيخ ناصر المنقور.

وبعودة أبي ناصر إلى أرض الوطن، عاد إلى الجامعة أميناً عاماً لها، ثم طلب التفرغ للتدريس، وتقاعد مبكراً عام ١٤٠٤هـ (١٩٨٤م).

للدكتور الوهيبي أبحاث معمّقة في مجال تخصصه، نشرها في دائرة المعارف الإسلامية، وفي مجلة (العرب) لشيخه حمد الجاسر، وفي غيرهما

من الدوريات العلمية العربية «وكان مما اطلعت عليه من أعماله استدراك على كتاب المناسك الذي كان الشيخ الجاسر يرجّح نسبته للحربي، فقد رأى الوهيبي أن اسم الكتاب هو: منازل الطريق، وأنه للقاضي وكيع، مجلة العرب، محرم ١٤٠٥هـ».

وكان من أبرز خدماته المجتمعية ذات المساس بطبقة واسعة من المحتاجين رئاسته لمجلس إدارة بنك التسليف الزراعي ولمجلس إدارة الصندوق العقاري في فترة من الفترات، كما كانت له آراء رصينة في قضايا اجتماعية عدة، ومشاركات نيّرة أصيلة، لكنه تدرّج من الإقلال إلى ما يشبه الإقلاع عن نشر إسهاماته، في وقت تحتاج البلاد إلى آرائه وأمثاله وأصواتهم وأقلامهم، فهل يا تُرى سيظهر بعد هذا المقال من يُخرج لنا «أبا ناصر» من صمته واختفائه؟.

أسبغ الله عليه نعمه ظاهرة وباطنة، وأبقى نور داره - كعادته - مضاء ليستمر مشعلاً للباحثين وموئلاً للقاصدين والمحبين[1].

---

(١) توفي خارج المملكة، ونقل جثمانه إلى الرياض ودفن فيها يوم الخميس ٢٥ ذي القعدة ١٤٢٥هـ (٢٠٠٥/٠١/٠٦م)، وللكاتب مقال يرثيه نشرته جريدة الشرق الأوسط في اليوم نفسه، كما خصصت خميسية الشيخ حمد الجاسر «ضحوية» يوم ١٤٢٦/٠١/٠٧هـ - ٢٠٠٥/٠٢/١٧م، تحدث فيها الحاضرون عن مآثره.

(١٥)

د. أحمد محمد علي

عكاظ: الإثنين ٤ ذو الحجة ١٤٢٤هـ ، الموافق (٢٦ يناير ٢٠٠٤م)، العدد (١٣٦٦٦).



جرّه عالم التنمية في العالم الإسلامي وشؤون اقتصاده، حتى كاد المجتمع ينسى أنه، تاريخاً وممارسة، ومن رأسه إلى قدميه، رجل تربية وتعليم، ولولا أن في وظيفته، رئيساً للبنك الإسلامي للتنمية منذ ثلاثة عقود، خدمة للإسلام والمسلمين، لكان التعليم إليه أحوج وهو منه أقرب وفيه أنفع[1].

لكن شخصية هذه المقالة، وقبل الحديث عن جوانب من سيرة حياته، إنسان تنطبق عليه معايير هذه الحلقات أشد الانطباق، فهو من ناحية، أمضى زهرة شبابه وبإخلاص في خدمة بلاده وأمته، ثم إنه رجل فاضل، يؤدي عمله بعيداً عن المظاهر والأضواء، ولولا أن مناسبة الحج السنوية، تذكّر الناس بعلاقة البنك بقضية الهَدي والفدية، لظننت أن الناس في جدة، وهم الأقرب إليه، لا يعرفون عن البنك ورئيسه الكثير.

لكن الهيئة التعليمية والطلاب، في وزارة التربية والتعليم وفي جامعة الملك عبدالعزيز، يذكرون فضله وخدماته الجليلة التي أسداها لهذه المؤسسات في فترة السبعينيات والثمانينيات والتسعينيات الهجرية، مما سجّله له تاريخ التعليم وبقي محفوراً في ذاكرته، وبما لا يسمح لعالم

---

(١) منح جائزة الملك فيصل العالمية في خدمة الإسلام (١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م).

البنوك والتنمية أن يمسحه أو يخفيه حتى وإن اندمج فيه وغاص في أعماقه.

ولد الدكتور أحمد علي في المدينة المنورة سنة ١٣٥٢هـ (١٩٣٤م) ودرس الثانوية فيها، ثم نال شهادتين جامعيتين في التجارة والحقوق من جامعة القاهرة في سنتي ١٣٧٦ و ١٣٧٨هـ (١٩٥٧ و ١٩٥٩م).

ثم أضاف تخصص الإدارة العامة «مع التركيز على الإدارة المالية» إلى سلة تخصصاته المتنوعة، فنال فيه درجتي الماجستير والدكتوراه من جامعتين أمريكيتين مرموقتين، وكانت أطروحة الدكتوراه دراسة مقارنة لنظامي الرقابة المالية في المملكة وولاية نيويورك.

كان الدكتور أحمد قد تقلّب في مناصب تعليمية عدة في وزارة المعارف منذ أن حصل على شهادته الجامعية الأولى، ثم أصبح رئيساً بالنيابة لجامعة الملك عبدالعزيز، بعد أن تحوّلت من جامعة أهليّة إلى حكومية، ١٣٨٧هـ (١٩٦٧م)، وبعد أن حصل هو على الدكتواره، ثم خلف د. محمد عبده يماني في وكالة وزارة المعارف للشؤون الفنية ١٣٩٢هـ (١٩٧٢م) ولمدة ثلاثة أعوام حين أصبح أول رئيس للبنك الإسلامي للتنمية، الذي أنشئ تحت مظلة منظمة المؤتمر الإسلامي، ليكون البنك ذراعها في تنمية الدول الأعضاء اقتصادياً، متخذاً من جدة مقراً له.

لبث د. أحمد علي رئيساً لهذا البنك الإقراضي، الذي تسهم المملكة بجزء كبير من رأسماله، لمدة عشرين عاماً، اختير بعدها أميناً عاماً لرابطة العالم الإسلامي ولمدة عامين ١٤١٤ ـ ١٤١٦هـ (١٩٩٣ ـ ١٩٩٥م) عاد بعدها إلى رئاسة البنك وحتى تاريخه.

ومع أن المعروف أن طبيعة عمل البنك تقتصر على التواصل مع الحكومات، لكنه منذ عدة أعوام تصدى لمشكلة كانت مدار البحث عن مُنقذ وحلّ، ألا وهي مشكلة الهدر الاقتصادي للحوم الهدي والفدى في موسم الحج، حيث كانت تُسفك وتتُرك في مِنى، مصدراً من مصادر التلوّث والأمراض، فتبنى البنك بالتعاون مع شركة الراجحي المصرفية وأمانة العاصمة المقدسة، تنظيماً جيداً يكفل الاستفادة من هذه الثروة، ويصرفها لمستحقيها في سائر أنحاء العالم الإسلامي، تتكفل المملكة بجزء كبير من أعباء تنفيذه، ويُنسب الفضل فيه بعد الله إلى اهتمامه ومتابعته الشخصية.

جزاه اللّه عما قدّمه لوطنه الإسلامي الكبير خير الجزاء، وأمدّ في حياته كي يواصل هذا البنك الفاعل المؤثر خدماته الإيجابية في زمن فقد المسلم ثقته في كل مؤسسة مشتركة، هذا البنك، التنموي في خدماته، وبرئيسه الإنساني، الذي لم يسلم من هجمة العداء الغربية على تشويه كل ما هو خيري.

أما على الصعيد الأسري، فإن للدكتور أحمد ابناً واحداً وأربع بنات، لكن ما لا يعرفه الكثيرون، أن إنسانية هذا الرجل قد شملت الطير فهو السعودي الوحيد ـ على ما أظن ـ الذي ينتمي لجمعية مراقبة الطيور العالمية، يمضي الساعات على شواطئ المملكة، ينظر في هجراتها وعاداتها، ويتأمّل في قدرة خالقها، إنه نموذج حي لنزاهة اليد والاستقامة الشخصية ونكران الذات، نتمناه شائعاً في مجتمعنا.

(١٦)

عبد الرحمن عبد القادر فقيه

عكاظ: نشر في جزأين: الإثنين ١١ ذو الحجة ١٤٢٤هـ، الموافق (٢ فبراير ٢٠٠٤م)، العدد (١٣٦٧٣)، وعدد اليوم اللاحق له.



تخطر على البال صورة هذا الرجل، كلما مرّت العين على عرفات الله، أو كلما طاف في الذهن خيالها، فهو أحد النماذج المعاصرة للقادرين الذين وهبهم الله ثروة، فوظّفوها في بلدهم، واستشعروا واجب حمدها في رعاية ضيوف الرحمن وإكرام وفادتهم وسقياهم، دون بهرجة أو دعاية أو إعلام.

ساند عبدالرحمن فقيه جهود الدولة في خدمة الحرمين الشريفين، وأسهم بنصيب الفرد في بعض مشروعات أصيلة ونافعة، كسقيا الحجاج، وتشجير عرفات وتلطيف أجوائها بالرذاذ، وظلت مشروعاته لسنوات طي الكتمان، لأنه لا يرجو فيها سوى وجه الله ورضوانه إن شاء الله.

وإذا كان هناك من سلبيات تذكر في قيام الحكومة بتحمّل كل نفقات إعمار الحرمين الشريفين والمشاعر المقدسة، فهي أن الناس اعتمدوا على الدولة حتى انحسرت إسهاماتهم أو كادت، وانحصرت في أوجه خيرية محدودة معروفة، مع أن التاريخ يذكر أوقافاً وهبات وتبرعات كبيرة، كان الأقدمون يقدمونها لكل جوانب إعمار المدينتين المقدستين وسكة حديد الحجاز، التي نُفّذت بأموال المحسنين في أوائل القرن الماضي.

الأمر الثاني الذي تبرز فيه صورة عبدالرحمن فقيه، هو ذلك المُنتج الوطني، الذي استطاع أن يسوّقه بأسعار معقولة، ويرتقي به إلى مصاف

(الماركات) الغذائية الشهيرة، بعد أن أوجد المقومات التحتية الكفيلة بإعداده وتحضيره من مواده الأولية محلياً، وأقصد بذلك سلسلة مطاعم (طازج)، التي بدأت تنتشر داخلياً، وتصل إلى بعض الأسواق الخارجية تدريجياً، تحمل العلامة السعودية المميّزة.

قاوم الشيخ فقيه إغراءات رفع الأسعار، فالتزم بأقيام منخفضة خدمة للمستهلكين، مكتفياً بالربح القليل، وضارباً المثل بالقناعة في التجارة، ورابحاً ثقة الزبون واحترامه.

الأمر الثالث الذي يُحتسب للشيخ فقيه، ويُحمد له، هو اهتمامه بالجانب البحثي في «صناعة» الدواجن، وهو جانب حيوي مهم، لكونه يتصل بغذاء الناس واقتصاد الوطن، واهتمامه به ينبئ عن ذهن مستنير، لم نتعوّده إلا من شركات عملاقة مثل أرامكو وسابك ونحوهما، من الشركات التي تعتمد على الخبرات الأجنبية، وتقدّر الأبحاث العلمية ولا تستخسر نفقاتها الآنيّة في مقابل فوائدها بعيدة المدى.

كان مما اهتم به مركز فقيه للأبحاث والتطوير تخصيص جوائز محفزة على سنوات لدراسة تقنية المياه، ولابتكار أفكار تتصل بخدمة حجاج بيت الله الحرام.

الأمر الرابع الذي يقدّر للشيخ فقيه ولا تُنسى جهوده فيه، هو إسهاماته في تطوير المنطقة المركزية حول المسجد الحرام، والدراسات الأخرى الهادفة

إلى الاستفادة من محيط جبل عمر المطل على الحرم الشريف، والتي عمل لسنوات على رعايتها من خلال شركة مكة للإنشاء والتعمير، لتكون المشروع المشترك القادم لها بالتعاون مع هيئة تطوير العاصمة المقدسة.

أكتفي بذكر هذه النماذج الأربعة من أعماله الجليلة، في خدمة حجاج بيت الله الحرام، وفي تنمية الاقتصاد الوطني والبحث العلمي، وإلا فإن القراء الكرام من مواطني منطقة مكة المكرمة بخاصة، أعرف من كاتب هذه الزاوية بمآثره الأخرى.

والشيخ فقيه من مواليد عام ١٣٤٣هـ (١٩٢٥م) في مكة المكرمة، لم ينل قسطاً وافراً من الدراسة المنهجية، لكنه تابع تثقيف نفسه ببعض العلوم الضرورية لممارسة حياته العملية والتجارية، كالإنجليزية وشيء من دروس العلوم والكيمياء.

عاضد والده في تجارة بيع الأصواف والحرير، ثم تحوّل إلى تجارة الأغذية، فصار أول سعودي يتخصص فيما يمكن تسميته (صناعة الدواجن)، التي كان من ملامحها إنشاء مزارع لإنتاج البيض والدجاج والأعلاف في مناطق مختلفة من البلاد، ثم تطور في هذا المجال فأقام إلى جانبها سلسلة المطاعم الوطنية الشهيرة (طازج) منذ عام ١٤١٥هـ (١٩٩٥م)، بل لعله طوّر هذه الصناعة المتكاملة بإضافة حلقة صناعية أخيرة لإنتاج الأسمدة العضوية من مخلفات الدواجن.

ما يميز عبدالرحمن فقيه وأمثاله من أصحاب البيوتات التجارية العريقة في التجارة والصناعة، عدم دخولهم في المضاربات العقارية وإن كانت كالأسهم - قد تدرّ عوائد عالية وسريعة - لكنه شخصياً يبتعد عنها لشعوره بأن بعض ممارساتها لا تخلو من الاستغلال، فضلاً عن إيمانه بالتصنيع بوصفه خياراً أساسياً في مستقبل الوطن ورخائه.

اقترن اسم الشيخ فقيه بإسهاماته الفاعلة في كثير من المجالات الإنسانية والخيرية، كجمعيات البر، ورعاية السجناء، وإسكان المحتاجين والسعي لإصلاح ذات البين، والتوسط مع المسؤولين، والشفاعة في أعمال الخير ومساعدة الناس.

كما اقترن اسمه برئاسة الغرفة التجارية والصناعية في مكة المكرمة حتى أعوام قريبة، وبرئاسة مجلس الأوقاف في المدينة المقدسة حتى تاريخ نشر هذا المقال، وبعضوية مؤسسة مكة للإعلام التي تصدر جريدة (الندوة).

وسيذكر له تاريخ إعمار مكة المكرمة وتطويرها جهوده في تحقيق مقاصد الحكومة في تنمية المنطقة المركزية المحيطة بالحرم الشريف، بإزالة المباني المجاورة وتوسعة الساحات الملاصقة مع اختيار أنظمة مبان سكنية وفندقية ذات كفاية استيعابية أفضل.

ومن بين اهتماماته الجديدة، التي أصبح له قدم ريادة وسبق فيها، مشروعات سياحية مبتكرة في جدة مثل: المتحف المائي (الإكواريوم) ومنتجعات النورس والشراع والشلال.

والشيخ عبدالرحمن، كما هو معروف، هو الثاني في الترتيب بين إخوانه: محمد وعمر (وزير الدولة السابق) والدكتور سليمان (صاحب المستشفى المعروف) وصالح وأخواتهم الثلاث، كما أنه والد كل من: طلال وطارق وعبدالقادر ومحمود وأخواتهم: فوزية وسعاد وخيرية.

هذه ملامح موجزة من سيرة رمز من رموز الاقتصاد الوطني، الذي جنّد نفسه وماله وجاهه لخدمة أمته ووطنه، فحاز على تقدير المجتمع واحترامه، فادعوا له بمديد العمر والأجر والثواب، وأن يؤهّل المقصّرين من رجال الأعمال والقادرين ليحذوا حذوه وأكثر في خدمة هذا الوطن العزيز وإنمائه ونهضته.

وعلى الله قصد السبيل.



(١٧)

عُمَرَان بن مُحَمَّد العُمَرَان

عكاظ: الإثنين ١٨ ذو الحجة ١٤٢٤هـ، الموافق (٩ فبراير ٢٠٠٤م)، العدد (١٣٦٨٠).



عرفته منذ عقود، أديباً وصحفياً ورجل مجتمع، ثم صحبته عن قرب في الدورتين الأولى والثانية لمجلس الشورى، زميلاً، يضفي عليه أدبه الجمّ سمتاً وصمتاً وهدوءًا، وتعقلاً في معالجة الأمور، ونظرة ثاقبة في الإصلاح والتطوير، ونزاهة في التعامل، يستنكر الإسراف، ويتجنب الأضواء والمظاهر، ويؤدي واجباته الاجتماعية والإنسانية بمثالية واعتدال، لكن هذا المقام المحدود مساحته، يتوقف عند محطات ثلاث منسيّة من محطات حياته الثقافية:

الأولى: أنه كان السند الكبير لشيخه العلامة حمد الجاسر في إصدار مجلة اليمامة (١٣٧٢هـ ـ ١٩٥٢م)، وهي رائدة المطبوعات الصحفية في الرياض والمنطقة الوسطى كافة، حيث كان يعتمد عليه عند حضوره أو غيابه، في تحريرها وطباعتها وإدارتها، وعاش معه معظم الفترات والظروف الصعبة التي مرّت الصحيفة بها.

النقطة الثانية: أنه بعد أن صدرت جريدة (الرياض)، أول إصدارات مؤسسة اليمامة الصحفية، خلف الشيخ الجاسر في رئاسة تحريرها، إذ كان حمد الجاسر تولّى الإشراف مؤقتاً على بداياتها، ثم عُيّن الأستاذ عمران أول رئيس رسمي لتحريرها خلال عام ١٣٨٥هـ (١٩٦٥م)، حين خلفه لفترات متفاوتة كل من عبدالعزيز التويجري، ثم عبدالعزيز

العمران، ثم أحمد الهوشان، ثم رئيس التحرير الحالي تركي بن عبدالله السديري.

أما **المحطة الثالثة:** فهي أن القليلين يعرفون عن موهبته الشعرية، ويتذكرون دواوينه ودراساته النقديّة والأدبيّة، ذلك أنه قليل التظاهر بشاعريته، وربما طغت أعماله الإدارية على سماته الثقافية، واهتماماته بالشأن الفكري، كما سنرى.

فمن نماذج شعره قصيدة بعنوان «**الأمل الظامئ**»، وهي واحدة من بين (٧٥) قصيدة ضمها ديوانه الذي يحمل اسم القصيدة نفسها:

كلّما قيل: وحدة العُرب لاحت فَطِرِبْنَا لها دَهَانا مصاب

كالمحب الولهان يرمق «ليلاه» فتقسو على مناه الصعاب

فرقة تبعث الشجون تباعاً ويذيب الفؤاد منها التهاب

شهد الله كم تحجّر دمعي في مآقيَّ واعتراني اكتئاب

إلى أن يقول:

ليت شعري أين المفرّ فأفق العُرب ما انفك يعتريه الضباب

فإلى أين؟ لست أدري ولكن ملء كفي تشاؤم وسراب..

ينتمي الأستاذ عمران إلى أسرته الكبيرة المعروفة في الرياض

والأحساء، التي ينحدر منها العبيكان والثنيّان والراشد والعبدالقادر، ومنها العديد من العلماء والسفراء ورجال التربية والأعمال.

ولد عمران في الرياض سنة ١٣٥٢هـ (١٩٣٣م)، وحاز في سنة ١٣٧٧هـ (١٩٥٧م) الشهادة الجامعية في اللغة العربية، ثم حصل على دبلوم عال من معهد الدراسات العربية في مصر، وقد عمل بعد تخرّجه في لجنة الأنظمة بمجلس الوزراء (١٣٨١هـ - ١٩٦١م)، ثم انتقل إلى وزارة العمل والشؤون الاجتماعية، حيث رأس مكتب العمل في المنطقة الشرقية، ثم أُعيرَت خدماته مديراً عاماً لشركة كهرباء الرياض، ثم صار مديراً عاماً للشؤون المالية والإدارية في مصلحة الأشغال العامة (١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م)، وارتبط اسمه كثيراً في الذهن بآخر عمل حكومي تولاّه قبل عضويّة مجلس الشورى، وهو عمله مديراً عاماً لمصلحة المياه بالرياض بين عامي ١٣٩٧ - ١٤١٤هـ (١٩٧٧ - ١٩٩٤م).

وله من الأبناء خمسة هم: محمد وعبدالعزيز ويوسف وأحمد وعبدالله، ومن البنات ثلاث هن: مريم وندى وسارة.

أما مؤلفاته فإن من أبرزها كتاب: من أعلام الشعر اليمامي (القدامى) ١٣٧٧هـ (١٩٥٧م)، وكتابه عن الشاعر الأحسائي البحريني ابن المقرّب ١٣٨٨هـ (١٩٦٨م)، وكتابه شؤون وآراء ١٤١٣هـ (١٩٩٣م)، وكتابه: هوامش أدبية ١٤١٣هـ (١٩٩٢م)، وديوان: الأمل الظامئ «شعر»

١٤٠٣هـ (١٩٨٣م)، وكان ينشر إنتاجه في مجلة (اليمامة)، ثم في صحيفتي (الرياض والجزيرة) ومجلتي (الدعوة والمعرفة) وغيرها.

الأستاذ العمران، الخلوق في تعامله، المقتصد في ظهوره، ينتظر منه تاريخ الصحافة بالذات أن يسجّل ذكرياته، وهو الذي عايش البدايات، وذاق من آلامها، وتذوّق مسرّاتها، وهو قدرة عالية في الكتابة الاجتماعية والأدبية، لكنه كاتب مقلّ أو بالأحرى منقطع، في وقت يحتاج المجتمع إلى قلمه وأقلام أمثاله من الكتّاب المتميّزين الملتزمين بالوسطية والاعتدال، والنقد الهادف، والرؤية الموضوعية المتعقلة للأمور ومجرياتها.

(١٨)

عبد العزيز بن زيد القريشي

عكاظ: نشر في جزأين: الإثنين ٢٥ ذو الحجة ١٤٢٤هـ، الموافق (١٦ فبراير ٢٠٠٤م)، العدد (١٣٦٨٧)، وعدد يوم الإثنين اللاحق له.



«لو لم أكن عبدالعزيز الخويطر لرغبت في أن أكون عبدالعزيز القريشي»..

لا أعتقد أن هناك أبلغ من هذه الشهادة، يدلي بها قائلها بمثل هذه الشفافية، في لقاء صحفي كرره - د. الخويطر - في كتابه: حديث الركبتين، الصادر عام ١٤٢١هـ (٢٠٠١م) ص ٢١١.

ثم أضاف يقول: «**لأن الميزات التي فيه تُخطب، عقل وهدوء وكفاءة وصمت وحب للخير، وهي بعض الصفات الجميلة فيه، وهي الصفات الأقرب إلى ذهني الآن، وإلا فإن ما يتبعها من صفات حميدة لا تحصى، ولا أظن أحداً من أصدقائنا إلا ويُؤَمِّن على كلامي**».

لقد كان د. الخويطر، وهو الأخ الأكبر والمعلّم والصديق، من أوائل من احتفى بهذه الزاوية منذ أن بدأت في مطلع شهر شعبان الماضي، لأنه إمام من ينكرون الذات، ويعزفون عن الأضواء، وهي السمات التي تتحراها هذه الحلقات في الشخصيات التي تختارها، فإذا به يلمح لي بأن يكون الشيخ القريشي أحدها، وأجزم أن بين الشخصيتين كثيراً من القواسم المشتركة.

وإذا صح لهذه الحلقة أن تضيف شيئاً يوضح مقاصد تلك التزكية

البليغة من د. الخويطر، في جملتها الموجزة والمعبرة عن شخصية هذا المقال، فهو أن الشهادة الكبرى تظل في يد المجتمع، عندما يحافظ المسؤول على مكانته فيه بعد أن يترك الوظيفة العامة، ويظل مرفوع الرأس، كبيراً في أعين الناس، والسر يكمن في خلطة سحرية تتكون من عدة عناصر منها: الكفاءة، وعزة النفس، ونزاهة اليد واللسان، وخدمة الناس، والإخلاص للوطن، وهي عناصر، أظن ـ ولا تزكية على الله لأحد ـ أنها تجتمع فيه.

ثم إن الشيخ عبدالعزيز، كان أحد قلّة من كبار المسؤولين في الدولة، الذين ترجّلوا عن سدة وظائفهم القيادية بمحض رغبتهم وإرادتهم وذلك في أثناء ذروة نجاحهم، إما عزوفاً عن الاستمرار في الوظيفة العامة بعد أن خدموها مدة كافية، أو ابتعاداً عن مظنة التداخل مع مصالحهم الخاصة، أو رغبة في التفرغ لأعمالهم، ويذكر منهم، المحامي د. عبدالله العمران، والشيخ صالح الحصيّن، ود. سليمان السليم، والسفير محمد الشبيلي الذي اعتذر عن عدم قبول منصب وزير العمل والشؤون الاجتماعية (١٣٨٢هـ ـ ١٩٦٢م) قبل أن يؤدي القَسَم.

والشيخ القريشي غاية في تنظيم وقته وأعماله والتزاماته، وأحسب أن برنامج العام الكامل يعدّه سلفاً ويضعه أمامه على مكتبه، حتى أصبح قدوة لأقرانه في حسن إدارة الوقت، كما عرف بين الجميع بالصمت وعفة الكلمة ودقة اختيار التعبير، وسلامة الموضع والمناسبة والتوقيت،

مع الالتزام بأداء الموجبات الاجتماعية والاهتمام ـ بهدوء وكتمان ـ بحل مشكلات معارفه وأقربائه، حتى كسب احترام الجميع وتقديرهم.

وهو عقلية إدارية متفتحة متقدمة ومرنة، رافق، بوصفه أول مدير عام سعودي، نقل إدارة سكة الحديد من إدارتها الأجنبية «الأمريكية» بشكل انسيابي، وحافظ على مكاسبها وتقاليدها ونظمها، ثم نقل ديوان الموظفين العام «كما كان يسمى قبل تغيير اسمه إلى وزارة» عبر نظامه المطوّر الثالث الذي صدر في عهده (١٣٩١هـ ـ ١٩٧١م)، والذي رفع من شأن الوظيفة العامة وقيمتها.

أما في مؤسسة النقد، التي أصبح أول محافظ سعودي لها، بعد أن حققت إدارة أنور علي وسابقيه من خريجي صندوق النقد الدولي أهدافها، فقد اتسمت فترته بإنجازين مهمّين، تمثل أحدهما في الكفاءة العالية، بإدارة واردات الخزينة العامة بعد نشوء فوائض مالية نقدية عالية جداً في سنوات الطفرة التي تلت ارتفاع أسعار البترول، وبخاصة في ضوء ندرة الكفاءات الوطنية المتخصصة ونقص التجربة لديها في هذا الميدان.

أما الإنجاز الثاني، فهو بدء تحويل البنوك الأجنبية المرخص لها في المملكة إلى بنوك وطنية مشتركة، يمتلك السعوديون فيها الحصة الأكبر في رأسمالها (٦٠٪) مع إبرام عقود مع الشريك الأجنبي السابق لإدارة هذه البنوك، حتى تحوّل معظمها فيما بعد إلى إدارة وطنية.

ارتبط التاريخ الإداري للأستاذ القريشي بأولويات مهمة، تحتسب لظهور جيل جديد من الإداريين السعوديين الذين أثبتوا جدارتهم في مراكز كانت تعدّ حكراً على الأجانب، أو بتعبير آخر أدق، بدأ هؤلاء الإداريون المواطنون بتغيير أسطورة المديرين والمستشارين غير السعوديين، الذين اضطرت البلاد للاستعانة بهم، بسبب نقص الكفاءات المتخصصة «التكنوقراط» لديها، وقد أفادت البلاد منهم، وقدرت لهم إسهاماتهم، منذ أن بدأت طلائعهم تصل إلى البلاد منذ مطلع عهد المؤسس الراحل الملك عبدالعزيز.

لقد حصل أبو عادل القريشي - وهو المولود في شهر ربيع الآخر ١٣٤٩هـ (سبتمبر ١٩٣٠م) - على الماجستير في إدارة الأعمال من جامعة جنوب كاليفورنيا بلوس أنجلوس، وتقلد عدداً من المناصب الحكومية الرفيعة، قبل أن يتفرغ في حدود عام ١٤٠٣هـ (١٩٨٣م) لإدارة أعماله الخاصة ولإدارة بعض الشركات الأهلية وشبه الأهلية.

كان في مقدمة وظائفه الحكومية، اختياره أول مدير عام سعودي لسكة الحديد (من عام ١٣٨١هـ - ١٩٦١م إلى عام ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م)، وكانت هذه المؤسسة منذ انشائها في عام ١٣٧١هـ (١٩٥١م) تدار من قبل خبير أمريكي «قيلدي» عيّنته أرامكو التي تولت الإشراف على إقامة الخط بين الدمام والرياض (أواخر عهد الملك عبدالعزيز).

ثم أصبح رئيساً لديوان الموظفين العام عام ١٣٨٨هـ (١٩٦٨م)، وبعد عامين، عُيِّن وزيراً للدولة عضواً في مجلس الوزراء، إلى جانب رئاسته لديوان الموظفين، وقد خلفه في هذا المنصب نائبه الأستاذ تركي الخالد السديري (١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م) بعد فترة وجيزة تولاه فيها د. عبدالعزيز الخويطر.

وفي خطوة، قد تُعد مقدمة لانسحابه من الوظيفة العامة، والاتجاه تدريجياً نحو القطاع الخاص، وهو الشخصية - المكسب لأي من القطاعين، اختير في عام ١٣٩٤هـ (١٩٧٤م) أول محافظ سعودي لمؤسسة النقد العربي السعودي، خلفاً للمرحوم أنور علي، وهو خبير باكستاني، اكتسب الجنسية السعودية لاحقاً، كانت الحكومة قد استعانت به وبغيره من مدرسة صندوق النقد الدولي، لتنفيذ برنامج الإصلاح النقدي، في أعقاب الأزمة المالية التي واجهتها البلاد (١٣٧٧هـ - ١٩٥٧م).

ظل الشيخ القريشي فيها نحواً من عشر سنوات، تحدثت الأسطر السابقة، حسب تقدير كاتب المقال، عن أبرز انجازاته فيها مما له تأثير على الاقتصاد الوطني، وكان من بين ما قام به بعد عمله فيها، رئاسة مجلس إدارة البنك السعودي العالمي بلندن، الذي أسهمت المؤسسة بالجزء الأكبر من رأس ماله، ثم اندمج مع بنك الخليج الدولي فيما بعد.

وقد ترك في جميع هذه المسؤوليات «سكة الحديد، ديوان الموظفين،

مؤسسة النقد» بصمات مشهودة، ومدرسة فريدة واضحة، يذكرها له معاصروه مما لا يتسع المجال للتفصيل فيها، غير أن أحد مساعديه في ديوان الموظفين (الأستاذ عثمان الأحمد) وصف ذهنه الإداري بقوله: «**كنت أعد أفكاري لعرض بعض الأمور عليه، وكان يستمع بدقة وهدوء، ثم يطرح أسئلته، وفي مواقف عدة كنت أطوي أوراقي وأسعى لتغيير الموضوع، لأن أسئلته حكم مقنع وموضوعي على عدم صواب ما طرحت**».

وبعد تفرغه، ترأس مجلس إدارة الشركة السعودية للتأمين التعاوني «التعاونية» عند إحداثها، والمجموعة السعودية للاستثمارات الصناعية، وشركة شيفرون السعودية للبتروكيماويات، كما استمر عضواً في مجلس إدارة مؤسسة النقد، واختير عضواً في الهيئة الاستشارية للمجلس الأعلى لمجلس التعاون، وهو يتولى رئاسة مجلس رجال الأعمال السعودي الأمريكي، الذي صارت تعقد له ملتقيات دورية منتظمة.

أما على صعيد الأعمال الخاصة، فإنه يشرف على الشركة العائلية: (علي زيد القريشي وإخوانه للتجارة) منذ تفرغه عام ١٤٠٣هـ (١٩٨٤م).

أسرة القريشي، كما هو معروف، تعود إلى قبيلة بني خالد المنتشرة في أنحاء المملكة، وبخاصة في شرقها وشمالها الشرقي، وقد استوطنت الأسرة في حائل ومدن أخرى، والشيخ عبدالعزيز هو الثاني في ترتيب

إخوانه: علي وخالد وصالح وعبدالكريم وعبدالرزاق وأخواتهم، وهو والد كل من عادل وندى وسارة.

وأحسب أن الطبيعة المتزنة لشخصيته تفرض على هذا القلم أن يتوقف عند هذا الحد، إنه نموذج راق لرجال الأعمال والإدارة في بلادنا: وطنية ونزاهة وكفاءة وسمتاً وإخلاصاً.



(١٩)

عبد الرحمن بن عبد الله أبا الخيل

عكاظ: نشر في جزأين: الإثنين ١٠ محرم ١٤٢٥هـ ، الموافق (أول مارس ٢٠٠٤م)، العدد (١٣٧٠١)، وعدد يوم الإثنين اللاحق له.



أستأذن القارئ الكريم هذه المرة في الكتابة عن شخصية هي بمنزلة الأخ الأكبر والصديق الأقرب، توثقت معه ـ عبر عقود ـ عُرى متينة من القرابة والمودة والزمالة، ثقةً بأن العارف بسيرته، يضعه بجدارة، ضمن قائمة شخصيات معاصرة، لها تاريخ مضيء، وليس عليها أضواء.

تُقرأ سيرة الشيخ أبا الخيل من زوايا متعددة، فهو نسيج من خبرات تراكمت في مجال التعليم والإدارة والدبلوماسية والعمل الاجتماعي والقطاع الخاص، ثم تلتها تجربة ثريّة في مجلس الشورى، وقد أمضى في كل مجال منها جانباً من حياته العملية، مشهوداً له فيه بالإخلاص والوطنية والذكر الحسن، وإن كانت رحلته ـ الأطول بينها ـ مع وزارة العمل والشؤون الاجتماعية، تظل الأكثر بروزاً وشخوصاً في سيرته، علقت في ذهن الناس، لمساسها بالمجتمع، وبحياة قطاع عريض من المحتاجين والعمال وأرباب العمل.

كان سرّ تميزه ونجاحه في هذه الوزارة بالذات، قربه من الناس دون ابتذال، ولين جانبه مع الصغير والكبير، وتآخيه مع الموظف والمراجع والخادم، يُعايش آلامهم، ويتفاعل مع همومهم، ويختلط بهم دون ترفع أو كِبْر أو استعلاء، وهي خصلة هبة من الله، لا يُلقَّاها إلا الكبير في خُلقه وتربيته وتكوينه، وطبيعي لشخص بمثل هذه الدماثة، وإجادة

فن التعامل مع الناس، وأحد خريجي مدرسة الأخلاق، أن يتأهّل لوزارة ترتكز معاملاتها على البسطاء، فلقد جعل الله البركة له في وقته ومداركه، يشمل كل من حوله، أولاداً وإخوة، أو معارف، أو جيراناً، بالرعاية والمتابعة، وبحميمية خاصة يظن كل واحد منهم أنه المقصود الحظيّ بها، وأن يُشعر زائره أو مراجعه بأنه شغله الوحيد، وقته تحت تصرفه وإرادته، لا نقصاً في أفراد أسرته أو مشاغله أو قاصديه، إنه، لمن عرفه عن قرب، لا يكلّ من توظيف جاهه في خدمة الآخر، حتى تعوّد مستقبلو شفاعاته من المسؤولين أن يحتفوا بها، فهم يُدركون أنه ـ في شفاعته لأحد ـ لا يسعى لمصلحة شخصية، وإنما يتوجه بها خدمة لغيره، مُستجيباً للإحراجات، والاستفادة من مكانته عندهم.

صفاته تلك، تُذكّر، كما سبق في منتدى علي أبو العلا بمكة المكرمة، بوجود قواسم مشتركة بينه وبين شخصيات مثل: حسن آل الشيخ ومحمد الحمد الشبيلي وآخرين عديدين غيرهم، ممن أكرمهم الباري ـ جلّ وعلا ـ بخصال مشهودة، تأتي من بينها خدمة المحتاجين، واستثمار الموقع الاجتماعي والوظيفي في خدمة الناس.

أما الجانب الآخر، الذي فاز فيه أثناء تولّيه وزارة العمل والشؤون الاجتماعية، فهو ميلاد مصلحة الضمان الاجتماعي (١٣٨٢هـ ـ ١٩٦٢م)، وتطوير نظام العمل والعمال وإصدار نظام التأمينات الاجتماعية (١٣٨٩هـ

ـ ١٩٦٩م)، وصار يُعدّ الأب (الروحي) لهذه المؤسسات، فضلاً عن نهوضه برعاية الشباب، التي نشأت في حضن الوزارة في عهده.

لقد أُنشئت الوزارة عام (١٣٨٠هـ ـ ١٩٦٠م) في عهد الملك سعود، وتولاها لفترات قصيرة كل من الأمير فيصل بن تركي (الأول) بن عبدالعزيز، ثم الشيخ ناصر المنقور، وقد مكّنت الفترة الطويلة التي مكث فيها عبدالرحمن أبالخيل بعدهما في الوزارة (١٤ عاماً)، بالإضافة إلى دعم الملك فيصل للأنظمة التي قدّمها الوزير، من وضع اللبنات الجوهرية، لأول حماية حقيقية وشاملة لحقوق العمل وتأميناتهم الاجتماعية، وفي بناء صرح الضمان الاجتماعي المتكامل، مستعيناً في بداية الأمر بعدد من الوجوه المستنيرة في المجتمع لتنفيذ برامج الوزارة، قبل أن تبدأ بعثاتها الأولى بإعطاء الثمار.

ثم يضاف إلى سجله في المواطنة، وفي سنّ المثالية، وفي بذر القدوة الحسنة في محيط مجتمعه وأسرته، أمور قد تبدو بسيطة، لكنها في الواقع، حملت مضامين ومعاني اجتماعية وانسانية عميقة، تليق برجل تسنّم هرم العمل الاجتماعي، ليجعل من نفسه مثالاً، لا يعبأ كثيراً بالفروقات الاجتماعية الوهمية التي تحول دون الاندماج الحقيقي بين فئات المجتمع، وتجده يرسم نموذجاً بتبسيط أمور الزواج ومتطلباته ويبدأ بالأخذ بها في أسرته أولاً، بمشاركة شخصيات مثل الشيخ محمد الحركان ـ وزير

العدل آنذاك - والشيخ ناصر الحمد الراشد رئيس تعليم البنات وقتذاك، أملاً في أن يحتذي بها الآخرون في المجتمع وفي قطاعاتهم المهمة.

وتراه، قديماً وحاضراً، لا يهتم بالدرجة التي تتيسّر له في الرحلات، ولا ينتظر معاملة خاصة بين المسافرين، وتجده وقد أقام مزرعة في مسقط رأسه - عنيزة - كي يبقى على صلة دائمة بمدينته وعشيرته، ويتمكن من زيارتها والالتقاء بهم مرات في العام وأثناء الإجازات، والأهم من ذلك، أن يُعوّد أولاده وأحفاده على الوفاء لها ولهم، رغم توافر بدائل للإجازات قد تكون أكثر جاذبية وإغراء.

هذه بعض ملامح شخصيته، وخصاله الإنسانية، أما على صعيد التعليم فقد أدرك كغيره من رجال الجيل المخضرم مسيرة التعليم بكل صورها وتحوّلاتها، من الكتاتيب، إلى مدارس المحسنين الأهلية، إلى بواكير المدارس الحكومية (كالمعهد السعودي وتحضير البعثات ودار التوحيد) إلى الابتعاث أو الدراسة في الخارج.

الشيخ أبا الخيل هو أحد هؤلاء، كان والده - الذي يحمل أحد شوارع الخالدية بجدة اسمه - أحد وجهاء عنيزة والبصرة، يتردّد بينهما، كوّن مركزاً اجتماعياً وتجارياً في الثانية، فعاش الابن طفولته قريباً من والدته (من أسرة البسّام المعروفة في عنيزة، ومنها خاله الدكتور حمد العبدالله البسام، أحد أوائل من درس الطب في الهند وتخرّج عام

١٣٦٣هـ ـ ١٩٤٢م).

حضر كُتَّاب عبدالعزيز الدامغ بعنيزة، ثم التحق بمدرسة أستاذ الجيل (ابن صالح) الأهلية، التي أصبحت مدرسة حكومية في عام (١٣٥٦هـ ـ ١٩٣٦م)، ثم التحق ـ قريباً من والده ـ بمدرسة (النجاة) الشهيرة بالزبير، التي كانت، بقوة منهجها، بمثابة معهد متقدّم، ثم عاد إلى بلدته عنيزة، ليمارس مهنة التعليم، يتقاسم راتب وظيفة واحدة مع زميله الأستاذ عبدالرحمن الصالح العليّان.

حصل على ليسانس الآداب من جامعة القاهرة (١٣٧٢هـ ـ ١٩٥٢م)، زميلاً للشيخ أحمد زكي يماني والشيخ ناصر المنقور، وقد عمل في وزارة الخارجية، ثم عُيّن مديراً عاماً لوزارة المالية والاقتصاد الوطني (١٣٧٩هـ ـ ١٩٦٠م)، ثم أصبح لفترة وجيزة عضواً منتدباً بشركة الأسمنت بجدة، واختير في عام (١٣٨١هـ ـ ١٩٦١م) وزيراً للعمل والشؤون الاجتماعية حتى عام (١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م)، وتعرّضت سابقاً لأبرز إنجازاته فيها، مما استحق تكريم وزراء العمل العرب قبل أيام عليها.

ثم عاد إلى وزارة الخارجية، سفيراً لدى مصر نحواً من أربع سنوات، رجع في إثرها لممارسة العمل الخاص، ومن ضمنه نشاطه لمدة ثلاث سنوات مديراً عاماً لمؤسسة المدينة الصحفية، وعند إعادة تنظيم مجلس الشورى الحالي عام ١٤١٤هـ تم اختياره عضواً في دورته الأولى (أربع

سنوات) ليعود بعدها لإدارة مكتبه الخاص بجدة، ويتفرغ للقراءة ورعاية أسرته الكبيرة.

الشيخ عبدالرحمن المشهود له بالاستقامة، وبقربه من الخير ومن طاعة ربه، والحرص على واجباته وعلاقاته الإنسانية مع الآخرين، هو من مواليد عنيزة عام (١٣٤٥هـ ـ ١٩٢٦م) له من الأبناء: أيمن وبسّام وم. أسامة و د. بهاء و د. فيصل وفواز ومهنا، ومن البنات: إيمان ونجود والهنوف، وهو مطالب بإلحاح أن يكتب مذكراته في رحلته المشهودة مع هذه المواقع المهمّة، وأن يكشف عما يقال من محاولات شعرية إخوانية لم يقدّر لها النشر، وأن يفرج عن ديوان مخطوط ظل طيّ الخصوصية والكتمان منذ أيام نشاطاته الأدبية في جامعة القاهرة.

إنها صفحة موجزة من سيرة أبي أيمن الذي يتخذ ـ منذ السبعينيات الهجرية ـ من جدة مقراً رئيساً لإقامته، وقد أسهم، ضمن إسهاماته الاجتماعية العديدة، في إنشاء أحد مشاريعها السياحية البارزة، وهو يتفاعل مع كل ما ينهض بمجتمعه، ويعايش، بإخلاص ووطنية، هموم أمته وبلاده، تغلب عليه سمات اللباقة والوفاء والدماثة الرفيعة، ويحتفظ بصراحته لموقعها المناسب، ويختار لها التعبير الملائم، وهو ذو فكر مستنير متجدد، جدّد الله له عمره بمزيد من الصحة والعطاء.

(٢٠)

إبراهيم بن محمد الحسون

الشرق الأوسط: الأحد ١٦ محرم ١٤٢٥هـ، الموافق (٠٧ مارس ٢٠٠٤م)، العدد (٩٢٣١).



يقدر لإبراهيم الحسون الذي دلف إلى عالم التأليف، وهو ما يزال بكامل صحته وتوقد ذاكرته، حرصه ومتابعته لإصدار خواطره وذكرياته في ثلاثة مجلدات، بعد رحلة شاقة من الجمع والتحرير والتوثيق والطبع، وبعد معاناة مع الرقابة التي كانت تجتهد لحذف بعض الفقرات منها، حرصاً على سلامتها من الاعتراضات على بعض مضامينها.

والواقع أنه ما كان لهذه الذكريات، التي تميزت بالشمولية، من السياسة إلى التاريخ، ومن التراث إلى الأشخاص، أن تظهر للقراء على هذا النحو من جودة الطباعة، والحفاظ على القدر الأكبر من محتواها ومادتها الأصلية، ومن شمولية التوزيع والانتشار المرتقبين لها، لولا أن صاحبها هو الذي ظل وراءها، يجري ويعقب ويتابع ويتأكد بنفسه، كي تبلغ المقاصد، من وراء تدوينها.

الشيخ إبراهيم بن محمد الحسون ـ وقبل الدخول في استعراض كتابه الذي يقع بأجزائه الثلاثة في (١٣٣٠) صفحة، من تقديم الدكتور عبدالعزيز الخويطر ـ هو من مواليد عنيزة حوالي عام ١٣٣٥هـ (١٩١٧م)؛ بدأ يتلقى علومه الأولية في كتاتيب مدينته، ثم التحق بالمدرسة الرشدية بجدة، التي أسسها الأتراك في الحجاز والأحساء قبل انحسار حكمهم، وعاش فترة دخول الحجاز في الحكم السعودي ١٩٢٤م، ثم انتقل إلى

مدرسة الفلاح الأهلية التي أسسها الشيخ الراحل محمد علي زينل في جدة، وهو ما يزال مهاجراً في الهند، فنال الحسون الثانوية منها سنة ١٩٣٣م، ومع أنه التحق بمدرسة تحضير البعثات التي كانت تعد طلابها للدراسة في الخارج، إلا أنه درس عاماً واحداً، ولم يحظ بفرصة الابتعاث.

لكنه عمل لفترة قصيرة سكرتيراً لقائم مقام جدة (إبراهيم بن معمر)، وعمل في جمرك الخُبر سنة ١٣٥٧هـ ـ ١٩٣٨م وصار مديراً لجمرك (أم رضمة) على الحدود مع العراق، فمشاركاً لجمارك الحدود، ثم أميناً للجمارك في (قرية)، متنقلاً في عدد من وظائف الجمارك حتى عام ١٣٧٨هـ ـ ١٩٥٨م إلى أن عين رئيساً لمالية عرعر وجمركها حتى عام ١٩٧٨م، حين تقاعد بعد خدمة تربو على أربعين عاماً، وأقام في جدة، على صلة بمدينة عرعر حيث تقيم ابنته.

احتوى كتابه بأجزائه الثلاثة نحو (٢٥٠٠) مفردة (عنوان) تضمنت كل ما لا يخطر على البال من موضوعات خاصة وعامة، تبدأ من ولادته وحتى نهاية علاقته بالوظيفة، وعلى معلومات لا غنى عنها لأي باحث في التاريخ السياسي والاقتصادي والاجتماعي والإداري للوطن، مما يتطلب استعراضه عدة حلقات.

على أن حديثه عن تجربته الثرية في مجال الجمارك في مواقع

مختلفة من السعودية، بالإضافة إلى سيرة حياته، حظيا بشكل ملحوظ بمفردات كثيرة من محتويات هذه المذكرات، وهو أمر متوقع من رجل عاش هذه التجربة الطويلة، ولابد أنه كان يرصد مع مرور الأيام، كل ما يمر عليه، وإلا لما كان في مقدوره أن يسجل كل هذا الحجم الهائل من التفاصيل وعلى هذا النحو من الدقة.

فهو يبدأ كتابه بالتعريف بنفسه وأسرته، مما يعد مدخلاً طبيعياً لذكرياته، ثم يقدم وصفاً دقيقاً للبيئة التي نشأ فيها (مدينة عنيزة) راسماً صورة ذهنية مقروءة كاملة التفاصيل عن أسواقها ومزارعها وحياة أهلها وأساليب معيشتهم وأزيائهم وعاداتهم، وأنواع مأكولاتهم ومشروباتهم وروابطهم الاجتماعية، ثم يعرج على وصف الحالة الثقافية، ويذكر بالمعلمين والكتاتيب القائمة في عنيزة في فترة طفولته في الأربعينيات الهجرية من القرن الماضي (العشرينيات الميلادية).

ثم يستعرض التاريخ السياسي لمنطقة القصيم، متنقلاً من موضوع إلى آخر بدون ربط منطقي أحياناً، لكن القارئ لا يشعر بالتنافر أو الضيق عند قراءتها، مما جعلها سلسلة مشوقة بتنوع موضوعاتها، تخضع لمنهجية التسلسل الزمني وهو أحد أسباب بساطتها وجاذبيتها.

تتوجه ذكرياته وخواطره لسرد تفاصيل انتقاله لأول مرة من القصيم إلى الحجاز، واصفاً وسائل السفر والمحطات التي مرت بها

حملته، على ظهور الإبل، إلى أن بلغ مقصده في العمرة والحج، مع رواية بعض الحوادث التاريخية.

ثم تعود به الذكريات إلى تفاصيل الظروف الحياتية في مجتمع الحجاز آنذاك (نظام البناء، سقيا المنازل، النقود، عادات الزواج، وبدء جلب السيارات) من منظور طفل نجدي بسيط نازح إلى مكة المكرمة يرى هذه الظواهر المدنية لأول مرة، ثم يكشف المؤلف مشاعره وهو يعود إلى مدينته عنيزة بعد أول غيبة عنها، متحدثاً هذه المرة عن أميرها وقاضيها ومشايخها، مع التطرق مرة أخرى إلى أسلوب الحياة فيها والسمات الشخصية لأهاليها.

وبعد أن يعود إلى الحجاز مرة أخرى في مطلع الخمسينيات الهجرية، ويتفتّح ذهنه أكثر فأكثر، تأتي ذكرياته على ما طرأ على المجتمع الحجازي من تطور في ظل المتغيرات السياسية والاقتصادية والاجتماعية الجديدة، مثل الراديو والجراموفون (جهاز تشغيل الاسطوانات) وتأسيس الشركات، مع استعراض شخصيات جدة وأعيانها، والمكتبات، والصحف المستوردة، وتقديم معلومات عن مدرسة تحضير البعثات التي التحق بها، مورداً تشخيصاً جديداً للحياة الاجتماعية في مكة المكرمة بكل تفاصيلها.

ومن بين القصص والروايات التي تطرق إليها الكتاب، بتفصيل

مقبول قصة الطبيب الروسي الذي كان يعمل في القنصلية الروسية بجدة ثم لجأ إلى المملكة وافتتح عيادة في مكة المكرمة واستوطن فيها حتى وفاته.

ويدخل الحسون إلى الجزء الثاني من كتابه مبتدئاً بسرد وقائع رحلته الأولى إلى المنطقة الشرقية من المملكة (الدمام والخبر والظهران ورأس تنورة)، وتفاصيل لقائه بالملك عبدالعزيز وولي عهده الأمير سعود، قبيل انطلاق رحلته، ماراً بمركز رماح ـ مفتاح الطريق آنذاك إلى الأحساء ـ واصفاً معاناة المسافرين عبر الدهناء، ومسترسلاً في ذكر أصدقائه مديري المالية والجمارك في الدمام والخبر عند تسلمه عمله هناك، كما يورد مرة أخرى تفاصيل وافية عن الحياة في مجتمع مدن المنطقة الشرقية إبان إقامته هناك.

ربما تكون ذكريات الحسون هذه أفضل، ولعلها أول، مرجع يأتي على وصف أوجه الحياة في الجزء الشمالي الشرقي (حفر الباطن، أم رضمه، لينة، قرية) وعن ظروف التنقل بين السعودية والكويت، وأساليب جباية الزكوات، مع تعداد أسماء أمراء تلك المراكز من أمثال: محمد الشهيل، وصالح العبدالواحد.

ثم يعود مرة أخرى إلى السياسة، شارحاً الظروف المحيطة بقيام الحرب العالمية الثانية، مسترجعاً ما سبقها من قصص تتصل بأفول

الدولة العثمانية واقتسام تركتها، وكذا قصة إنشاء الخط الحديدي الحجازي بين اسطنبول والمدينة المنورة، وظهور هتلر وهزيمته، وبدء الإذاعات، في تسلسل استغرق نحو (١٠٠) صفحة، يعود إليها مرة أخرى ليركز على الأوضاع السياسية في العراق والأردن وفلسطين ومعركتها عام ١٩٤٨م. ويستذكر الحسون عدداً من أصدقائه، ويسرد ذكريات رحلتيه إلى الكويت وزواجه الثاني، وأول رحلة جوية له، مضيفاً بعض الصور في ختام كل جزء من الأجزاء الثلاثة من ذكرياته الواسعة.

كان من بين ما تضمن المجلد الثالث من موضوعات، رحلته إلى القاهرة عام ١٩٥٠م وتصوير كل ما يواجه زائرها لأول مرة عادة، مع التعريج على شيء من تاريخها وأوضاعها، وهي على أبواب التحول من العهد الملكي إلى العهد الجمهوري، ثم يصف زيارته إلى لبنان، ويأتي على ذكر أصدقائه السعوديين المقيمين في مصر وبلاد الشام، والمهم أنه في كل ما يروي، وبالرغم مما يبدو ذا طبيعة خاصة أحياناً، فإنه مليء بالمعلومات التي تفيد الباحث المعني بموضوعاته، كما قد يحلّق في أجواء التاريخ عندما تحين له فرصة لذلك، فهو، كما زار مصر واسترجع تاريخها، سافر إلى لبنان تطرق إلى تركيبته الطائفية، وعندما سمع بنبأ وفاة الملك عبدالعزيز استعاد شيئاً من سيرته.. وهكذا.

تأتي ذكريات الحسون هذه على ذكر العشرات من الشخصيات

والأعلام السعوديين وقصصه معهم من أمثال ابن سليمان والقصيمي وعبدالمحسن المنقور والجفالي وعبدالعزيز العبدلي وسليمان بالغنيم وعبدالعزيز بن زيد وعبدالله السعد القبلان، كما تتطرق لوصف المدن والبلدان التي زارها داخلياً وخارجياً، وإلى بعض القضايا التي واجهها في عمله مما يدخل في طبيعة الجمارك (مثل التهريب).

فالكتاب في الواقع حديقة واسعة، يتجول فيها القارئ الذي يبتغي المتعة، والباحث الذي ينشد المعلومة، ولو قدِّر لمؤلفه أن وضع كشافاً مفهرساً عاماً لمحتوياته من الأماكن والأعلام لكان الحصول على الفائدة أكبر وأيسر، وإن كان يحمد للمؤلف أن فهرس المحتويات جاء مفصلاً تفصيلاً لا يقل عما تعوّده القارئ في إعداد الكشّافات.

كما أنه، وإن بدت عاطفته تظهر أحياناً تجاه مدينته وأفراد أسرته، مما يمكن تفهمه، ولكنه في الحقيقة كتاب لا تنقصه الصراحة والموضوعية والشفافية، مما قد يعرّضه لشيء من الاحتجاج من آخرين.

إن كتاب خواطر وذكريات (٣ أجزاء) للشيخ إبراهيم بن محمد الحسون، هو بحق جسر تاريخي بين ماضي البلاد وحاضرها، وهو، مرايا لثقافة مناطق المملكة المتنوعة، حجازها ونجدها، شمالها وجنوبها وشرقها، موثق بالمعلومات والصور، لا يقل عما قدمه محمد علي مغربي وحسن عبدالحي قزاز وغيرهما من ذكريات وتصوير لمظاهر الحياة

الاجتماعية في بعض مناطق المملكة، امتزج فيها استعراض النشأة والطفولة والشباب والكهولة مع مظاهر الحياة في المدن والمجتمعات الصغيرة التي عاش فيها على مدار عقود تسعة من عمره.

وإذا كان من ملاحظة ثالثة على الكتاب فهي حاجته إلى تعزيز بعض الحوادث والمعلومات، بمزيد من التوثيق بالتواريخ وذكر الأعوام التي حدثت فيها، على أن هذه الملحوظة لا تنقص من قدره ولا تشكك في معلوماته، لأنه يتحدث عن وقائع عايشها المؤلف بنفسه، فكان رصده لها أميناً ودقيقاً، والمؤلف ـ الحسون ـ في معظم ذكرياته يُعد مصدراً أول لكثير من المعلومات وشاهداً عليها.

إن مصدر التقدير للشيخ الحسون ـ الذي أهدى مكتبته الخاصة الضخمة قبل ثلاثة أعوام، ونقلها تحت إشرافه، وجهز مكانها، في مكتبة مركز ابن صالح الثقافي في عنيزة، وفاءً منه لمسقط رأسه، وتكريماً منه لمركز أستاذ الجيل (ابن صالح) ـ أنه حرص على أن يسجل مذكراته قبل أن تندثر أو تتبخّر، كما يقدر له أنه، وقد غاب عن مدينته عدة عقود، لم يعد إليها بجسمه فقط، ولكن بالقلم والكتاب اللذين شقّا له طريق النجاح في حياته، ليثبت أنها ـ أي مسقط رأسه ـ كانت تعيش في وجدانه أبداً.

فمرحباً بالحسون مؤرخاً وكاتب مذكرات، وإن عمله في رصد

ذكرياته نموذج نتمنى أن يحتذيه كل مثقف مر بما مر به الشيخ الحسون من تجارب، وشهد ما شهد من تحولات اجتماعية وثقافية واقتصادية كبيرة[١].

(١) توفي في مدينة عرعر يوم الثلاثاء ١٤٢٥/١١/٣٠هـ ، الموافق (٢٠٠٥/٠١/١١م)، وكتب عنه المؤلف مقالاً رثائياً نُشر في جريدة الجزيرة في اليوم التالي، العدد (١١٧٩٤).



(٢١)

د. رضا بن محمد سعيد عبيد

عكاظ: الإثنين ٢٤ محرم ١٤٢٥هـ ، الموافق (١٥ مارس ٢٠٠٤م)، العدد (١٣٧١٥).



أن يتحلّل الكاتب من ميوله، فهو أمر شبه مستحيل، لأن الكلمات مهما حاول، قد يظهر عليها بعض العاطفة، وهو أمر يقدّره القارئ، ولا يخلو من الحسنات، فالعاطفة تبرز المعاني وتساعد في اختيار التعبير، ولقد تأخرت هذه الزاوية في الكتابة عن شخصية د. رضا عبيد أملاً في أن تأتي كلماتها معتدلة منصفة، تتحرّى الموضوعية، وتحيد عن المشاعر الشخصية.

لقد عرفت د. رضا لأكثر من عشرين عاماً، بدأت أثناء رئاسته للمركز الوطني للعلوم والتقنية (مدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية حالياً)، وتعزّزت أثناء الزمالة في وزارة التعليم العالي، وتوثّقت تحت قبّة مجلس الشورى، وبقي من الترابط الأخوي، بعد كل ما تقدّم ما هو أصدق وأنقى، فهو صنف من الرجال كلما زادت به المعرفة نما احترامه وارتفع قدره ومكانته.

والواقع، بعيداً عن العواطف، أن هذه الأسطر تقف ـ بإجلال ـ أمام شخصية تعليمية وطنية رائدة وعالية التأهيل، كان ينبغي أن يستفاد من خبراته وعلمه وأقدميّته إلى أقصى حد ممكن، وأجزم أن المركز الوطني للعلوم والتقنية، الذي تبنّى في عهده فكرة الاستفادة من الطاقة الشمسية، وكذا جامعة الملك عبدالعزيز، وبخاصة بعد تفاقم مشكلة

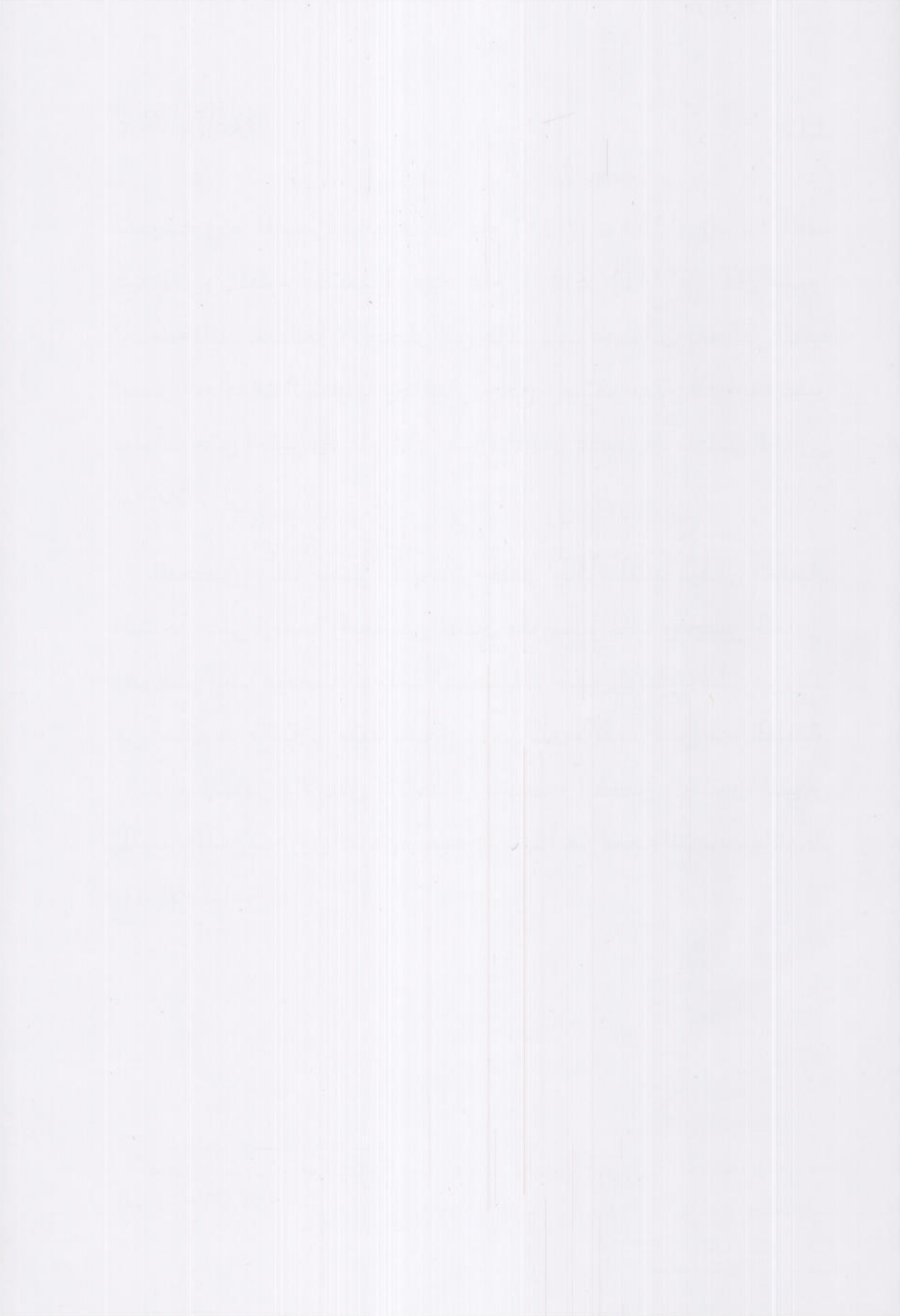
الاختناق، قد خسرتا في تركه كفاءة قيادية حيوية، ذات علاقات متميزة أفادت هاتين المؤسستين ورفعت من مكانتهما وإنجازاتهما في عهده (كمشروع المدينة الجامعية والمستشفى الجامعي بجدة)، وأعتقد مخلصاً أن مجتمعنا أبعد ما يكون عن الاستغناء عن أي كفاءة نادرة، فكيف إذا كانت بقدراته وانفتاحه ونوع دراسته ونشاطه، ناهيك عن تكريمه بوصفه رمزاً وطنياً للمتخصصين السعوديين النابهين المخلصين.

إن في المملكة علماء بارزين متميزين في شتى التخصصات العلمية والتطبيقية والإنسانية، لا يقلون عمن تتردد أسماؤهم يميناً ويساراً، وهم ثروة للوطن كله، كثروة التاريخ والأدب والمتاحف والفنون، ورموز وشواهد، كالنخل والغزال والخيل، ترتبط بهذه الأرض وثقافتها وتراثها، وهم محل افتخار الوطن واعتزاه.

د. رضا محمد سعيد عبيد، من مواليد المدينة المنورة عام ١٣٥٥هـ (١٩٣٦م)؛ حصل على بكالوريوس العلوم من جامعة القاهرة عام ١٣٧٨هـ (١٩٥٨م)، ثم التحق بجامعة الملك سعود معيداً، وابتعث لنيل الماجستير ثم الدكتوراه من بريطانيا عام ١٣٨٢هـ (١٩٦٢م)، وكان أول سعودي يحصل على الدكتوراه في مجال تخصصه، وقد تدرّج في الجامعة حتى وصل إلى درجة الأستاذية، وصار أيضاً عميداً لكلية العلوم فيها. وفي عام ١٣٩٨هـ (١٩٧٨م) عُيّن رئيساً للمركز الوطني للعلوم والتقنية عند

تأسيسه وهو المسمى حالياً ومنذ عام ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م (مدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية)، وفي عام ١٤٠٤هـ (١٩٨٤م) عُيِّن مديراً لجامعة الملك عبدالعزيز، وكان إلى جانب ذلك عضواً في المجالس العليا لبعض الجامعات السعودية وجامعة الخليج، واستمر مديراً للجامعة عشر سنوات حتى اختير في عام ١٤١٤هـ (١٩٩٤م) عضواً في مجلس الشورى بدورته الأولى.

الدكتور رضا عضو في لجان اختيار جائزة الملك فيصل العالمية، وقد حاز على أوسمة رفيعة من الصين وفرنسا وألمانيا ومجلس التعاون، وهو ممن أنشأ مؤسسة اليمامة الصحفية، وأسهم في تطويرها، وهو رائد من أعلام هذه البلاد، ويُعدّ ـ بحق ـ أحد شهود تقدم صروحها العلمية، والتقدم المقرون بالإيمان والأخلاق، وتواضع الكبار الواثقين المليئين بالمجد، الذين ينجزون أعمالهم بصمت، بعيداً عن ضجة الدعاية، واللهاث وراء الأضواء.



(٢٢)

أحمد محمد حسن زيدان

عكاظ: نشر في جزأين: الإثنين ٢ صفر ١٤٢٥هـ ، الموافق (٢٢ مارس ٢٠٠٤م)، العدد (١٣٧٢٢)، وعدد يوم الإثنين اللاحق له.



عندما تذكر الأصالة والمعاصرة في نماذجها الإنسانية، فإننا اليوم أمام رمز حقيقي معبّر في العصرية، من الذوق في التعامل، والأناقة في المعيشة، واللطف في العشرة والحديث، والتنوّر في التفكير.

إنه في تاريخه وأصالته، يذكّر بشخصيات المبرقات والأتيال والكابلو الروّاد من أمثال إبراهيم سلسلة وعبدالله كاظم وعبدالحميد عقّاد وبهجت جلال، الذين بُنيت على أكتافهم وسائل الاتصال السلكية واللاسلكية والبريدية القديمة.

ليس المقام مقام استعراض تاريخ البرق والهاتف، أقدم علامات الانفتاح والتطور في غربي البلاد، ولكن الشيخ أحمد زيدان، هو أحد الرموز الباقية، الشهود على تاريخنا (الاتصالي) العريق، ويكفي أن الدولة السعودية قد تولت عام ١٣٤٣هـ (١٩٢٤م) إدارة الكيبل البحري (الكابلو) الذي أقامه الإنجليز بين جدة وبورسودان، وأن اهتمام الملك عبدالعزيز بربط مدن المملكة بالتلغراف، قد نشر أكثر من (٥٠) مبرقة قبل عام ١٣٥٠هـ (١٩٣٠م)، وأن البريد الحجازي والنجدي - قبل اتحادهما - قد انضمّا إلى اتحاد البريد العالمي بجنيف عام ١٣٤٥هـ (١٩٢٧م)، وأن أول مكالمة هاتفية بين مكة المكرمة والرياض جرت في صفر ١٣٥٢هـ (مايو ١٩٣٣م)، هذا التاريخ الجميل، الذي بدأ مع

إشارات (مورس) وعَبَر إلى الأجهزة الرقمية، ليس بيننا، أفضل من أحمد زيدان لرواية تطوّره وتدوينه، ويكفي أن نورد من مآثره غير المعروفة أنه، ومايزال، أول هواة التخاطب بالراديو (Radio Amateurs) القلائل في المملكة، ولا أعرف من أمثاله سوى الأمير طلال بن عبدالعزيز، الذي يخصص في منزله غرفة لمارسة هذه الهواية مزوّدة بالأجهزة الخاصة بها، (وكان الملك حسين والملكة إليزابيث ممن اشتهر بهذه الهواية).

الطريف في الأمر أن الشيخ زيدان أطلق حرفي (H.Z. من اسم والده) رمزاً لمحطته، ثم أصبح هذان الحرفان رمزاً للإشارات الصادرة من المملكة، وقد استمر يجدد الترخيص ويدفع رسمه ويشارك في المباريات الدولية لهواة اللاسلكي في العالم.

الثانية: أنه صار ممثل المملكة في اتحاد المواصلات الدولي في جنيف منذ عام ١٣٧٧هـ (١٩٥٦م) وظل يمثلها بعد تقاعده عام ١٣٩٢هـ (١٩٧٢م)، وصار عضواً في المجلس الإداري للاتحاد عن قارة آسيا، ورئيساً للمجلس نفسه، كما رأس مؤتمر الاتحاد في طهران وطوكيو، ومؤتمر اتحاد البريد العربي، ومؤتمر الاتحاد العربي للمواصلات السلكية واللاسلكية، وقد أطلق عليه في دوائر الاتحاد الدولي لقب (مهندس الاتصالات السعودية الحديثة)، بسبب مرافقته لإدخال الهاتف الحديث والكيبل المحوري، بعد أن كان الاتصال في بداياته يعتمد على الأسلاك

المعلّقة بين جدة والطائف مروراً بمكة المكرمة، كما انتقل الهاتف من الأسلوب اليدوي (الماقنيتو) إلى الأسلوب الآلي الحديث.

لقد قضى الشيخ أحمد زيدان في عضوية الاتحاد وحضور مؤتمراته الرئيسية والمتفرعة عنه أطول فترة قضاها أي مسؤول في تاريخ المملكة، وكان من ثمار علاقاته الوثيقة مع الاتحاد، أن حجز للمملكة حُزَماً «مغناطيسية» واسعة من الذبذبات، على الموجات القصيرة والمتوسطة وغيرها، التي أفادت الإذاعة، ووسائط الاتصالات المدنيّة، مما لاتزال المملكة تنعم به إلى يومنا هذا.

إنه الشيخ أحمد محمد حسن زيدان، وكيل وزارة المواصلات الأسبق للشؤون السلكية واللاسلكية والبريد، الذي ولد في أوائل الثلاثينيات الهجرية، ويحظى بالاحترام، وبالسمعة الكريمة أثناء عمله وبعد تقاعده، وهو الجدير، بكل تأكيد، بالتكريم، وسيرة حياته بالتوثيق، وما تسمية أمانة جدة قبل أعوام، لأحد شوارعها باسمه إلا أحد أوجه الوفاء له ولمثله من الفضلاء.

أما التعرف على سيرة حياته، فهو لا يقل طرافة وتشويقاً عن سيرته العملية، حيث يُبرهن الشيخ أحمد على أمانته، ويقدّر تاريخ ولادته بحدود عام ١٣٣٢هـ (١٩١٣م) في مكة المكرمة، وقد مرّ بكل أطياف المدارس المتوافرة في صباه، بدءًا بكُتّاب عبدالحي في الشبيكة، مروراً

بمدرسة دار الفائزين، ثم الفخرية ثم الفلاح ثم الخيّاط ثم الراقية، وكلها مدارس رسمية أو خيرية أهلية أنشئت في أواخر العهد العثماني والهاشمي، ثم التحق بالمدرسة الابتدائية السعودية عام ١٣٤٤هـ (١٩٢٥م)، ثم بمدرسة المعلا التحضيرية، وانتهى به المطاف في معهد اللاسلكي الذي كان أنشئ في رجب ١٣٤٩هـ (نوفمبر ١٩٣٠م)، إذ درس فيه بعد أشهر من افتتاحه، كما التحق في أثناء الحرب العالمية الثانية بدورة في العراق لدراسة الأرصاد، وبدورة أخرى في بريطانيا فيما بعد للاتصالات الحديثة.

الشيء نفسه حصل له مع الوظيفة، فلقد جرّب الوظائف الدنيا، والمتوسطة والمتقدمة، بدءًا بأول وظيفة له: مأمور لاسلكي في أول مبرقة بالرياض (١٣٥٠هـ ـ ١٩٣١م)، ثم مدير سيارة لاسلكي، ثم مأمور مخابرة لاسلكي، ثم مدير لاسلكي جدة، ثم أستاذ مدرسة لاسلكي، ثم مدير لاسلكي (وبريد) الأحساء فالخُبر، ثم مدير قسم الأنواء الجوية، ثم مدير لاسلكي مكة المكرمة، واستمر هكذا، يتنقّل في كل ما يخطر أو لا يخطر علي البال من وظائف اللاسلكي الأخرى، حتي صار مديراً عاماً للبرق والهاتف أيام كان الأمير سلطان بن عبدالعزيز وزيراً للمواصلات عام ١٣٨٠هـ (١٩٦٠م)، ثم أصبح وكيلاً للوزارة عام ١٣٨٣هـ (في عهد وزيرها محمد عمر توفيق) وتقاعد عام ١٣٩٢هـ (١٩٧٢م).

هكذا يكون التدرّج الطبيعي للمسؤول، الذي يولد وينمو مع مؤسسته حتى يترقى ويصبح فيها رئيساً (كما يحصل في أرامكو)، بعد أن يتمرّس بكل صنوف الوظائف ويعرف طبيعة عملها، إنه - بلا شك - أفضل أنواع الإدارة، متى ما حظي الجهاز بذلك.

لم يتخرج أحمد زيدان من جامعة أو بعثة خارجية، لكنه كان عصامياً، طوّر نفسه بنفسه، فهو فَقَد والديه وهو في الخامسة، فشاء الله أن يتحوّل اليُتم إلى عزيمة وإصرار، ظهر جليّاً في المدارس والأعمال التي مرّ بها، وبنوع الدراسة (اللاسلكي) التي اختارها، وباللغة الإنجليزية التي أتقنها ذاتياً، وبكونه أول هواة اللاسلكي (التخاطب بالراديو) من السعوديين، وباهتمامه بعلوم الحاسب وهو على أبواب التسعين.

عائلة الشيخ أحمد زيدان، هي الأخرى، أصبحت عائلة لاسلكي، فبيته كان بمثابة مدرسة لأبنائه الأربعة وبناته الخمس، فابنه الأكبر المهندس د. فيصل - عضو مجلس الشورى في دورته الأولى - حلّ بجدارة محل والده في وكالة الوزارة لشؤون الهاتف، وابناه المهندسان محمد وعبدالعزيز، يملكان أو يديران عدداً من الشركات المتخصصة بالإلكترونيات والاتصالات، أما ابنه الأصغر د. زياد فقد اختط لنفسه طريقاً آخر لكنه متمم، وهو التصميم المعماري، وكان من بين مشروعاته المخطط العام لجامعة أم القرى ومعهد العالم العربي في باريس.

صحيح أننا نفخر بأحمد زيدان، يكرّمه اتحاد المواصلات الدولي، بعد أن مثّل المملكة فيه أكثر من (٣٠) عاماً، لكن علينا أن نكرّمه حيّاً في وطنه، رمزاً لرجال اللاسلكي، أقدم مهنة فنية معقدة في هذه البلاد، خدمت الأمن وكرّست الوحدة، أضفى الله عليه لباس العفو والعافية.

(٢٣)

د. محمد بن عبد الرحمن الشامخ

جريدة عكاظ: ١٤٢٥/٠٢/١٥هـ الموافق (٥ أبريل ٢٠٠٤م)، العدد (١٣٧٣٦).



إذا كان صمت د. عبدالله الوهيبي، كما جاء في حلقة سابقة، يُحيّر عارفيه، فإن عزلة الدكتور الشامخ، هي الأخرى، تدعو للاهتمام والتساؤل والعتب، فهو قد آثر - بعد تقاعده - النزوح إلى مدينته - عنيزة - والعيش عيشة هادئة، بعيداً عن ضجيج العاصمة، وتباعد العلاقات الاجتماعية فيها.

العودة إلى مدينته، والبحث عن الهدوء، أمران لا مُشاحّة فيهما، بل ويُغبط عليهما، ولكن ما قد يؤخذ عليه من محبيه، أن يتواضع أكثر مما يلزم، بأن ينسى تاريخه البحثي والعلمي، ويحرم طلابه من معرفته وثقافاته، وأن يعتزل علمياً وفكرياً، مع أن القصيم يشكّل إحدى منارات التعليم والثقافة في بلادنا، وأحد مراكز العمل الاجتماعي النشط.

لقد كان د. الشامخ من أوائل الحاصلين من بريطانيا على الدكتوراه من معيدي جامعتنا الأولى (الملك سعود) المبتعثين، فبعد عودة د. عبدالعزيز الخويطر، ومن بعده د. رضا عبيد، جاءت دفعة الدكاترة: الضبيب والأنصاري والحازمي والشامخ والبدلي والشاذلي وعزت خطاب والشعفي وغيرهم في منتصف الثمانينيات الهجرية (الستينيات الميلادية)، وكانت أطروحته عن (النثر الأدبي في الحجاز: ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م)، وقد

استلّ من رسالته هذه ثلاثة كتب قيّمة: الأول عن الصحافة في الحجاز (١٣٩١هـ - ١٩٧١م)، والثاني عن التعليم في الحجاز أواخر العهد العثماني (١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م) والثالث عن النشر الأدبي في المملكة (١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م)، وقد أعيد طبعها.

لا يتسع المقام لتناول الشق الأدبي من عمله، ولا ما يتصل بتاريخ بدايات التعليم، لكن تحقيقه لبدايات الصحافة والطباعة في الحجاز كان الأدق والأوثق في مجالهما، إذ صحّح عدداً من الانطباعات والأخطاء التاريخية والموضوعية في المعلومات المتداولة في الدراسات والمقالات المنشورة، مما يتصل بتاريخ الصحافة والطباعة في الحجاز، في أواخر العهدين التركي، والهاشمي، ثم مطلع العهد السعودي، وقد حسمت نتائج دراسته تفاوت المعلومات السابقة، وصارت مرجعاً لمن خلفه يعتمد عليها، ولابد أن أبحاثه الأخرى في مجال النشر الأدبي وبدايات التعليم قد أتيا بالنتيجة نفسها من العمق والدقة والاستقصاء.

الدكتور الشامخ، هو من مواليد عنيزة عام ١٣٥٣هـ (١٩٣٣م)، وقد حصل على الليسانس من جامعة القاهرة عام ١٣٧٦هـ (١٩٥٦م)، وبعد نيله الدكتوراه عُيّن عضو هيئة التدريس في جامعة الملك سعود، متدرجاً فيها حتى وصل إلى درجة الأستاذية عام ١٣٩٩هـ (١٩٧٩م)، وتقاعد مبكراً قبل سبعة عشر عاماً، وله من الأولاد خالد و (٥) بنات.

وللدكتور الشامخ كتب أخرى بعنوان: كاتب الحي، مجموعة مقالات صدرت عام ١٤٠٢هـ (١٩٨٢م)، وإعداد البحث العلمي (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م)، وثالث بعنوان: البحث عن أدب يُصلح الأرض العربية ولا يُفسد فيها، وقد صدر عام ١٤١٨هـ (١٩٩٨م) ضمن سلسلة (كتاب جريدة الرياض) ثم أعيد طبعه، كما أن له قديماً عدداً من المقالات المنشورة.

يصدُق على د. الشامخ ما وصف به الشيخ عبدالعزيز السالم أحد أقرانه من منكري ذاتهم بأنهم «**يَحْيَون في سلامة نفسية، يسعدُون بالعيش في أضواء خافتة، ويتحدثون بكلمات هامسة، ويجلسون حيث ينتهي بهم المجلس، لا يعبؤون بالسلوكيات الخادعة، والمظاهر الصاخبة، والأضواء الصارخة، فهم لا يتطلعون إلى الشهرة، ولا يُبدون ما يتمتعون به من علم واسع وثقافة عميقة وفكر أصيل، ورسالتهم في الحياة أنهم (يمشون على الأرض هوناً)**»[1].

الدكتور الشامخ، شامخ بتواضعه ودقّة بحثه، محترم في مجتمعه وبين أقرانه، لكننا - تلامذته وأحباءه - نتمنى عليه أن يخفف من الاعتزال، فهو موهوب مطلوب مرغوب، ومن المبكر عليه أن يبتعد، وهو القادر - بجدارة وكفاءة - على العطاء والإبداع، وفقه الله ورعاه.

---

(١) من مقالة له بعنوان: الناسك الذي عاش في الظل (ويعني به الشيخ عبدالله الفالح)، جريدة الجزيرة، العدد (١٢٢٤١) في ٦/٣/١٤٢٧هـ (٤/٤/٢٠٠٦م).



(٢٤)

ناصر بن حمد المنقور

عكاظ: الإثنين ٢٢ صفر ١٤٢٥هـ، الموافق (١٢ أبريل ٢٠٠٤م)، العدد (١٣٧٤٣).







ناصر المنقور ومحمد أبالخيل في زيارة لمؤسسة الجزيرة الصحفية

إذا كان صحيحاً أن السجايا تولد مع الإنسان، فإن الشخصية فذّة، حباها اللّه، منذ الصغر، كتلة من الخصال، حبّبت المجتمع فيه، وأكسبته الوقار والاحترام، فهو ولد وتربّع على عرش من الدبلوماسية بوجهها الجميل، ورحابة صدر دون تكلّف، وكرم بلا مبالغة، وطول بال بلا إملال، وأخذ من العقل والرزانة والوفاء الشيء الكثير.

وهو تاريخ عريق في التربية والتعليم، وفي الثقافة، وفي الوزارة، ثم رست به السفينة في ميناء الدبلوماسية العريض، مدة تزيد على ثلاثة عقود، وكانت سجاياه الشخصية والاجتماعية تطغى على مناصبه، رغم ما حققه فيها من نجاحات، فمتى ما ذكر في مجتمع، برزت صورته في أذهان الحضور، بوصفه وجهاً سعودياً مرموقاً، بأدبه ولطفه ومجاملته وإنسانيته، وهو يعيد في الذاكرة جيل الوزراء والسفراء القدامى الكبار من أمثال: محمد عبداللّه علي رضا، وإبراهيم السويّل، وعبدالعزيز بن زيد، وعمر السقاف، وعبدالرحمن العمران، ومحمد الشبيلي، وغيرهم ممن أتت هذه الزاوية على ذكرهم من قبل.

وهو من شريحة تعتزل الأضواء، قليلة الظهور الإعلامي حتى في أثناء عمله، لكنه ما أن ينتشر علم وجوده في مدينة في الداخل أو في الخارج، حتى يسارع إليه محبّوه، وهم كُثُر، لاقتناص فرصة الاجتماع به

وتكريمه، أو لرد مجاملة سابقة منه، فلا يكاد يقر في داره، أو يخلد إلى أسرته، أو يفرغ لأقاربه، وهو في حفاوته بالناس وحفاوتهم به شبيه بشقيقه الأكبر الشيخ عبدالمحسن المنقور (انظر ص ٣٥) مما يدلل على أن سجاياهما ذات منبع واحد.

لقد بنيا مجدهما في أفئدة الناس بحسن التعامل والمعروف، بعيداً عن الوظيفة ومتغيراتها، فكان ذلك هو الأبلغ والأبقى أثراً، وهما لم يغيرهما المنصب فلم يتغير معهما الناس، وتركا الوظيفة فلم يتخل عنهما المجتمع سواء كانا حاضرَين في البلاد أو غائبين.

إن مثل هذه الوجوه ـ الظاهرة ـ تستحق دراسة أنثروبولوجية اجتماعية، تستبين مكان الجاذبية وعناصر الوجاهة المستديمة، فهي ظاهرة تبرز في المجتمع الشرقي، وإن كانت لا تستند بالضرورة إلى رصيد المال أو انتماء القبيلة أو الجغرافيا.

ولد الشيخ ناصر المنقور في حوطة سدير بمنطقة نجد عام ١٣٤٨هـ (١٩٣٠م)، ودرس الابتدائية والثانوية في مكة المكرمة والطائف، وتخرج من آداب جامعة القاهرة (١٣٧٢هـ ـ ١٩٥٣م) وصار معتمد التعليم في نجد، متدرّجاً في وظائف تعليمية حتى صار مديراً عاماً لوزارة المعارف، وكان أول مدير سعودي لجامعة الملك سعود (١٣٧٧هـ ـ ١٩٥٧م). ثم عُين وزير دولة لشؤون رئاسة مجلس الوزراء ووزيراً للعمل والشؤون الاجتماعية،

ومنذ عام ١٣٨٣هـ (١٩٦٣م) ولمدة ثلاثين عاماً ساح في عالم الدبلوماسية، سفيراً في اليابان (ومعها كوريا وتايوان) ثم السويد (ومعها النرويج والدنمارك) ثم أسبانيا، وأخيراً بقي في بريطانيا وإيرلندا (١٢) سنة صار خلالها عميداً للسك الدبلوماسي العربي والأجنبي، ومنح في هذه الدول أرفع أوسمتها، وله من الأولاد أحمد وهاني ونورة.

هناك محطات قصيرة في حياته العملية جرّب فيها العمل الحر، رئيساً لمجلس إدارة كهرباء الوسطى، ثم مديراً عاماً لشركة أسمنت اليمامة، وافتتح مكتباً تجارياً خاصاً به، وعندما كان طالباً في القاهرة، تعاون مع الشيخ حمد الجاسر في إصدار مجلة «اليمامة»، وانضم لاحقاً إلى عضوية مؤسسة اليمامة الصحفية عند قيامها، وله مقالات ومشاركات ثقافية منشورة، وقد اختير عضواً في المجلس الأعلى لمعهد المخطوطات التابع للجامعة العربية، وعضواً في مجلس إدارة معهد الدراسات الدبلوماسية بالرياض[1].

وبعد.. إن هناك من السفراء من ينجح في دبلوماسيته عبر المهارة السياسية، وهناك من يبرع فيها عبر مدرسة الأخلاق، وأظن أن الشيخ ناصر هو أحد المنتمين إلى الفئتين معاً، إنه إرث من أصالة الدبلوماسية ومكارم الأخلاق.

---

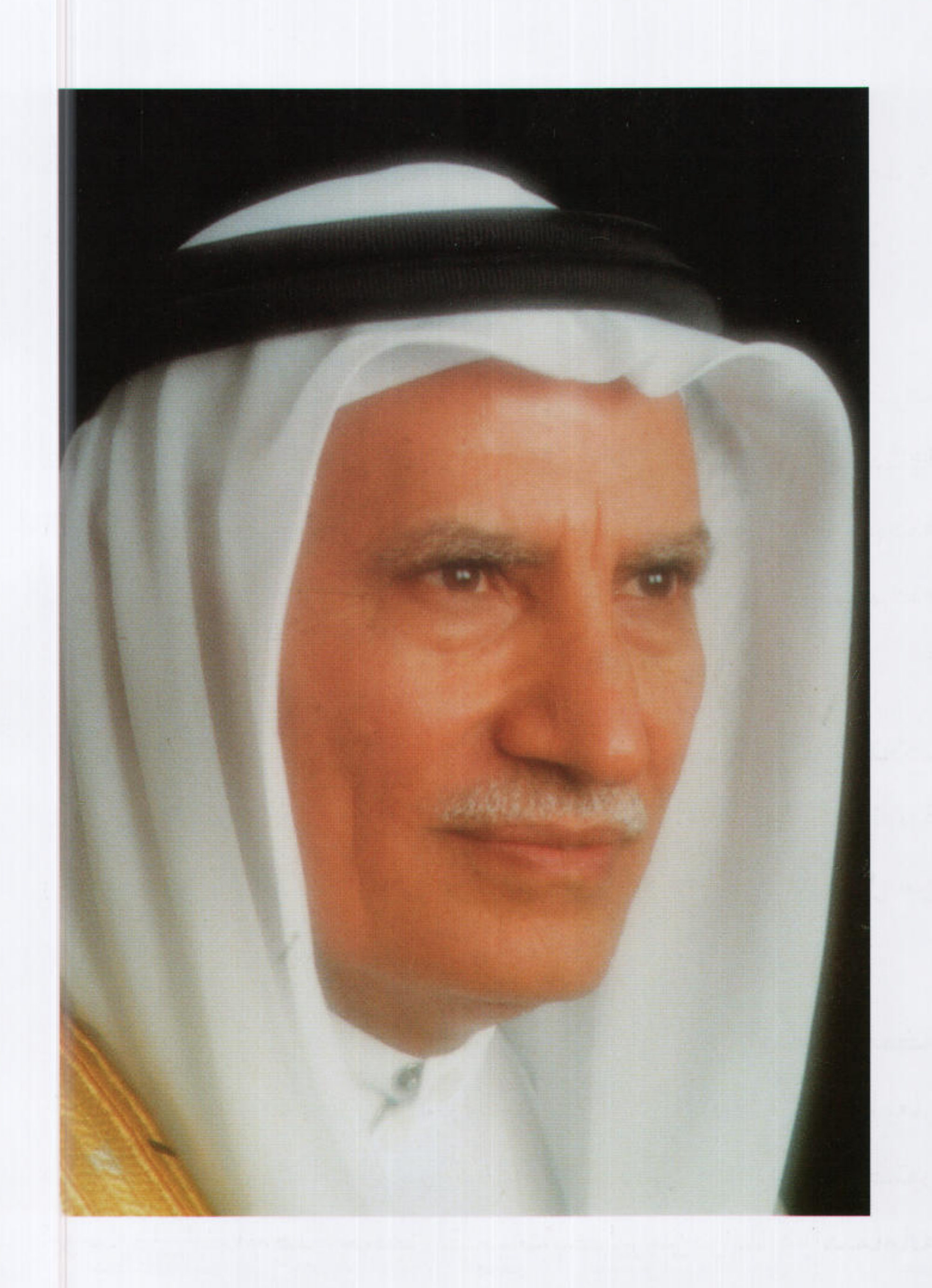
(١) لمزيد من سيرته، يرجى العودة إلى ما نشرته جريدة الجزيرة، العدد (١٢٥٦٤) بتاريخ ٢/٣/١٤٢٨هـ (٢١/٢/٢٠٠٧م) بمناسبة افتتاح مركز صحي أقيم على نفقته وإخوانه في حوطة سدير



(٢٥)

د. عبد الوهاب إبراهيم أبو سليمان

عكاظ: نشر في ٣ حلقات، الاثنين ٣٠ صفر ١٤٢٥هـ، الموافق (١٩إبريل ٢٠٠٤م)، العدد (١٣٧٥٠)، وفي الأسبوعين اللاحقين.



ومن كفايات الندرة في مجتمعنا، البعيدة عن الأضواء، فقيه عصري مستنير، بلغ مرتبة علمية وبحثية رفيعة، وهو يتوارى في مجتمعه القريب في مكة المكرمة، فكيف بما حولها أو أبعد، من المدن والقرى.

منذ عرفته في مناسبة ثقافية في النادي الأدبي بمكة المكرمة قبل عشر سنوات، ثم شاركته قبل عامين في ندوة الجنادرية (عالمية الإسلام)، والرجل يزداد في العين منزلة بعلمه، وقدراً بتواضعه، ورفعة لخُلقه، واحتراماً لجهوده في البحث والاستقصاء، يضيف المرء بمعرفته أسهماً نوعية إلى أرصدته، ويتمنى لو عرفته منذ زمن.

ولعل قراءة في سيرته، تكشف بعض مكامن التميّز والاختلاف عنده، ففي البداية، تبرز نشأته في مكة المكرمة، أسرة ومولداً وتربية ودراسة، وهي ميزة كل من ترعرع في هذه المدينة المقدسة، ونهل من إرثها المعرفي وكنزها الروحي الثمين.

والاستدلال على «عظمة المكان» و «روعته» اللتين تتجلّيان في مكة المكرمة والمدينة المنورة، ليس أمراً غريباً ولا جديداً، لكنه نادراً ما يُعار من الاهتمام في دراسات السير الذاتية ما يستحق، وقد وفّى الدكتور أبو سليمان انتماءه هذا، خاصاً المقدسات بكثير من دراساته واهتماماته البحثية.

إن من درس في مكة المكرمة والمدينة المنورة، بجوار الحرمين الشريفين، حيث تلتقي الثقافات، ويجتمع العلماء من أصقاع العالم الإسلامي، تتميز دراساته بالعمق والانفتاح، يُلحظ ذلك مع أهلهما، ومع من يُهاجر إليهما مجاوراً من أنحاء أخرى (مثل الشيخ محمد بن جبير والشيخ حمد الجاسر والدكتور عبدالعزيز الخويطر والشيخ عبدالله بن خميس والشيخ عبدالعزيز المسند والشيخ حسن آل الشيخ.. وغيرهم كثيرون).

ثم يأتي محيط الأسرة، إذ كانت أسرة علم وتربية وثقافة يوجد فيها مثل أبناء عمومته د. عبدالحميد الذي انتُدب مديراً للجامعة الإسلامية في ماليزيا، والأستاذ جميل أبو سليمان الذي تقلب في عدد من المناصب التعليمية والثقافية.

ثم يصل المرء إلى عامل ثالث في غاية الأهمية، وهو الابتعاث للخارج (إلى بريطانيا) لدراسة الفقه، والحصول على الدكتوراه من جامعة لندن ١٣٩٠هـ (١٩٧٠م) مع دبلوم إضافي في الدراسات الحقوقية والقانون الإنجليزي من لندن أيضاً.

إن بعض مؤسسات التعليم العالي تتمسك مؤخراً بالابتعاث الداخلي للدراسات العربية والإسلامية، وذلك لتوافر متطلباتها محلياً، ومع التسليم بصحة ذلك، إلا أن الابتعاث إلى الخارج يفتح للمبتعث آفاقاً لا تُحصى، فالمسألة ليست مسألة كتب ومعلمين، بقدر ما هو التثقيف وتنويع مصادر

المعرفة، والدليل على ذلك أن الدكتور أبو سليمان يتميز في هيئة كبار العلماء بإجادة لغة أجنبية، ولولا لغته لما تمكّن ـ كما سيأتي ـ من أن يقضي عام ١٣٩٦هـ (١٩٧٧م) باحثاً ومحاضراً في الفقه الإسلامي في جامعة هارفرد وبوسطن، وعاماً لاحقاً آخر أستاذاً زائراً في جامعة ديوك الأمريكية، ولا أن يُمثل المملكة في مؤتمرات القانون الدولي.

أما السمة الرابعة لكفاءته، فهي التمازج بين الفقه الشرعي والقانون الدولي، مما يندر بين علمائنا اليوم، مع أن ظروف الانفتاح على العالم توجب أن يكون بيننا ملمّون بدراسات المقارنة.

د. عبدالوهاب أبو سليمان لا توفيه حلقة أو حلقتان، ولكن حَسْب هذه الزاوية أن تُلمح إلى أعلام بلا إعلام، يعيشون بيننا، تمنعهم عزة النفس من الظهور والإعلام لا يبحث عنهم:

١ ـ إن السائح في سيرته، والمتجوّل في معرض حياته، يتوقّف طويلاً أمام ثماني لوحات ناطقة، لافتة للنظر، تبدأ بصورة ذلك اليتيم الذي ولد عام ١٣٥٦هـ (١٩٣٧م) في مكة المكرمة، والتحق بمدرسة دار الأيتام، ذلك أن اليُتم كثيراً ما يؤدي إلى النبوغ متى ما حظي الصغير بالرعاية الحانية الراشدة، فلقد توفي والده وعبدالوهاب في الخامسة من العمر.

٢ ـ ثم إنه بعد تخرجه في كلية الشريعة، أولى ركائز التعليم العالي في المملكة، وتعيينه عام ١٣٧٧هـ (١٩٥٧م) معلّماً للفقه والتفسير في إحدى مدارس مكة المكرمة، لم يُصبه الغرور بشهادته الجامعية، التي كانت تعدّ آنذاك عملة صعبة تتلقفها أجهزة الدولة والقضاء، بل سعى إلى ملازمة الشيخ حسن مشّاط، الفقيه القاضي والمدرّس بالحرم الشريف، ملازمة دامت، في المنزل وفي الحرم، سبع سنوات، تلقّن فيها تطبيقات في العلوم الشرعية والعربية فوق ما درسه في كليته (والشيخ المشّاط، أحد كبار علماء الحرم، وهو خريج المدرسة الصولتية، وقد توفي عام ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م، مخلّفاً أكثر من ١٥ مؤلفاً)، ثم اختير د. عبدالوهاب بعد ستة أعوام مدرساً في كلية الشريعة، وقد تزوج ورزق بأنس وأربع بنات.

٣ ـ اللوحة الثالثة المعّبرة، هي ابتعاثه لنيل الدكتوراه من بريطانيا عام ١٣٨٥هـ (١٩٦٥م) في الفقه المقارن من جامعة لندن، مع دبلوم عالٍ في الحقوق، وقد عاد بعد خمسة أعوام ليصبح عميداً لكليته، ويبلغ الأستاذية، ويشارك في لجان تطوير المناهج وفي تقويم الشهادات وفي المجلس العلمي.

٤ ـ ثم ينتقل د. أبو سليمان إلى طور العالميّة في حياته العلمية، فلقد انتُدب أستاذاً باحثاً في الفقه الإسلامي بجامعتي هارفرد وبوسطن، وفي عام آخر إلى جامعة ديوك، وفي عام ثالث إلى الجامعة الإسلامية العالمية

بماليزيا، وفي عام رابع إلى جامعة الإمارات، كما شارك في عضوية لجان الخبرة في مجمع الفقه الإسلامي بمنظمة المؤتمر الإسلامي، وهيئة الزكاة بالكويت، واللجنة العلمية بالبنك الإسلامي للتنمية، ومشروع الفقه المالكي بدبي وغيرها.

٥ ـ أما اللوحة الخامسة، وهي الأرحب، فتمثل مجال الإنتاج العلمي للدكتور عبدالوهاب أبو سليمان، إذ سبح في عالم التحقيق والبحث والتأليف والمحاضرات، فألّف ستة كتب في الفقه الإسلامي وثلاثة كتب في الدراسات الأصولية، وستة كتب في منهجية البحث العلمي، وستة كتب في دراسات التاريخ والعقائد.

٦ ـ كما قدّم د. عبدالوهاب إبراهيم أبو سليمان بحوثاً عدة في قضايا الزكاة، وفي عقود المعاملات، والتعامل مع «النوازل»، وفي أمور فقهية حديثة متنوعة، وخص المشاعر المقدسة والحرم المكي الشريف ومناسك الحج بالكثير من أبحاثه ودراساته ومحاضراته، التي تميزت بالأصالة.

فالعلَامة الفارقة في تحصيله هي تركيزه على قضايا معاصرة في الفقه الإسلامي، مثل عقود التأمين ومواقيت الحج والبطاقات البنكية والوقف وفقه الضرورات، وهو في تميزه يتمم الجهود التي يبذلها علماء محدثون من أمثال د. صالح بن حميد ود. بكر أبوزيد ود. يعقوب الباحسين.

٧ ـ ومما يُقدّر له أيضاً، جهوده في مسألة تدوين الأحكام الفقهية على المذاهب الإسلامية الراجحة، والدعوة لتقنينها، وكان هذا الموضوع من اهتمامات شيخنا الراحل محمد بن جبير، فالدكتور عبدالوهاب ـ بمشاركة زميله د. محمد إبراهيم أحمد علي ـ وجّه قسطاً من أعماله لتحقيق مجلة الأحكام الفقهية (لأحمد قاري) التي ظهرت في بدايات عهد الملك عبدالعزيز في الحجاز، يضاف إلى ذلك كثرة تأمله في المذاهب الإسلامية الأخرى، وبخاصة الشافعية، لاستكشاف فوائد التيسير فيها على المسلمين.

٨ ـ لقد جاءت ذروة التقدير لبلوغه درجة عالية من التأهيل العلمي والمعرفي في مجال الشريعة والفقه المقارن والدراسات القانونية في اختياره عام ١٤١٣هـ (١٩٩٣م) عضواً في هيئة كبار العلماء، وهي ثقة تدلل على منزلة نزاهته، وتكريم يليق بصدقيته وتواضعه، نفع الله بعلمه وزاده رفعة ومقاماً.

(٢٦)

مُحَمَّد سُرُور الصَّبَّان

ندوة جامعة أم القرى بمكة المكرمة عن مآثر الشيخ محمد سرور الصبان، الأحد ١٤٢٥/٣/٢٠هـ (٢٠٠٤/٥/٩م)، ثم نشر في اليوم التالي والذي بعده في جريدة عكاظ (العددين: ٣١٧٧٢ و ٣١٧٧٣).



رغم معاصرتي ـ خلال عملي الإعلامي ـ للسنوات الثماني الأخيرة من حياة الشيخ محمد سرور الصبان، إلا أنني لم ألتق به أو أجتمع، والواقع أن المتعمّق في تاريخ الإعلام السعودي المبكر في الحجاز، يجده حاضراً في عدد من المواقع المؤثرة في صياغة هذا التاريخ، وبخاصة فيما يتصل بتطور الصحافة والطباعة وبتأسيس الإذاعة السعودية، فضلاً عن إسهاماته المعروفة في الحركة الثقافية بشكل عام.

وفي هذه الندوة المخصصة ـ بجامعة أم القرى ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م ـ للاحتفاء بالسجل الإداري والاجتماعي والثقافي للشيخ الصبان، تلقي هذه الورقة الضوء على جانب واحد مُغْفَل من جوانب سيرته الثقافية المتنوعة الملامح والسمات، وهو دوره المتصل بالإعلام، وإن كان جانباً يلتقي مع غيره من محاور الندوة في مصب واحد، فهو ـ بلا ريب ـ وجه ثقافي وأدبي وإعلامي واجتماعي، ذو أبعاد متعددة.

وإذ يذكر الوسط الثقافي والأدبي هذا السعودي الفذّ، وينصف جهوده الفكرية والاجتماعية والإدارية، وبخاصة عندما يرصد بداية النهضة الأدبية السعودية في الحجاز، وظهور كتابيه: أدب الحجاز (الشعري ١٣٤٤هـ ـ ١٩٢٥م)، والمعرض (النثري ١٣٤٥هـ ـ ١٩٢٦م)، وتأسيس مكتبته (المكتبة الحجازية) في مكة المكرمة، فإن

المؤرخين الإعلاميين لا يوفون الصبان حقه نظير تأثيره فيما يتصل ببدايات الصحافة والطباعة والإذاعة السعودية.

لعل العلامة الأوضح في التاريخ الصحفي للشيخ الصبان تتمثل في «ثلاثي» الشركة العربية للطبع والنشر وجريدة (صوت الحجاز) وجريدة (البلاد السعودية التي أصبحت فيما بعد تسمى «البلاد»)، وهو مثلث بدأ في عام ١٣٥٤هـ (١٩٣٥م) بتأسيس تلك الشركة التي تُعد أول تكوين إعلامي أهلي من نوعه، سبق إنشاء المؤسسات الصحفية بثلاثين عاماً.

هذا التكوين الإعلامي الذي لم يقدّر الكثيرون أهميته في حينه، كان شكلاً متقدماً للتكتلات الإعلامية الحديثة، التي برزت في أيامنا المعاصرة، بوصفها الأقدر - في الغالب - على إيجاد صناعة صحفية منافسة، ولو قدّر للشركة أن تستمر بعد عام ١٣٨٣هـ (١٩٦٣م) بالقوة التي بدأت بها، وبالفكرة التي أنشئت من أجلها، فربما أصبحت في يومنا هذا إمبراطورية إعلامية رائدة ومؤثرة في مسيرة الصحافة السعودية.

تبدأ القصة، مع محمد صالح نصيف، الذي كان يتولى تحرير صحيفة (بريد الحجاز) الهاشمية في جدة، ثم حصل في ذي القعدة عام ١٣٥٠هـ (أبريل سنة ١٩٣٢م) على امتياز إصدار جريدة (صوت

الحجاز)، لتكون بذلك أول جريدة أهلية تصدر في العهد السعودي.

ومع أن جريدة (أم القرى) قد أشارت في عددها رقم (٣٧٩) الصادر بتاريخ ١٠/١١/١٣٥٠هـ (١٧/٣/١٩٣٢م) إلى أن عبدالوهاب آشي كان شريكاً له في الامتياز، إلا أن ذلك لم يثبت فيما بعد، ولكن المؤكد أنه كان في مقدمة المثقفين الذين تعاقبوا على تولي مسؤولية التحرير، ومنهم محمد حسن فقي وحسن كتبي ومحمد سعيد العامودي، بل كان بعضهم - وبتشجيع من المؤرخ والصحفي الكويتي (السعودي الأصل) عبدالعزيز الرشيد - قد شكل «لفيف الشباب» الذين أبدوا للملك عبدالعزيز الرغبة مع نصيف في إصدار الجريدة، وذلك وفقاً لما جاء في العدد (٣٧٠) من جريدة (أم القرى).

ظلت الجريدة بعد صدور عددها الأول يوم ٢٧/١١/١٣٥٠هـ الموافق (٣/٤/١٩٣٢م) تطبع أسبوعياً في المطبعة السلفية، وهي - ذاتها - مطبعة (المنار) المصرية للشيخ محمد رشيد رضا، وكانت مطبعة قديمة تُدار باليد، اشتراها محمد صالح نصيف وعبدالفتاح قتلان، وأقيمت في منزل الشيخ نصيف في محلة (أجياد)، وقد كان صدور الجريدة حدثاً تاريخياً مهماً في مسيرة الثقافة السعودية، حيث صارت معرضاً لأقلام الشباب المتحمس - ومن بينهم الصبّان - ومسرحاً لأفكارهم ومبارزاتهم، ونشر شعرهم ونثرهم ونقدهم.

ويبدو أن الشيخ الصبان، الذي كان يُعد من أبرز أدباء تلك الفترة وأكثرهم حماسة، كان يبحث عن نافذة يعرض من خلالها أفكاره ومقالاته، حتى لقد ذكر عبدالله عمر خيّاط نقلاً عن محمد علي مغربي، أن الشيخ الصبان سبق أن اشترى من الشيخ نصيف امتياز (بريد الحجاز) التي أصدرها الشريف علي بن الحسين في جدة عام ١٣٤٣/١٣٤٤هـ، وهي معلومة لم أجد ما يؤكدها في مصدر آخر، وإن كنت أشكك بدقتها على أساس أن الجريدة كانت تابعة للشريف علي وانتهت بانتهاء حكمه خلال عام بعد صدور (٥٥) عدداً منها.

ربما كانت الظروف السياسية التي مر بها الشيخ الصبان في عامي ١٣٤٣هـ و ١٣٤٦هـ حائلاً دون إقدامه على طلب امتياز صحيفة باسمه، فاتجه إلى تأسيس شركة الطبع والنشر لشراء امتياز قائم (وهو امتياز صوت الحجاز)، التي كان قد مضى على صدورها أربع سنوات، ظهر خلالها (١٥٢) عدداً.

لم أجد في المراجع المتاحة التي أمكن الاطلاع عليها، أسماء الشركاء الذين تكوّنت هذه الشركة منهم، غير أن الأستاذ أمين عبدالله قرقوري ذكر لي أن منهم أخاه عبدالله سرور الصبان وعبدالحي قزاز وحسن الشربتلي، ويذكر محمد علي مغربي في أعلام الحجاز (ج ٣) أن الصبان اختار أحمد السباعي مديراً للشركة

ومطبعتها والمغربي مراقباً للحسابات، لكنهما - في الغالب - لم يكونا شريكين في الشركة، وبحكم أن مجلس الشورى - آنذاك - كان المخوّل بإقرار إنشاء الشركات، فقد نظر في ذلك العام، في نظام الشركة ووافق عليه.

كانت الشركة، بالإضافة إلى إصدار (صوت الحجاز) وطباعتها، تقوم بطبع الكتب المدرسية، كما تولّت طباعة مجلة (المنهل) بعد انتقالها من المدينة المنورة قبل أن تستقر في جدة، وكانت الشركة، قد جلبت لتنفيذ هذه الأعمال الطباعية مطبعة جديدة (سميت المطبعة العربية) واتخذت من (محلة الشامية) مقراً لها، وذلك وفقاً لما ذكره عبدالقدوس الأنصاري في (الكتاب الفضي للمنهل)، ولقد كان انتقال (صوت الحجاز) إلى ملكيتها الجديدة، وجلب مطبعة متطورة لها بمثابة الميلاد الثاني لها.

أما بالنسبة (لصوت الحجاز)، فقد عيّن الصبان أحمد قنديل رئيساً لتحريرها لفترة قصيرة، خلفه أحمد السباعي، الذي لم يستمر طويلاً، فعين فؤاد شاكر رئيساً للتحرير من عام ١٣٥٧هـ وحتى ١٣٦٠هـ، ويبدو أن صحيفة (صوت الحجاز) صارت في ظل رئيس تحريرها الأخير تصدر مرتين في الأسبوع، وذلك بدءًا من العدد (٣٤٢ عام ١٣٥٧هـ - ١٩٣٩م)، حتى اضطرتها ظروف الحرب العالمية الثانية

للتوقف أسوة بغيرها من الصحف السعودية الأخرى، التي صدر بلاغ قلم المطبوعات رقم (٦٣) وتاريخ ١٣٦٠/٩/٢٧هـ (١٩٤١م) بإيقافها، وكانت (صوت الحجاز) قد بلغت العدد رقم (٥٤٢) عند توقفها، بعد عشرة أعوام تميزت بالمحتوى الفكري المتميز والموضوعات الثقافية المتنوعة، وقد قام د. منصور الحازمي بتكشيف مادتها الأدبية في كتاب جاهز للصدور.

وبعد خمس سنوات من التوقف (١٣٦٥/٤/١هـ - ١٩٤٦/٣/٤م) عادت الجريدة باسم جديد هو (البلاد السعودية)، وبرئيس تحرير جديد هو عبدالله عريف، لكنها ارتبطت بسابقتها - صوت الحجاز - بأمرين: الشركة صاحبة الامتياز التي لم تتغير، والترقيم السابق الذي بني عليه الإصدار الجديد (٥٩٣)، مما يدلل على أن (البلاد السعودية) في سمتها الجديدة هي امتداد (لصوت الحجاز)، وقد سبقت (البلاد) الصحف السعودية الأخرى بمسألتين: الأولى: الصدور اليومي، فلقد تدرجت من الصدور ثلاث مرات في الأسبوع بدءًا من العدد الألف ١٣٧٠هـ (١٩٥١م) إلى الصدور بشكل يومي بدءاً من العدد (١٤١٢) عام ١٣٧٣هـ (١٩٥٣م)، أما الثانية: فهي استخدام الصور الفوتوغرافية الذي تدرجت فيه أيضاً بين عامي ١٣٦٥هـ وحتى ١٣٧٠هـ، ويلحظ أن هاذين السبقين قد تحققا في عهد الملك عبدالعزيز.

استمرت الشركة العربية للطبع والنشر، برئاسة الشيخ محمد سرور الصبان تصدر جريدة (البلاد السعودية) من عام ١٣٦٥هـ وحتى ١٣٧٨/٧/١٦هـ (١٩٥٩/١/٢٥) حيث أصدرت (٢٩٦١) عدداً، عندما دخلت مرحلة رابعة من حياتها، هي اندماجها مع جريدة (عرفات) التي كان يملك امتيازها حسن عبدالحي قزاز، فأسفر الاندماج عن صحيفة (البلاد)، التي أصبح يرأس تحريرها كل من فؤاد شاكر وحسن قزاز، وقد دخل القزاز في ملكية الجريدة مناصفة مع الشركة العربية للطبع والنشر، علماً بأن والده عبدالحي قزاز كان ـ كما سلف ـ أحد مؤسسي الشركة الأولى.

ظلت الجريدة تصدر حتى عام ١٣٨٣هـ عندما أُنهي امتيازها بموجب نظام المؤسسات الصحفية، بعد أن صدر منها (١٥٥٦) عدداً، إذ كانت بعد الدمج قد صدرت بترقيم جديد، ولم ينته الأمر عند هذا الحد، بل دخل بعض أعضاء الشركة العربية للطبع والنشر، وفي مقدمتهم محمد سرور الصبان وحسن قزاز في مؤسسة البلاد الصحفية الجديدة، التي واصلت إصدار الجريدة بدءًا من العدد (١٥٥٧) وحتى اليوم.

لقد كان الشيخ محمد سرور يكتب باسمه الصريح، أو تحت الأسماء المستعارة (أبو فراس ومحجوب و: م س الصبان)، مقالات

أدبية ومختارات شعرية وذكريات تاريخية وآراء اقتصادية، نشر كثيراً منها في مجلة (المنهل) ومجلة (الحج)، وفي (صوت الحجاز) وفي (البلاد)، لكن القليل منها كان يصب في حقل الإعلام، ويقول محمد علي مغربي في (أعلام الحجاز): إن انضمام الصبان إلى وزارة المالية مع بعض المثقفين من أمثال: محمد حسن فقي وحسن كتبي وأحمد قنديل وعبدالوهاب آشي، قد ساعد في تحسين لغة الكتابة في ديوان الوزارة وفي جهاز الدولة بشكل عام.

وبعد : إن نجاح محمد سرور الصبان وشركائه قبل سبعين عاماً في استمرار إصدار (صوت الحجاز) وتحويلها إلى جريدة (البلاد) ذات التاريخ العريق الذي تم استعراضه، والتي تحتضر اليوم في ظل ملكية (٣٠) مؤسساً، ليس بينهم من يُعد نفسه أباً روحياً للجريدة - كما كان يفعل محمد صالح نصيف أو محمد سرور الصبان وحسن عبدالحي قزاز - يضع علامة استفهام كبرى أمام نظام المؤسسات الصحفية الذي عجز أن ينقذ (البلاد) ومثيلتها (الندوة) من الانهيار.

من مآثر الشيخ الصبان، الذي تذكر له، والحديث عن الطباعة والنشر، سعيه إلى تأسيس شركة طباعية رائدة مماثلة، وهي شركة مصحف مكة المكرمة عام ١٣٦٩هـ (١٩٤٩م) مع محمد علي مغربي والخطاط محمد طاهر الكردي وإبراهيم النوري وغيرهم، الشركة

التي جلبت مطبعة أمريكية جديدة لطباعة المصحف الشريف لأول مرة في تاريخ مكة المكرمة، في خطوة متقدمة تمت في أواخر عهد الملك عبدالعزيز، وقد خصصت الجريدة الرسمية (أم القرى) عددها ذا الرقم (١٣١٢) الصادر بتاريخ ١٣٦٩/٨/٢هـ (١٩٥٠/٥/١٩م) لإعطاء معلومات تفصيلية عن هذه الشركة ومطبعتها وعن مصحف مكة المكرمة، مما يغني عن التكرار.

وإذا كان راصدو الحركة الثقافية السعودية، يتذكرون بعضاً مما تقدم من مآثره في مجال الطباعة والصحافة، فإن دوره في تأسيس الإذاعة ما يزال مجهولاً أو ربما غائباً، مع أن الواقع يقول: إن الشيخ الصبان ـ بوصفه مستشاراً بوزارة المالية ـ كان السند المالي الأكبر للإذاعة في بدايتها، وكان همزة الوصل بين إدارة الإذاعة وديوان وزارة المالية، والقريب إلى أسرة الإذاعة بثقافته ومرونته وتقديره للظروف، ومعايشته للهموم، وكان الضمير المستتر وراء نموها.

كان الملك عبدالعزيز قد وافق على تأسيس الإذاعة بناءً على فكرة من ولي عهده الأمير سعود، وقد أوكل جلالته أمر الإشراف عليها إلى نائبه في الحجاز الأمير فيصل، وتولى وزير المالية عبدالله السليمان أمر وضع المواصفات وإبرام عقد التركيب والصيانة والتأسيس، فافتتحت في جدة في ذي الحجة عام ١٣٦٨هـ (١٩٤٩م).

كانت الإذاعة ترتبط إدارياً بالشيخ الصبان، الذي سعى في عامها الثالث إلى تنفيذ الجزء الثاني من مشروعها، المتمثل في إقامة مركز فني وآخر إداري لها في مكة المكرمة، مما مكن الإذاعة من الانتقال إلى العاصمة المقدسة مطلع سنة ١٣٧١هـ في حفل افتتاح (في مقرها الفني على جبل هندي) رعاه الأمير فيصل نائب الملك في الحجاز مساء يوم الثلاثاء ١٣٧١/١/١هـ (١٩٥١/١٠/٢١م)، وقد نشرت (البلاد) في حينه كلمة للشيخ الصبان بهذه المناسبة، كما نشرت جريدة (أم القرى، العدد ١٣٨١) مع غيرها من الصحف تفاصيل الحفل المذكور، الذي بدأ بكلمة افتتاحية من سموه، ثم بكلمة مدير عام الإذاعة المساعد إبراهيم فودة، وألقى فيه فؤاد شاكر وأحمد الغزاوي قصيدتين.

ثم استمر دور الشيخ الصبان وعلاقته بالإذاعة، لدرجة أنه صار مشرفاً على مديرية الحج والإذاعة التي تأسست عام ١٣٧٢هـ نتيجة دمج هاتين المديريتين التابعتين لوزارة المالية في مديرية واحدة، صدر بها أمر سام من ولي العهد الأمير سعود بن عبدالعزيز برقم (١٥٠) وتاريخ ١٣٧٢/١/٢هـ (١٩٥٢/١٠/٢٠م).

فلقد نصت الفقرة الثانية منه على أن تخضع المديرية لإشراف وزير المالية وتوجيهه، ونصت المادة الثالثة على أن ينتدب وزير المالية -

من قِبَله - نائباً عنه في الإشراف على إدارتها، فبعد نحو شهرين صدر ما يشير إلى تكليف الشيخ محمد سرور الصبان بهذه المهمة، ونشر في حينه في جريدة (أم القرى، العدد ١٤٤٤ بتاريخ ١٣٧٢/٤/٩هـ - ١٩٥٢/١٢/٢٦م)، وظل الأمر على هذه الحال مدة تزيد على عامين حين صدر مرسوم ملكي في عهد الملك سعود (رقم ١٠٠٧/١٦/٣/٧ وتاريخ ١٣٧٤/٦/١٧هـ الموافق ١٩٥٥/٢/١٠م)، يقضي بارتباط مديرية الإذاعة برئيس مجلس الوزراء، وهو ما أنهى ارتباطها بوزارة المالية، وبالتالي بالشيخ محمد سرور الصبان، بعد خمسة أعوام من الإسهام الفاعل في تأسيسها وتطويرها، وقد وُثقت تلك الفترة بكتيّب أصدرته الإذاعة عام ١٣٧١هـ، وبعدد خاص من مجلة (المنهل، صفر ١٣٧١هـ) يتضمن معلومات مهمة عنها، وكلمة عن نشأة الإذاعة للشيخ الصبان.

وأخيراً، إن دخول الشيخ الصبان إلى عالم الإعلام المطبوع، من خلال شراء امتياز صحيفة (صوت الحجاز) سنة ١٣٥٤هـ (١٩٣٥م)، مع تأسيس مطبعة خاصة لطباعتها وغيرها من المطبوعات والكتب، ثم مشاركته نيابة عن وزير المالية في إدارة الإذاعة، بل وتكليفه رسمياً سنة ١٣٧٢هـ (١٩٥٢م) بالإشراف - أثناء عمله مستشاراً في وزارة المالية - على مديرية الحج والإذاعة، هي أمور لم تأت من فراغ.

كما لا ينبغي أن ينظر إلى اهتماماته بالصحافة والإذاعة، بمعزل عن انشغاله بقضايا الإدارة والفكر، فوسائل الإعلام تلك هي إحدى الأدوات الحاضنة للثقافة ونوافذ لإفراغ شحنات همّ التنوير الذي طالما سعى إلى تحقيقه منذ مطلع شبابه، لكن الغريب أن يبقى هذا الجانب وإبرازه، غائباً - حسب تقديري - من كل من رصد مسيرته، أو حلل شخصيته، أو قام بدراسة أدبه ورياداته الثقافية المتعددة، لدرجة أن عبدالله عريف، مؤلف كتاب رجل وعمل (الصادر عام ١٣٦٤هـ)، الذي خصصه لاستعراض مسيرة الصبان لم يتطرق البتة إلى تجربة الشركة العربية للطبع والنشر و (صوت الحجاز) من عام ١٣٥٤هـ إلى عام ١٣٦٠هـ، ولذا فإن من المرجو أن تسفر الندوة المقامة عنه في جامعة أم القرى، عن سِفْر جامع مستوفٍ عن الصبان ومآثره وأعماله، يضم فيما يضم المخطوط الذي كتبه الشيخ حسن كتبي.

لقد كان محمد سرور الصبان - كما كتب محمد علي مغربي في أعلام الحجاز، ود. ناصر الرشيد في مقالة بمجلة (الدارة)، وعبدالله عمر خياط في مقابلة بمجلة (الفيصل)، وإبراهيم عبده في كتابه سيرة من الحرمين، والدكتور أحمد زكي أبو شادي في حديثه الإذاعي عنه من إذاعة صوت أمريكا ونشرته (المنهل) في حينه، وطه عبدالباقي سرور، ومحمد عبدالمنعم خفاجي في السلسلة (٧) من أدباء الشرق، ود. زهير جميل كتبي، وهاني ماجد فيروزي، وغيرهم

كثيرون - يعيش منذ صغره هاجس التجديد والتنوير والعصرية والإصلاح في وطنه، وقد ولد مع تاريخ الصحوة الذهنية التي جاءت مع التخلص من حكم الأتراك، ووظّف ماله وجهده وعبقريته ومؤلفاته وكتاباته الجريئة كي يرى هذا الوطن، وقد خرج من عزلته، وتحلل من انغلاقه، واحتل مكان صدارة تتناسب وموقعه الروحي في العالم العربي والإسلامي.



(٢٧)

عبد الرحمن المنصور الزامل

الشرق الأوسط: الثلاثاء ٢٢ ربيع الأول ١٤٢٥هـ، الموافق (١١ مايو ٢٠٠٤م)، العدد (٩٢٩٦).



هذه هي المرة الثانية التي أتناول فيها قصة هذا الرجل، الذي هاجر ولم يرحل، وأكثر من التنقل والأسفار، لكنه لم يغب، وإذا صادف أن يكون كاتب هذه السطور على صلة قرابة به، فإن قصته في الواقع، تمثل حكاية المئات من السعوديين، الذين هاجروا تحت ظروف اقتصادية وأمنية معينة إلى الهند وبلاد الشام والعراق ومصر وبعض بلدان الخليج، ثم عادوا، وكانوا خلال هجرتهم في تواصل لا ينقطع مع مسقط رؤوسهم، في الحجاز والأحساء ونجد (وبخاصة في سدير والقصيم والزلفي) وغيرها من أنحاء السعودية، لكن أكثرهم عاد، بعد أن تحسنت الأحوال وتغيرت الظروف.

كانت الكتابة الأولى عنه بمناسبة تكريم أهالي مدينة عنيزة له في مركز ابن صالح الثقافي عشية السبت ١٤٢١/٨/١هـ (٢٨/١٠/٢٠٠٠م)[1]، وأحسب أن القارئ لن يملّ قراءة سيرة هؤلاء الرجال، فضلاً عن أن تأتي الكتابة تعبيراً عن مشاعرهم ومكنوناتهم عنهم، وأن يركز الوصف على الظاهرة وعلى الأشخاص النماذج لهذه الظاهرة.

والكتابة عن الشيخ الزامل، الذي يُعد اليوم عميد أسرته بفروعها، وكان يتخذ من المملكة والكويت مقراً مزدوجاً لإقامته، لابد أن تُقرأ

(١) نُشرت في اليوم التالي في جريدة الجزيرة.

من زوايا عدة، تشبه إلى حد كبير سيرة أمثاله من النجديين المقيمين في الكويت وجنوب العراق.

أولها: هجرته الأولى في نهاية الأربعينيات من القرن الهجري الفائت من مسقط رأسه (عنيزة) إلى البحرين، أولاً، بحثاً عن أفق أرحب في طلب الرزق، وحباً في المغامرة وركوب التحديات ومواجهة الصعوبات، شأنه في ذلك، بأسلوب مختلف، شأن عدد من تجار منطقته (العقيلات) الذين اشتهروا بتعاملاتهم مع البلدان المجاورة شمالاً وغرباً، في ظاهرة يؤرخ لها بقرنين من الزمان (١١٥٠ ـ ١٣٥٠هـ/ ١٧٥٠ ـ ١٩٥٠م) ونسجت حولها قصص واقعية وأساطير تصلح لمسلسلات تلفزيونية شيّقة.

لقد كان الشيخ الزامل من فئة من أقرانه، الذين فضلوا التوجه شرقاً عبر البحر إلى الهند والبحرين أو بلدان الخليج الأخرى، لدرجة أن كثيرين من أهل نجد استقروا هناك وأسسوا دوراً تجارية وأسراً ومضافات للزائرين السعوديين والعابرين، بقي بعضها حتى اليوم، لكنهم ظلوا محافظين على ثقافتهم ولغتهم ولهجاتهم، وعلى علاقاتهم بأوطانهم الأصلية.

أما الزاوية **الثانية:** فهي أن الشيخ الزامل، الذي تجاوز العقد التاسع من عمره، يعد أحد شهود العصر على مرحلة مهمة من تاريخ المنطقة، خاصة وأنه كان يحتل موقعاً اجتماعياً يسمح له بالرواية ويمنحه الصدقية،

ويجعل أحكامه تُؤخذ بالقبول والتسليم بما تختزنه ذاكرته من معلومات وذكريات، ومن حسن الحظ، أنه خص كاتب هذه السطور بحديث تلفزيوني شامل، عن سيرة حياته ومراحل تطورها، في توثيق قد يفيد الباحثين والمهتمين بدراسة التاريخ الاجتماعي والاقتصادي والسياسي لمنطقة الخليج، كما أفاد شريط الحديث ليلة تكريمه قبل أعوام.

الشيخ الزامل ـ بحكم طفولته التي أمضاها في عنيزة وشبابه الذي قضى شطراً منه في البحرين، قبل أن ينتقل منها للاستقرار في الكويت، وكهولته التي عادت به جزئياً في هجرة العودة إلى الرياض وعنيزة ـ هو في الواقع، شاهد حال وإثبات، على التحولات الاقتصادية والاجتماعية المتسارعة التي شهدتها مجتمعات المملكة والكويت والبحرين في فترة التوحيد والاستقلال والاستقرار وتدفق النفط، وتحرك عجلة التنمية والتغيرات السكانية، التي لا تفيها الانطباعات الشخصية حقها من الوصف والتصوير.

لقد استعرت عنوان هذا المقال (بين هجرتين) من عنوان كتاب متسلسل الأجزاء، ألّفه عبدالرزاق الصانع وعبدالعزيز العلي ـ بدعم من الشيخ عبدالعزيز البابطين ـ عن إمارة الزبير، بجنوب العراق، التي استقبلت آلاف النجديين في القرنين الماضيين، ثم عادوا إلى وطنهم خلال

العقود الماضية، وبخاصة بعد أن تغيرت أحوال العراق نتيجة تعاقب الثورات والنكبات، في مقابل ما تشهده المملكة من أمان وازدهار.

الشيخ عبدالرحمن المنصور الزامل، مثل كثير من رجال الأعمال ووجهاء المجتمع من جيله، كان قد عاصر الكتاتيب، ثم قيام أول مدرسة حديثة أهلية، أنشأها صالح القرزعي وأخرى أسسها أستاذ الجيل صالح بن ناصر الصالح، وليرتقي بها سنة ١٣٤٨هـ (١٩٢٩م) عن أساليب الكتاتيب المعروفة في عنيزة آنذاك، يعاونه في ذلك شقيقه الراحل عبدالمحسن الذي لا يقل عنه انفتاحاً وسعة مدارك، وهما، وبالمناسبة، أخوا الشيخ عثمان الصالح المربي الفاضل المعروف.

قام الشقيقان بتطبيق بعض ما تعلماه في مدرسة (النجاة) الشهيرة في الزبير، وهي المدرسة التي أسسها الشيخ محمد أمين الشنقيطي عام ١٣٣٨هـ (١٩١٩م)، وكان إذ ذاك يتنقل بين عنيزة والزبير والكويت، وقد تركت هذه المدرسة أثراً تنويرياً مهماً في منطقة الخليج كافة.

كان الأستاذ صالح (وشقيقه عبدالمحسن) قد استقرا في عنيزة قرب أخوالهما، ليشكلا فيها توأمة عاطفية مع مدينتهما الأصلية (المجمعة، كبرى مدن إقليم سدير)، وكان من تأثيره أن أقام له تلاميذه ومحبوه بعد وفاته مركزاً ثقافياً باسمه، وجمعية خيرية تسعى لتحقيق الأهداف التي طالما نذر نفسه لإنجازها، وهي الجمعية الخيرية الصالحية ومركز

ابن صالح الثقافي بعنيزة.

وفي حدود عام ١٣٤٩هـ (١٩٣٠م) امتطى الشيخ الزامل الرواحل (الجمال) في رحلة مهلكة اجتازت نفود الدهناء إلى الأحساء، ومنها عبر شاحنة يركبها لأول مرة في حياته إلى (العقير) على ساحل الخليج، لتنقله سفينة شراعية - ولأول مرة في حياته أيضاً - إلى البحرين.

أما عن سبب اختيار البحرين وجهة لهجرته الأولى فلأن اثنين من وجهاء أسرته وهما عبدالله الحمد الزامل، وحمد السليمان الروق (الزامل)، كانا يقيمان شراكة تجارية معروفة، وقد شجعاه على الرحيل من عنيزة ليجرب حظه في التجارة بعد أن تبين أن حبل الود بينه وبين مدرسته يكاد يكون مقطوعاً.

مما يجدر ذكره أن عبدالله الحمد الزامل، هو والد الإخوة الاثني عشر: محمد ود. عبدالرحمن (عضو مجلس الشورى) وحمد وعبدالعزيز (وزير الصناعة السابق) وزامل وأحمد وسليمان وخالد وفهد وأديب ووليد وتوفيق، أصحاب مجموعة شركات الزامل التجارية والصناعية الشهيرة، وكان والدهم، الذي أسس نواة شركتهم، شخصية تجارية فذة لم يتطرق أحد بعد إلى توثيق سيرته، باستثناء ما ذكره ابنه عبدالعزيز في مقابلته المسلسلة في صحيفة عكاظ، ثم صدرت في كتاب سنة ١٤٢٥هـ (٢٠٠٤م).

في المنامة عملت شخصية هذا المقال فترة مع قريبيه (الزامل والروق)، ثم رغب في الاستقلال والاعتماد على النفس، فالتحق بإحدى أبرز دور التجارة البحرينية (شركة يوسف كانو) التي منحته مزيداً من الثقة واستأمنته على مستودعاتها مدة تقارب أربعة عشر عاماً، وهي مدة مكنته من معرفة دهاليزالتجارة والصلات مع الهند، والتبادل مع بلدان الخليج الأخرى، وبخاصة دبي والشارقة اللتان قصدهما في سنة ١٣٥١هـ (١٩٣٢م) في أول رحلة جوية له، رفقة رئيسه (معزّبه: يوسف كانو) ظل يتذكرها طيلة حياته.

كما يتذكر الشيخ الزامل ظروف نشوب الحرب العالمية الثانية، وآثارها العسكرية والاقتصادية على الخليج، منطقة النفوذ البريطاني (والعثماني سابقاً)، حيث كان من تعاملات (كانو) ما له علاقة بالتجهيزات والتموين العسكري.

ولأن الشيخ الزامل من مواليد سنة ١٣٣٢هـ (١٩١٣م)، فإنه يعي كثيراً مما مر على نجد من حوادث، كان من أبرزها (وقعة السبلة ١٣٤٧هـ ـ ١٩٢٩م) التي وقعت وعمره (١٥) عاماً، وكانت تعد مفصلاً حاسماً في استقرار هذا الوطن ووحدته.

أما الزاوية **الثالثة:** فهي أن الشيخ الزامل، يشاركه رفيق دربه التجاري والاجتماعي: صالح العبد الرحمن العبدلي، قد اختارا الانتقال

إلى الكويت والاستقرار فيها، حيث كوّنا بيتاً تجارياً مشهوراً دام نصف قرن، يعد نموذجاً متميزاً في الثقة، والوفاء للوطن الأصل، حيث لا يكاد يمر عام واحد إلا ويقوم أحدهما ـ بالتناوب ـ بزيارة عنيزة ويقيم فيها إقامة لا تكفيها الأيام القليلة، كما يُنظر إليهما في الكويت بمثابة سفيرين للمجتمع السعودي، وذلك لتمسكهما بعاداتهما وتقاليدهما، وجمع السعوديين الزائرين في ضيافتهما وديوانيتهما، فإذا ما ارتحلا صيفاً أو في الأعياد إلى الوطن، فإنهما يجلبان معهما شيئاً من مظاهر المعيشة في الكويت، حتى عُدّا محسوبين على المجتمعين معاً بدرجة متساوية، والوفاء لوطنهما لا يكون بالزيارة أو قضاء الاجازة، وإنما بالمعايشة الحقة لكل أحوال المملكة، والتفاعل مع حلوها ومرها ومناسباتها الوطنية والاجتماعية، والإسهام البليغ بكل ما يلزم القيام به من واجبات.

ومن صور وفائهما، استثماراتهما الواسعة، وبخاصة في حقل الزراعة، حيث أسسا مزارع تعد من أفضل بساتين عنيزة وأجودها في الإنتاج (الغزيلية والمنصورية ودمشية).

وبعد: إنها الصورة ذات الأبعاد الثلاثة لأحد أبرز رموز الاقتصاد السعودي ـ الكويتي، الذي صاغته بيئة خرّجت العشرات من أمثاله، ممن ظلوا أوفياء لأوطانهم، نزيهين في تعاملاتهم، ومضرب مثل في نقاء

صلاتهم وشركاتهم، والبذل والعطاء داخل مجتمعاتهم، والإخلاص والولاء لبلدانهم، والحفاظ على قيمهم، إنه المهاجر الذي لم يرحل، فهو مسافر زاده الوفاء، أجزل الله له الأجر والثواب[١].

بقي أن يشار إلى أن للشيخ الزامل أخوين هما محمد وعبدالله، المعروفان بثقافتهما الشرعية الواسعة، وأنه قد خلّف من الأبناء: منصور وعبدالعزيز ومساعد وزامل، ومن البنات: مضاوي ولولوة وفوزية ونورة ومنيرة وفريدة ومنى وسعاد.

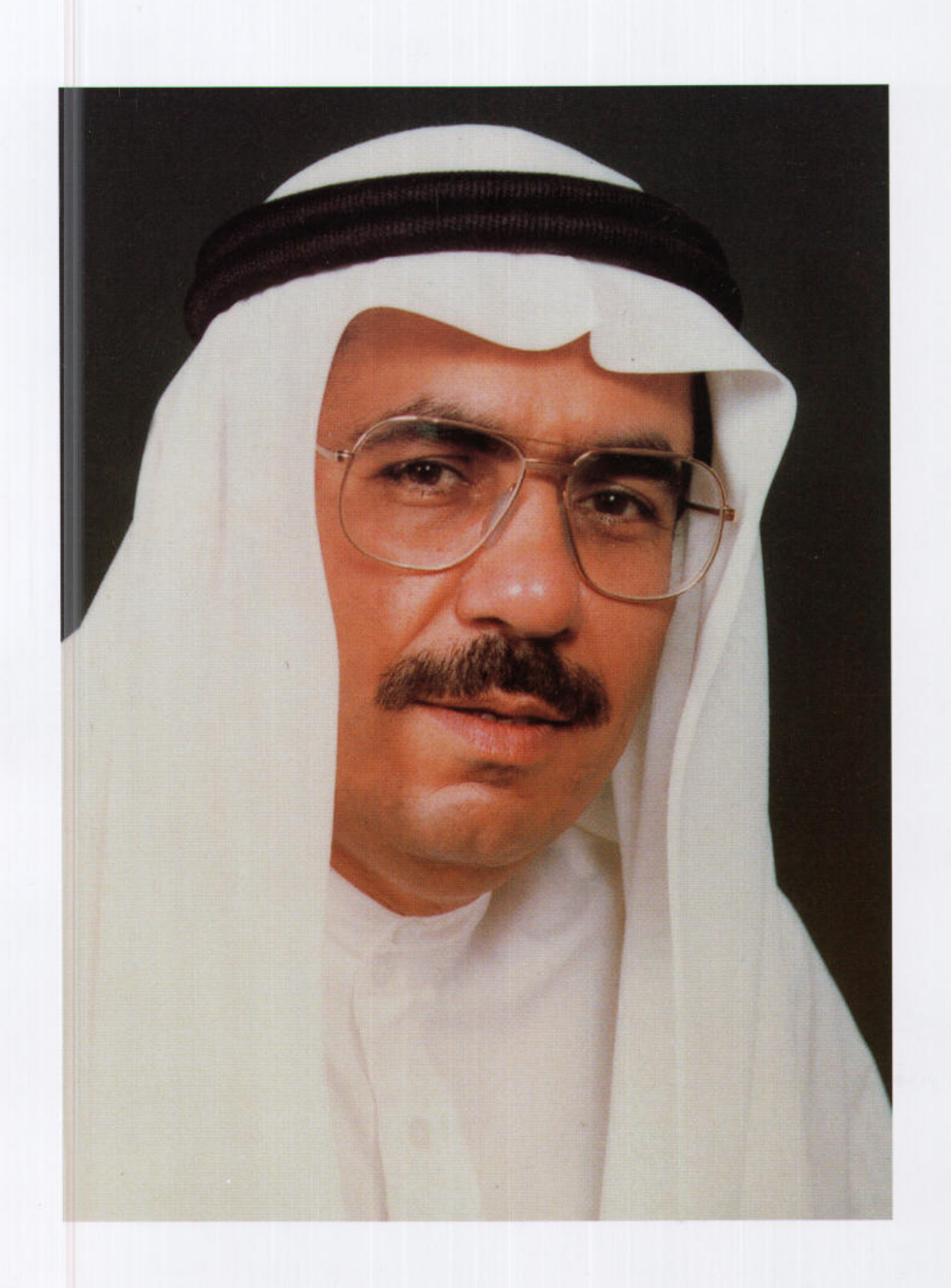
---

(١) توفي في الرياض فجر يوم ١٤٢٥/٩/٢٠هـ الموافق (٢٠٠٤/١١/٣م)، وكتب عنه المؤلف مقالاً رثائياً نشرته جريدة الاقتصادية بالعدد (٤٠٤٤) يوم السبت ١٤٢٥/٩/٢٣هـ الموافق (٢٠٠٤/١١/٦م).

(٢٨)

د. منصور بن إبراهيم التركي

عكاظ: الجمعة ٢ ربيع الثاني ١٤٢٥هـ ، الموافق (٢١ مايو ٢٠٠٤م)، العدد (١٣٧٨٢).



«**الإدارة بالإرادة**»... تعبير للكاتب الموهوب إبراهيم بن عبدالرحمن التركي، عنواناً لكتابه عن سيرة أمين مدينة الرياض الأسبق عبدالله النعيم، وأود أن أضيف «النزاهة» ليكون العنوان أكمل في حق الاثنين د. التركي والنعيم، وأمثالهما ممن ودع الوظيفة بسجل نزيه ويد نظيفة وذكر حسن مشهود، جازماً - بإخلاص - بأنه لو كان في الدولة نماذج كهؤلاء على رأس الهرم الإداري لكل مصلحة، لما كان المجتمع بحاجة للحديث عن استراتيجية لمكافحة الفساد الإداري.

لقد مر على المجتمع، وبخاصة بعد الطفرة، فترات كادت تنقلب فيها المعايير، وتتبدل فيها المفاهيم، وتضيع الأمانة في مهب رياح المنفعة، ويصبح الشاذ هو القاعدة، ويتساوى أولئك بهؤلاء، حتى عُدّت نماذج مثل: د. أحمد علي وصالح الحصيّن ومحمود طيبة و د. رضا عبيد و د. سليمان السليم و د. ناصر السلوم عملات نادرة، يجدّد لها الاحترام، ويكرر بها ضرب الأمثال، تلتقي فيها مثاليات الوظيفة العامة وتزدان بالإنجازات، وتتحلى بأبرز صفتي الإدارة الناجحة: الإرادة والنزاهة.

ترك د. منصور التركي آخر مناصبه (مدير جامعة الملك سعود) منذ خمسة عشر عاماً، لكنه ما يزال حياً في ذاكرة الجامعة والوطن، بحيوية إدارته، ونزاهة سيرته، وبالإنجازات التي حققتها الجامعة في عهده،

لا ينقص من ذلك عزوفه عن الأضواء والظهور في المحافل العامة.

يوجد - في تقديري - مدرستان إداريتان: إحداهما تبدأ المشروعات.. بدراسات حذرة، وبأسلوب الخطوة خطوة، وهناك - في المقابل - مدرسة إرادة (البلدوزر) تجرف طريقها في التنفيذ، لا تعير انتباهاً للمعوقات والروتين، لكنها تعالج آثار ذلك في خطوة لاحقة، أي أنها تطبّق مبدأ: إبدأ ثم أصلح، وهي - في الظن - المدرسة التي كان ينتمي إليها د. التركي في إدارة الجامعة، التي ظل فيها عقداً من الزمن، ساعده في ذلك وفرة في كوادرها، قبل أن يصيبها التسرّب وشلل التقاعد المبكر، والتحجيم.

أسرة التركي من عنيزة، أقام فرع منها في المدينة المنورة، ومنه أبوه، وعمّه فضيلة الشيخ محمد بن علي التركي، الذي تولى القضاء في مطلع العهد السعودي حتى عام ١٣٤٨هـ (١٩٢٨م)، ثم التدريس في الحرم النبوي حتى وفاته عام ١٣٨٠هـ (١٩٦٠م)، وقد ولد د. منصور في المدينة المنورة في مطلع الستينيات الهجرية (١٩٤٢م)، ودرس الاقتصاد في جامعة الملك سعود، ثم حصل على الدكتوراه من جامعة كلورادو (١٣٩١هـ - ١٩٧١م)، وتدرّج في عضوية هيئة التدريس في كلية التجارة، ثم صار وكيلاً لوزارة المالية والاقتصاد الوطني مدة خمس سنوات حتى عام ١٣٩٩هـ (١٩٧٩م) حيث عاد إلى الجامعة مديراً لها.

حاز على أوسمة عدة، وعلى مجموعة من شهادات الدكتوراه الفخرية، وكانت له إسهامات مع صندوق النقد الدولي وصندوق التعاون والتنمية في إفريقيا، كما شارك في عضوية مجالس إدارات شركات سعودية أو رأس بعضها، ومنها: السعودية المصرية للتعمير، الفنادق، سابك، النقل البحري، وصناديق مثل: تمويل المقاولين، بنك التنمية في إفريقيا، الصندوق السعودي للتنمية.

له من الأبناء: ريّان ومعن ومحمد، ومن البنات: رنا ودانا ولمى، لكن أبا ريّان مقلّ في التأليف حيث لا يوجد له - حسب علمي - سوى كتاب منهجي في الاقتصاد وآخر أشرف على ترجمته.

د. منصور بن إبراهيم التركي، خبرة اقتصادية وإدارية وتعليمية رفيعة، له صفحة ناصعة من الإنجازات، يسعد أكثر ما يسعد في حياته الهادئة، بساعات يقضيها عدة مرات شهرياً في مسجد المصطفى عليه الصلاة والسلام، ثم بلحظات يستقبل فيها زواره في دارته بالرياض بعد مغرب كل يوم.



(٢٩)

هُدَى عَبْدِ المُحْسِنِ الرَّشِيد

الشرق الأوسط: الثلاثاء ٢٧ ربيع الآخر ١٤٢٥هـ، الموافق (١٥ يونيو ٢٠٠٤م)، العدد (٩٣٣١).



أخذت من الموقع الإلكتروني لجريدة الرياض ، العدد (١٣٨٩٨)

تعيش بلادها، المملكة العربية السعودية، أجواء الحوار الوطني الثالث حول المرأة، فكان من المناسب أن نعرض لنماذج لسيدات سعوديات، قدمن خدمات جميلة لوطنهن، بعيداً عن التظاهر والأضواء.

يركز هذا المقال على صوت نسائي عربي، يصافح أسماع المستمعين العرب من إذاعة لندن صباحاً ومساءً، منذ ثلاثة عقود، وكانت أول مذيعة سعودية، ظهرت على شاشة تلفزيون الرياض لتقديم نشرة الأخبار بالعربية، صيف عام ١٩٧٤م، لكن الحديث عنها لا يكتمل دون التذكير بوالدها الشيخ عبدالمحسن الصالح (الرشيد)، الذي اشتهر بتوليه بلدية الرياض عام ١٣٧٠هـ - ١٩٥٠م، خلفاً لرئيسها أحمد خليفة النبهاني، وسلفاً لرئيسها محمد حسن أخضر، وذلك إبان عهد الملك عبدالعزيز، ثم التحق بوزارة المواصلات مكلفاً ولفترة طويلة، بملف إعادة تشغيل الخط الحديدي الحجازي (الذي كان يربط اسطنبول في تركيا بالمدينة المنورة عبر سوريا والأردن، أكمله الأتراك في حدود عام ١٩٠٨م، ثم خرّبه أتباع الثورة العربية بقيادة لورنس عام ١٩١٦م)، وقد استقر الشيخ عبدالمحسن في سوريا فترة طويلة، وتزوج منها، ورزق بأولاده (فهد ونايف)، وكان خلال عمله في وزارة المواصلات وبعده، قد توثّقت صلته بالأديب السعودي الراحل محمد عمر توفيق، (الذي

ظل وزيراً للمواصلات منذ عام ١٣٨٢هـ ـ ١٩٦٢م، ثم أضيفت إليه أعباء حقيبة وزير الحج والأوقاف مدة ثماني سنوات إلى جانب عمله في وزارة المواصلات، حتى تقاعد عام ١٩٨٦م، وقد توفي في الرياض سنة ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م).

ولد الشيخ عبدالمحسن الصالح ـ كما كان يعرف بهذا الاسم ـ في عنيزة في حدود عام ١٩٢٠م، من أم عراقية، وتوفي في ديسمبر ١٩٨٩م، مخلفاً ـ من ست أمهات ـ سبعة أبناء هم: صالح وفيصل وسليمان ومحمد وعادل وفهد ونايف، وأربع بنات هنّ: هدى وليلى وهيام وروعة، وكان أخوه العميد رشيد الصالح الرشيد قد تولى شرطة أبها بمنطقة عسير عام (١٣٧٧هـ ـ ١٩٥٧م)، وهما أخوال اللواء المتقاعد (رجل الأعمال المعروف) إبراهيم المالك وإخوانه، أما أسرتهما (الرشيد) فلعلها اكتسبت الاسم من علاقتها بعبدالله بن رشيد، الذي تولى ـ لفترتين ـ إمارة عنيزة بالقصيم إبان الدولة السعودية الأولى، وهو بالمناسبة ـ أي عبدالله الرشيد ـ من قبيلة سبيع، أي أنه ليس من أسرة آل رشيد الشمرية المعروفة في حائل.

ولدت هدى عبدالمحسن الرشيد في القاهرة من أم سعودية من آل غالب (أشراف الطائف)، وحصلت على الثانوية من بيروت، وعلى البكالوريوس من جامعة بكنجهام (١٩٩٢م)، ثم على الماجستير من

لندن عام (١٩٩٣م)؛ وعلى شهادة ماجستير أخرى في اللغويات (١٩٩٥م) من مدرسة الدراسات الشرقية والإفريقية التابعة لجامعة لندن، وهي تحضر ـ وقت كتابة هذا المقال ـ للدكتوراه في مجال الإعلام.

بدأت حياتها العملية في مطلع السبعينيات الميلادية إعلامية متعاونة مع إذاعة جدة، كما شاركت في تحرير جريدة عكاظ بين عامي ١٩٧١ و ١٩٧٤م، ثم ارتحلت إلى بريطانيا لتعمل منذ ذلك الحين في القسم العربي من هيئة الإذاعة البريطانية (بي. بي. سي)، ولتواصل تحصيلها العلمي، وقد أسهمت بنشاطات إذاعية وصحافية أخرى، وكان لوجودها مع زملائها الإعلاميين العرب دور هادئ جيد لتصحيح بعض المفاهيم والمعلومات الخاطئة عن القضايا العربية، جرّبت حظها مع التجارة ولم توفق، وقد ألّفت عدة روايات منها: غداً يكون الخميس (١٩٧٥م)، والعبث (١٩٨٠م)، والطلاق (١٩٩٣م)، تولت دار روز اليوسف نشرها جميعاً.

وهي إعلامية عربية رائدة، شقت طريقها بعصامية وعزم وتصميم، وتكبدت المشاق لإكمال دراساتها العليا، وصمدت في ظروف الغربة، لتثبت كفاية الفتاة السعودية في منبر إعلامي محترم، محافظة على رصانتها ووقارها وسمعتها، بعيداً عن ابتذال الفضائيات، ومتمسكة بعزّة نفس متناهية، دون مظاهر أو أضواء أو استعراض.

تقاعدت في عام ١٤٢٧هـ (٢٠٠٦م) عن العمل الرسمي في هيئة الإذاعة البريطانية (.B.B.C)، فكتبت عنها جريدة الرياض في صفحتها الأخيرة من العدد (١٣٨٩٨) بتاريخ ١٤٢٧/٦/١٧هـ (٢٠٠٦/٧/١٣م) خبراً عنوانه: أصبحت إحدى أهم العلامات بالإذاعة اللندنية: المذيعة هدى الرشيد تترك العمل الرسمي بعد (٣٢) عاماً من النجاح في الـ (.B.B.C)، وقد تضمن الخبر تفاصيل عن مشوارها الإعلامي، علماً بأنها ظلت متعاونة مع الإذاعة في المجال نفسه.

(٣٠)

أحمد بن ثنيان آل سعود

الشرق الأوسط: الخميس ٩ شعبان ١٤٢٥هـ، الموافق (٢٣ سبتمبر ٢٠٠٤م)، العدد (٩٤٣١).



من كتاب: المصوَّر البدوي، لإبراهيم الخالدي، ط ١ ، الكويت ، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م

أسرة آل ثنيان، التي تنتسب إليها شخصية هذا الموضوع، هي فرع من آل سعود، تلتقي معهم في جدهم الأول: سعود بن محمد بن مقرن أبي الأسرة المالكة، ووالد الإمام محمد بن سعود مؤسس الدولة عام ١٧٤٤م، وجد كل من الأئمة والأمراء والملوك التسعة عشر، الذين توالى حكمهم منذ بداية الدولة وحتى اليوم، وحكم بعضهم أكثر من مرة.

كان ممن اشتهر من هذا الفرع الأمير عبدالله بن إبراهيم بن ثنيان ابن سعود بن محمد الحاكم التاسع في تسلسل حكام آل سعود، إذ حكم نجداً مدة عامين (١٨٤١/١٨٤٢م)، وذلك إبّان الدولة السعودية الثانية، ثم اشتهر منه حفيده: محمد بن عبدالله بن الأمير عبدالله بن ثنيان، والد الأميرة عفت (حرم الملك فيصل ووالدة أنجاله: محمد وسعود وعبدالرحمن وبندر وتركي الفيصل، وبناته: سارة ولطيفة ولولوة وهيفاء الفيصل)، كما عرف منه حفيده الثاني: أحمد الثنيان، موضوع هذا المقال، الذي يظن كثير من المؤرخين أنه والد الأميرة عفت، والحال أنه عمها المباشر، كما اشتهر منه حديثاً حفيدان: عبدالعزيز بن سليمان الثنيان وكيل وزارة الخارجية الأسبق الذي أصبح سفيراً في أسبانيا (وتوفي عام ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م)، وسعود بن عبدالله الثنيان، رئيس الهيئة

الملكية للجبيل وينبع حالياً.

وعودة إلى شخصية هذا المقال، الذي لا تتوافر معلومات وافية عن سنة ميلاده وسيرته، فإنه أحمد بن عبدالله (بن عبدالله) بن إبراهيم ابن ثنيان بن سعود، كانت أسرته هاجرت إلى تركيا في حدود عام ١٨٤٣م، فولد ونشأ في أسطنبول، وتعلم هناك، وأتقن التركية والفرنسية والإنجليزية، إلى جانب العربية، ثم عاد إلى نجد بعد عشرة أعوام من استقرار الحكم للإمام (الملك) عبدالعزيز، الذي كان قد استعاد الرياض عام ١٣١٩هـ - ١٩٠٢م.

استعان الملك عبدالعزيز بابن عمه هذا مستشاراً سياسياً لديه في إدارة الشؤون الخارجية، مستفيداً من معارفه، فكلفه بمهمات سياسية، كان في مقدمتها الإشراف على انسحاب الترك من مقاطعة الأحساء (مايو ١٩١٣م)، وقد خلّف من الأولاد - حسب معلومات عبدالرحمن الرويشد - من الذكور: عبدالله وعبدالرحمن وعبدالعزيز، ومن الإناث: الجوهرة ومنيرة، وتوفي عام ١٣٤٢هـ - ١٩٢٣م.

تذكر المصادر أن الإمام (الملك) عبدالعزيز آل سعود بعثه عام ١٣٤١هـ - ١٩٢٢م لمقابلة الشريف حسين في مكة المكرمة، كما أوفده، ممثلاً عنه، فيما يمكن أن تعدّ أقدم مفاوضات مباشرة بين إمارة نجد وبريطانيا، جرت في جزيرة دارين السعودية على الخليج العربي،

بعد انسحاب تركيا، وأسفرت عن معاهدة القطيف (ديسمبر ١٩١٥م) التي اعترفت بريطانيا بموجبها بالإمام عبدالعزيز، وكان قد شارك فيها من الجانب البريطاني السير بيرسي كوكس، المقيم السامي في العراق، مصطحباً معه فيلبي (في زيارته الأولى للجزيرة العربية).

وبعد أربع سنوات كلفه الملك عبدالعزيز بمرافقة ابنه الأمير (الملك) فيصل في أول رحلة سياسية تاريخية قام بها إلى أوروبا وعمره لم يتجاوز الرابعة عشرة، (١٩١٩م)، لتقديم التهنئة نيابة عن والده، إلى ملك بريطانيا (جورج الخامس)، ولحضور احتفالات الانتصار في الحرب العالمية الأولى، ولبحث بعض الأمور السياسية المتعلقة بالحدود والعلاقات بين حكام الجزيرة العربية.

هدف الملك عبدالعزيز من وراء اختيار ابنه فيصل للقيام بهذه المهمة، وهو مايزال صغيراً إلى تدريبه على أمور السياسة، قبل عشر سنوات من تكليفه بإدارة الدبلوماسية السعودية وتعيينه وزيراً للخارجية، وقد شملت رحلته الأولى تلك زيارة فرنسا وبلجيكا، واستغرقت حوالي ستة أشهر، بدأها الوفد برحلة إلى البحرين ومن ثَمَّ إلى الهند، ليستقل باخرة متجهة إلى ميناء بلايموث في بريطانيا.

وفي عام ١٩٢٢م، شارك الأمير ابن ثنيان، موفداً من السلطان عبدالعزيز، في مؤتمر المحمّرة بإيران، الذي عقد في مايو من ذلك العام بين

سلطنة نجد والعراق (تحت الاحتلال البريطاني) للنظر في قضايا الحدود والعشائر بين البلدين، لكن اعتراض السلطان عبدالعزيز على بعض بنود الاتفاقية أدى إلى عقد لقاء آخر - سعودي عراقي بريطاني - في العقير في ديسمبر من العام نفسه، في مفاوضات مباشرة بين السلطان عبدالعزيز وبيرسي كوكس بحضور بعض الشخصيات العراقية، أسفرت عن اتفاقية العقير (ديسمبر ١٩٢٢م).

كان أحمد الثنيان قد قام بمهمات سياسية أخرى في الكويت والعراق، لكنه اعتزل العمل السياسي بعد مؤتمر المحمّرة، وأقام في الأحساء حتى وفاته بعد فترة وجيزة (١٣٤٢هـ - ١٩٢٣م كما سلف)، حيث حل مكانه الدكتور عبدالله الدملوجي، الطبيب العراقي الذي أصبح مستشاراً سياسياً في البلاط السلطاني، وقام بنشاط كبير إثر دخول الحجاز في الحكم السعودي (١٣٤٤هـ - ١٩٢٥م)، وفي تأسيس مديرية الشؤون الخارجية (١٣٤٥هـ - ١٩٢٦م)، وفي مرافقة الأمير فيصل بن عبدالعزيز في رحلته الثانية إلى أوروبا (١٩٢٦م)، قبل أن يعود الدملوجي إلى العراق ويصبح وزيراً لخارجيته، وهو أحد موضوعات هذا الكتاب.

وبالرغم من ندرة ما كتب عن أحمد الثنيان أقدم المستشارين السياسيين عند الملك عبدالعزيز، فإن أهميته تكمن في كونه من أوائل

أعضاء الأسرة الحاكمة، الذين حصلوا على التعليم الحديث، وعلى إجادة لغات أجنبية سهّلت له المهمات السياسية التي كُلف بها، وقد كتب - عنه بإيجاز - عدد من المؤرخين، من أمثال خير الدين الزركلي وأمين الريحاني وجيرالد دوغوري ود. عبدالله العثيمين وعبدالرحمن الرويشد، كما أورد الباحث العراقي المعروف نجدة فتحي صفوة نبذة مختصرة عن سيرته في المجلد الرابع من سلسلة: الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية، (دار الساقي ١٩٩٩م لندن) مع الإشارات الكثيرة التي وردت بشأنه في تلك الوثائق.

كما تضمنت موسوعة التاريخ الدبلوماسي للملك عبدالعزيز، الذي أصدرته مكتبة الملك عبدالعزيز العامة (١٤١٩هـ - ١٩٩٩م) نبذة موجزة عنه.

كانت استعانة الملك عبدالعزيز - كما أصبح لقبه بعد عام ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٥م - بأحمد الثنيان آل سعود، بداية لدخول عدد كبير من المستشارين السعوديين والعرب والأجانب في الديوان الملكي السعودي، للإسهام في تسيير مختلف الأعمال الإعلامية والسياسية والإدارية عند تأسيس المملكة العربية السعودية.



(٣١)

إبراهيم بن محمد المعمّر

الشرق الأوسط: السبت ٦ ذو القعدة ١٤٢٥هـ، الموافق (١٨ ديسمبر ٢٠٠٤م)، العدد (٩٥١٧).



ورد ذكر إبراهيم المعمر (١٨٧٨ ـ ١٩٥٨م) كثيراً في وثائق عصره، لكن ترجمة وافية عن سيرته الشخصية لم تكتب بعد، فضلاً عن أن جوانب من محطات حياته ما تزال بحاجة إلى توضيح، والمرجو أن يتمكن الباحثون من تحقيق رحلته الطويلة في عالم التجارة والدبلوماسية والإدارة مدة تزيد على ستين عاماً.

لقد مضى على وفاته ما يقارب خمسين عاماً، لا يرد اسمه خلالها إلا ويُقرن بالاحترام، وهو في الواقع شخصية لافتة للأنظار، سواء فيما يتصل بثقافته العلمية في مقياس الفترة التي عاشها، أو فيما يتعلق بالمسؤوليات والمناصب الرفيعة التي تولاها.

المعروف، أن آل المعمر هي أسرة نجدية كريمة مشهورة، كانت لها منذ قرون، وما تزال، إمارة العيينة وسدوس المجاورتين للدرعية، العاصمة القديمة للدولة السعودية، ويحفظ التاريخ كثيراً من أخبار هذه الأسرة عند ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب في نجد قبل أكثر من قرنين ونصف.

وللعائلة تاريخ عريق، وتتمتع بروابط أسرية تنظم نشاطاتها الاجتماعية، وقد ألف أحد باحثي الأسرة (عبدالمحسن بن محمد بن عبدالعزيز المعمر)

في عام ١٤١٥هـ (١٩٩٥م) كتاباً ضافياً عن تاريخ آل معمر وإمارتهم السابقة في العيينة، في القرن الثامن عشر.

من المؤكد أن إبراهيم المعمر يعدّ في فترته من الشخصيات السعودية القليلة التي نالت حظاً من التعليم الحديث خارج منطقة نجد التي لم تتوافر سبل التعليم فيها إلا في الأربعينيات من القرن الماضي، فكان في ذلك يشابه حظ شخصيات مثل الأمير أحمد الثنيان وابن سليمان و (المترجم) محمد المانع وجميعهم من رجالات الديوان الملكي، وكذلك بعض التجار المرموقين في تلك الأيام، ممن درس في الهند أو مصر أو بلدان الخليج.

وبما أن حيز هذا المقال لا يسمح بالتوسع في سيرته، خاصة أن معلومات كثيرة ما تزال خافية، فسيقتصر الحديث على المحطات الأبرز فيها، لعلها تعطي إلمامة عنه توضح الغرض من إفراده بهذا المقال، وتحرك الباحثين لاستكشاف المزيد عنه والتعمق في ترجمة حياته، وجمع المتناثر مما كتب عنه، فهو - من حيث العمر - قد عاصر الملك عبدالعزيز مؤسس الدولة السعودية الحديثة، وعايش عهده في بدايته وحتى نهايته، ورافق - بالتالي - بدايات الدولة وظروف تأسيسها وقيام مؤسساتها الدستورية والإدارية، ولو قدر لنا أن نعثر على مذكراته وأرشيفه الشخصي ومقالاته كلها، فإنها ستكون من المصادر الأولية الجيدة المساندة للتاريخ الوطني، والتي ما تزال تظهر تباعاً منذ الاحتفال بالمئوية.

١ ـ فبالنسبة لنشأته، ترجح الكتابات القليلة المتوافرة عنه أنه من مواليد الكويت حيث كان والده يقيم ويمارس التجارة فيها، وأنه ربما ولد في حدود عام ١٢٩٥هـ (١٨٧٨م)، وقد أمضى طفولته وتلقى علومه الأولية في الكويت، ثم سافر إلى بعض بلدان الخليج والهند، التي اكتسب فيها الإنجليزية والأردية والفارسية، إما بالدراسة أو بالممارسة، لكونه في تلك الفترة قد احترف مهنة والده (التجارة) التي لا توجد معلومات كافية عنها.

كما تردد على أوروبا وبعض الدول العربية والآسيوية والإفريقية، وهو أمر تميز به المعمر على كثير من أقرانه في زمنه، حيث أكدت بعض الكتابات كثرة أسفاره.

ثم استقر في مصر عدة سنوات، عاد بعدها إلى الرياض ١٣٤٦هـ (١٩٢٧م)، حيث ترك التجارة وواصل الخدمة العامة على النحو الذي سيجري التفصيل فيه، وقد توفي مستشفياً في بيروت عام ١٣٧٨هـ (١٩٥٨م) عن عمر يناهز الثمانين، مخلفاً من الأبناء: عبدالله وعبدالعزيز (اللذين احتلا في عهد الملك سعود بخاصة مناصب متقدمة في الديوان الملكي)، وعبدالرحمن وأحمد وسعود، ومن البنات: نورة وفاطمة وشعيّع ومنيرة.

وكان المعمر يُميّز عند عامة الناس في جيله بلقب (الجنيفي)، وهو لقب لا يعرف أساس إطلاقه، وإن كان من المحتمل أنه يُعزى لقرية

الجنيفي (المجاورة لبلدة العَمَار) من قرى سدير شمال الرياض أقام فيها والده، أو أن ينسب إلى سلاح سويسري كان يستورده من جنيف.

٢ ـ بينما يُذكر المعمر مقروناً دائماً بالمناصب السياسية والإدارية التي شغلها، فإنه قد يذكر بوصفه أديباً، فلقد كتب كثيراً من المقالات في الصحافة المصرية بالذات، وكان من أبرز ما يعرف من كتاباته في الصحف السعودية ثلاثة مقالات متسلسلة نشرها عام ١٣٤٥هـ (١٩٢٧م) في الجريدة الرسمية «أم القرى» واصفاً فيها الرحلة الأولى للملك عبدالعزيز من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة، ظهر آخرها في العدد (١١٠ في ١٧ رجب ١٣٤٥هـ الموافق ٢١ يناير ١٩٢٧م).

سيلحظ من يقرأ في رسائل المعمر وكتاباته أنه كان ذا أسلوب حديث، لا تظهر فيه الجُمل الكلاسيكية المألوفة في مراسلات زمنه، مما يدل على عصرية ثقافته وانفتاح فكره حتى لكأنها كتبت في هذه الأيام.

٣ ـ أما بالنسبة لالتحاقه بالخدمة الحكومية (بدءًا بديوان الملك عبدالعزيز) فلا توجد مراجع موثوقة يعوّل عليها في إثبات بداياتها، لكن فيلبي الذي التقى به في زيارته الأولى للجزيرة العربية عام ١٩١٧م، ذكر أن المعمر التحق بالعمل السياسي منذ سنوات وأن له إلماماً بالمعارف الغربية، مما يرجح أنه ـ أي المعمر ـ قد بدأ في حدود

عام ١٩١٢ أو ١٩١٣م.

مرت حياته العامة السياسية والإدارية بعدة مراحل يجدر التفصيل فيها، لأنها توضح الأدوار التي قام بها، وتكمل الصورة الأشمل عن شخصيته وسيرته.

• **المرحلة الأولى: الدور الاستشاري :** وقد استمر على ما يبدو من حدود عام ١٩١٣م كما سبق وحتى ١٩٢٣م، حيث يفهم من الوثائق المتوافرة، السعودية والعربية والأجنبية، أن المعمر قد انضم إلى فريق المستشارين السياسيين الأوائل حول الملك عبدالعزيز من جيل الأمير أحمد الثنيان والدكتور عبدالله الدملوجي، وألمحت بعض تلك الوثائق إلى أنه كان سكرتيراً بالديوان الملكي مكلفاً بملف الاستخبارات السياسية الخارجية.

• **المرحلة الثانية: الدور الإعلامي :** وهو امتداد لدوره الاستشاري، حيث قام بعدة رحلات إلى أوربا وبعض البلاد العربية مبعوثاً عن الملك عبدالعزيز، وهو دور يشبه إلى حد كبير ما كان يقوم به في تلك الفترة أمين الريحاني في أمريكا الشمالية، إلا أنه لا تتوافر معلومات كافية عن المهام التي كُلّف بها والجهات التي اتصل بها، لكنه استقر في نهاية المطاف في مصر، ليكمل الدور الإعلامي الذي قامت به شخصيات عربية من أمثال الشيخ محمد رشيد رضا وأمين سعيد في

توضيح أهداف الحكم السعودي الجديد في الحجاز (١٩٢٥م)، ودحض الافتراءات والشبهات التي كانت تنشرها الدعايات المناهضة له، وقد كتب المعمر خلال إقامته تلك في مصر عدداً من المقالات السياسية التي لو تم الاطلاع عليها وتحليل مضامينها، لأمكن أن تضفي الكثير من المعلومات عن الصورة الذهنية القاصرة حتى الآن حول شخصيته وسيرته، إذ يذكر من اطلع على بعض تلك المقالات، أنه كان يغرف من خبرة واسعة بأحوال الجزيرة العربية ومعرفة بمجتمعها وأهلها.

وقد اطلعت على عدد من الرسائل التي حررها المعمر من مصر إلى الملك عبدالعزيز عام ١٩٢٥م، وإلى والده الإمام عبدالرحمن في أعقاب دخول منطقة الحجاز (مكة المكرمة والمدينة المنورة وجدة والطائف وما جاورها) في الدولة السعودية الناشئة، فهو يهنئهما فيها باكتمال توحيد أجزاء البلاد، ويفهم منها أنه كان يزودهما بالجديد من الكتب والمطبوعات العربية.

كما يظهر من رسائله تلك، ومن مقالاته عامة، أنه كان يضيف لقب (النجدي) إلى اسمه إبراهيم بن محمد بن معمر، وأنه كان يقطن في الحلمية، ثم في الزيتون في ضواحي القاهرة، وقد دامت تلك المرحلة عامي ١٩٢٥ و ١٩٢٦م.

- **المرحلة الثالثة** : الدور السياسي : وهو الأهم في مسيرته، وقد بدأ

في عام ١٩٢٦م وحتى سبتمبر عام ١٩٣٣م، حيث اختاره الملك عبدالعزيز رئيساً للديوان الملكي خلفاً للشيخ الطيب الهزازي (جريدة «أم القرى»، العدد ٨٧ أغسطس ١٩٢٦م)، ويبدو أنه حينما رجع من مصر عاد إلى عمله سكرتيراً مقرباً من الملك عبدالعزيز قبل تعيينه رئيساً للديوان، وذلك بدليل ما نسبه إليه الصحافي الألماني (ولجانج فون) الذي زار المملكة عام ١٩٢٧م: لقد عرف المعمر خلال تلك الفترة بكثير من المواقف الإنسانية والاجتماعية النبيلة، ذلك أن منصباً بهذا المستوى يتيح لشاغله أن يُذكر بالخير في مجتمعه طالما بقي في خدمة الناس وتلبية احتياجاتهم، وكان ممن ذكره بذكر حسن في تلك الفترة العلامة حمد الجاسر الذي سجل معي في ذكرياته أن المعمر سهل له الالتحاق بالبعثة في مصر عام ١٩٣٩م.

ويذكر له في مطلع تلك الفترة مرافقة الأمير (الملك) فيصل في رحلته الثانية إلى أوروبا عام ١٩٢٦م، التي انضم إليها كل من د. عبدالله الدملوجي (مدير الخارجية السعودية قبل أن تصبح وزارة) وعبدالله الفضل (التاجر المعروف آنذاك) وعبدالله موصلي (قائد شرطة جدة).

كما يذكر له في هذه المرحلة ـ موفداً من قبل الملك عبدالعزيز ـ اجتماعه بوزير الخارجية العراقي (ناجي شوكت) في الكويت للتمهيد لعقد المؤتمر الذي التأم على الطراد البحري (لوبين) عام ١٩٣٠م بين الملك

عبدالعزيز والملك فيصل بن الحسين ملك العراق، بمشاركة المندوب السامي البريطاني، وأسفر عن توقيع اتفاقية صداقة وحسن جوار بين البلدين (أبريل ١٩٣١م).

كان المعمر خلال موقعه هذا قد حضر المعركة الحربية الشهيرة الفاصلة المسماة (السبلة) التي وقعت عام ١٣٤٧هـ (١٩٢٩م)، مع الإخوان في روضة قريبة من مدينة الزلفي السعودية (٢٥٠ كم شمال الرياض)، وذكر محمد المانع في كتابه: توحيد المملكة العربية السعودية (ترجمة د. عبدالله العثيمين) أن المعمر كان على رأس مفرزة الرشاشات والمدافع التي كان لها دور حاسم في المعركة، كما شارك في موقعة حربية جرت بعدها في الدبدبة (شمال شرق البلاد) تسمى (القرعة)، وتذكر بعض المراجع أن الملك عبدالعزيز قد اختار المعمر لمهمة إحضار فيصل الدويش شيخ مطير ومرافقته عندما أعاده الإنجليز ـ بعدما التجأ إلى العراق ـ على متن طائرة أنزلته في خباري وضحى حيث مخيم الملك عام ١٩٢٩م، وقد انتهت هذه المرحلة بتعيينه في سبتمبر ١٩٣٢م في ديوان ولي العهد الأمير (الملك سعود)، وذكر أحد المراجع أن خصومة وقعت بينه وبين أحد أركان الأسرة المالكة أدت إلى تغيير موقعه.

• **المرحلة الرابعة : العمل الدبلوماسي:** وتتمثل في تعيينه وزيراً مفوضاً للمملكة لدى العراق (يونيه ١٩٣٣م) بعد فترة وجيزة من افتتاح

المفوضية، وكان اصطفاؤه في هذا المنصب الدبلوماسي في واحدة من أهم العواصم العربية المؤثرة في مصالح السعوديين (بغداد) بيّن ثقة العاهل السعودي بكفاءته، والمعروف أن جاليات سعودية كبيرة كانت تقيم في العراق، وأن قبائل وعشائر عربية كانت تنتشر على المناطق الحدودية بين البلدين، فكان من مهامه الأساسية العناية بأمر الرعايا السعوديين، فضلاً عن إشرافه على تطبيق اتفاقيات الحدود الموقعة حديثاً بين الدولتين، وعلى تطبيق إجراءات الحج للراغبين فيه.

وقد أشرف المعمر خلال عمله في بغداد على تنظيم الزيارة الأولى التي قام بها ولي العهد الأمير (الملك) سعود عام ١٩٣٦م، ويذكر له - في تلك الفترة - تفكيره في عدم مناسبة تنكيس العلم السعودي على هامش الحداد العام على وفاة ملك العراق (فيصل الأول) عام ١٩٣٣م، وهو تقليد تبنته الحكومة السعودية بعد ذلك التاريخ احتراماً للفظ الشهادة التي يحملها العلم، وقد أدى احتجاج الإنجليز على ترويج المعمر لزعامة الملك عبدالعزيز في الجزيرة العربية وعلى صلاته القوية مع رؤساء العشائر، إلى نقله من بغداد بعد خمس سنوات من العمل الدبلوماسي.

• **المرحلة الخامسة : الدور الإداري** : يتمثل في تعيينه قائمقام مدينة جدة (١٩٣٧م)، وهو منصب معروف بقي معمولاً به في جدة منذ الحكم العثماني والهاشمي في الحجاز، ثم ألغي قبل عدة سنوات ليحل محله

منصب (محافظ) جدة، وكان من أبرز من شغله في نهاية العهد الهاشمي وبداية العهد السعودي عبدالله علي رضا، ثم خلفه بعد وفاته عبدالعزيز ابن معمر (أمير الطائف فيما بعد)، ثم خلفه محمد عيد الرواف، الذي نقل إلى بغداد، بمجرد تعيين إبراهيم المعمر، بمعنى أنهما تبادلا المواقع، وقد شغل المعمر هذا المنصب حتى وفاته (أي نحو عقدين من الزمن).

مرت فترة، خلال توليه هذا المنصب، كان المعمر كُلف، إلى جانب عمله هذا، يعمل وكيل وزارة الخارجية (بالنيابة عن فؤاد حمزة الذي تغيب لأسباب صحية في ٣ مارس ١٩٣٨م)، وقد ورد في الوثائق البريطانية والفرنسية عدة مخاطبات بتوقيعه، من بينها على سبيل المثال خطابه الموجه بتاريخ ١٧ أبريل ١٩٣٨م إلى السفير الفرنسي بجدة، يعبر فيه عن شكر وزير الخارجية السعودي (الأمير فيصل) بمناسبة وصول طائرة فرنسية مهداة إلى الملك عبدالعزيز.

وكان من بين المهام التي قام بها، ترتيب زيارة ملك أفغانستان ـ محمد ظاهر شاه المقيم حالياً في أفغانستان ـ إلى المملكة عام ١٩٤٩م، والتي تمت قبل وفاة الملك عبدالعزيز بنحو أربع سنوات، وقد خصص إبراهيم الحسون في كتابه «خواطر وذكريات» (٣ أجزاء ٢٠٠٣م) حيزاً كبيراً تطرق فيه إلى أسلوب المعمر وخصاله، نظراً لكون الحسّون عمل سكرتيراً خاصاً له في قائمقامية جدة.

وبعد.. فهذه ملامح من سيرة إبراهيم بن محمد بن عبدالله بن معمر ابن إبراهيم بن سيف المعمر، أحد رجالات الدولة السعودية، التي شهدت مراحل التأسيس الإداري والسياسي المبكرة، لكنها ملامح لا تكتمل دون العثور على مذكراته، وتتبع جميع ما كتب عنه، فهو من الرواد الذين يتجدد تاريخهم، ومن الأوائل المعروفين برجاحة العقل والمروءة والوطنية، وقد وردت عنه إلمامات محدودة في كتابات حمد الجاسر ومحمد المانع وعبدالله فيلبي وأمين سعيد ومحمود بشير المدني ووليام فيسي، كما ورد ذكره كثيراً في الوثائق الأجنبية المحفوظة عن فترته[١].

(١) ظهر بعد نشر هذا المقال، مقال مفصل آخر حول الشيخ المعمّر بقلم عبدالكريم إبراهيم السمك (مجلة الدرعية، عدد ربيع الأول ١٤٢٦هـ أبريل ٢٠٠٥م).



(٣٢)

د. عبدالله سعيد الدملوجي

الحياة: الخميس ٢ ذو الحجة ١٤٢٥هـ، الموافق (١٣ يناير ٢٠٠٥م)، العدد (١٥٢٦٣).



لا تتوافر عنه تفاصيل وافية، والأرجح أن سيرته الكاملة لم تكتب بعد، وهو بالنسبة للسعوديين، اسم له دلالة تاريخية وموضوعية، لكونه أقدم المستشارين السياسيين العرب، الذين اصطفاهم الملك عبدالعزيز، وهو - أي الملك - لا يزال في طور حملته لتوحيد الكيان وبنائه، وقد أسند إليه - لفترة وجيزة - أمر تسيير شؤون الحجاز فور خروج الشريف علي ابن الحسين من جدة (١٣٤٤هـ - ١٩٢٥م) وذلك قبل أيام من تعيين الأمير (الملك) فيصل نائباً للملك عبدالعزيز في الحجاز، ثم كلفه بإنشاء أول جهاز (مديرية) للشؤون الخارجية، حيث لم يكن مع الملك سوى عدد محدود من الكفايات القادرة على تنظيم صلاته الخارجية.

وعلى رغم الدور الكبير الذي قام به في السعودية، ثم في موطنه الأصلي (العراق)، إلا أن المتاح من المعلومات عنه لايزال نادراً ومتناثراً، وكان ممن كتب عنه - ولكن بإيجاز رغم قربه وصلته الإدارية وصداقته معه - الباحث المعروف، نجدة فتحي صفوة في لندن، ضمن كتابه المعَنون: خواطر وذكريات في التاريخ، الطبعة الأولى، بغداد ١٩٨٣م، وكتابه: الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية، الجزء السادس، دار الساقي، لندن، ٢٠٠٤م، مع نشر صورة له، كما أورَدَت نبذة عنه موسوعة التاريخ الدبلوماسي للملك عبدالعزيز، إصدار مكتبة الملك عبدالعزيز العامة في

الرياض، عام ١٩٩٩م، ويتلخص ما عثر عنه، في الفقرات الموجزة الآتية التي تساعد في تكوين فكرة عامة عنه:

١ ـ ذكر عنه فيلبي في كتابه: أيام عربية، الصادر بالإنكليزية عام ١٩٤٥م والمنشور بالعربية عن مكتبة العبيكان في الرياض ٢٠٠٢م:

«شخص متميز للغاية، فهو من أهالي الموصل، وطبيب يحمل درجة من القسطنطينية، ولديه معرفة ممتازة باللغتين الفرنسية والتركية؛ إضافة إلى اللغة العربية، والآن، وبحكم خبراته، فإنه يعمل مع ابن سعود سكرتيراً سياسياً، ولقد حضر إلى الجزيرة العربية عند بدء الحرب مع تركيا لكي ينضم إلى صهره الذي كان في تلك الأثناء رئيساً في مديرية الأحساء».

ثم كرر ذكره في الكتاب نفسه بما يفيد باستمرار صلتهما طيلة الفترة التي بقي فيها الدملوجي في المملكة العربية السعودية، ومنذ لقائهما الأول فيها عام ١٩١٥م، كما نشر له صورة في هذا الكتاب.

٢ ـ وقال عنه نجدة صفوة في كتابه الأول المشار إليه آنفاً: **«وفي بداية سنة ١٩٣٠م افتتحت الحكومة العراقية مؤسساتها الخاصة في بعض الأقطار المجاورة.. وعينت الدكتور عبدالله الدملوجي قنصلاً للعراق في القاهرة.. وقد أثار تعيينه مشكلة صغيرة، وهو عراقي من الموصل وصديق شخصي لنوري السعيد، درس الطب في اسطنبول قبل الحرب العالمية الأولى،**

ويبدو أنه كان يخدم في الجيش التركي في الأحساء حينما احتلها ابن سعود عام ١٩١٣م، فتعاون الدملوجي معه، وسرعان ما ارتقى منصباً كبيراً في بلاطه، وحضر إلى بغداد ممثلاً غير رسمي له في سنة ١٩٢١م، وفي سنة ١٩٢٨م مثَل الدملوجي بلاط نجد والحجاز (قبل تسمية المملكة العربية السعودية باسمها الحالي) في مؤتمر سكة حديد الحجاز الذي عقد في حيفا بفلسطين، وكان المؤتمر عقيماً، فلما انفض ذهب الدملوجي إلى العراق بدلاً من العودة إلى الحجاز، والآن ترشحه الحكومة العراقية أول قنصل لها في القاهرة».

ثم يواصل نجدة حديثه عن الدملوجي قائلاً، بعد أن أشار إلى أن ذلك التعيين ربما أزعج الملك عبدالعزيز: «مضت الحكومة العراقية في تعيينه، وما لبث أن تسلم عمله في القاهرة، وحينما زار نوري السعيد جدة في أبريل ١٩٣١م، صرح الملك عبدالعزيز أنه لم يعد يرغب في إثارة أي اعتراض على تعيين الدملوجي في أي منصب عراقي، وفي ١٢ شباط ١٩٣١م ألّف جميل المدفعي وزارته الثانية فأدخل عبداللّه الدملوجي فيها وزيراً للخارجية، وقد سافر بعد ذلك إلى الحجاز أكثر من مرة بصفته وزيراً لخارجية العراق بعد أن كان قد زار العراق بصفته ممثل مملكة نجد والحجاز».

وقد نقل لي نجدة فتحي صفوة رواية منقولة على لسان إبراهيم المعمّر؛ بأن سبب ترك الدملوجي المفاجئ لخدمة الملك عبدالعزيز أنه

استلم مبلغاً من المال من أحد وجهاء الحجاز كي يتلافى عقوبة من الملك، وأن الملك عرف بذلك مما أحرج الدملوجي.

٣ ـ لعل من أدق ما ظهر عنه حتى الآن ما كتبه نجدة فتحي صفوة أيضاً في كتابه الأحدث (الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية، المجلد السادس، دار الساقي، يوليه ٢٠٠٤م) حيث جاء فيه (ص ١٧): **«الدكتور عبدالله سعيد الدملوجي، ولد في الموصل، وتخرج في الكلية الطبية في اسطنبول، والتحق بالجيش واشترك في حرب البلقان، ثم عاد إلى اسطنبول وشارك في الجمعيات السرية العربية، فلما جرت محاكمة عزيز علي المصري فرّ مع صديقه نوري السعيد في سنة ١٩١٤م إلى مصر ثم البصرة، حيث مارس الطب مدة قصيرة، وبعد نشوب الحرب العالمية الأولى قصد الإمام عبدالعزيز آل سعود أمير نجد طبيباً خاصاً ثم مستشاراً، وعهد إليه إدارة الشؤون السياسية والخارجية، فحضر مؤتمر العقير (١٩٢٢م)، ثم انتدب لمفاوضة الحكومة العراقية في المشاكل الحدودية، ثم مثّل الرياض في مؤتمر الكويت الثاني (١٩٢٤م) ووقع على اتفاقية (بحرة) مع العراق (١٩٢٥م) نيابة عن حكومة نجد».**

وبعد أن يعدّد المهام الأخرى التي كلف بها في ـ الحجاز ونجد، يقول: **«عُيّن قنصلاً عاماً للعراق في مصر، ثم أصبح وزيراً لخارجية العراق (١٩٣٠م)، وانتخب نائباً عن لواء الموصل في المجلس النيابي، ثم عُيّن مديراً**

للصحة فكبيراً للأمناء في البلاط الملكي العراقي فوزيراً للخارجية، فرئيساً للتشريفات الملكية (١٩٣٧م) ثم مديراً عاماً للشؤون الاجتماعية والصحة فوزيراً للخارجية للمرة الثالثة (١٩٤٢م)، وعُيّن سفيراً للعراق في إيران (١٩٥١م) ثم صار وزيراً للمعارف (١٩٥٢م).. وقد أصيب في سنواته الأخيرة بالسرطان، وتوفي في بغداد ودفن في الموصل».

٤ ـ وقال عنه الأمير مساعد بن عبدالرحمن آل سعود، وزير المالية والاقتصاد الوطني السعودي الأسبق، في مقابلة تلفزيونية توثيقية مطولة عام ١٩٧٧م تضمنها كتابي عنه الصادر في عام ١٤٢٥هـ (٢٠٠٥م):

«لقد نسيت أن أذكر رجلاً مهماً لكن مدته قصيرة، وهو الدملوجي، وهذا عراقي جاء بعد فتح الأحساء، وكان له نشاط مع الملك عبدالعزيز؛ شارك في مفاوضات تسليم جدة من الهاشميين، لكنه لم ينسجم مع بعض زملائه، فغادر الحجاز إلى العراق بعد نحو سنتين من انضمام الحجاز، لكنه بقي على صلة مع الملك عبدالعزيز».

٥ ـ ومما ورد في موسوعة التاريخ الدبلوماسي للملك عبدالعزيز التي سبقت الإشارة إليها مما يؤكد ما سلف ذكره: **«عراقي الأصل، موصلي المولد، أرسلته لجنة المنتدى الأدبي عام ١٩١٤م ومقرها الإستانة إلى الملك عبدالعزيز لدعوته إلى الانتماء للحركة القومية الجديدة وشد أزرها تمهيداً لإنشاء الدولة العربية.. لكن ظروف الحرب العالمية الأولى حالت دون رجوعه**

إلى موطنه، فاستقر في نجد وصار من كبار حاشية الملك».

«ومن أبرز أعماله أنه عمل طبيباً، ثم اتخذه الملك عبدالعزيز مع أحمد ابن ثنيان مستشاراً للشؤون الخارجية، ولم يشترك في الأعمال الخارجية بصفة فعلية إلا بعد أن تنحى ابن ثنيان عنها، فاشترك في مفاوضات العقير عام ١٩٢٢م، وقام بتوقيع الوثائق الخاصة ببروتوكول العقير، ثم وقع الاتفاق الخاص بتعيين الحدود بين نجد والكويت سنة ١٩٢٢م، واشترك مع آخرين في مؤتمر الكويت ١٩٢٣ ـ ١٩٢٤م، وتولى أعمال مديرية الشؤون الخارجية سنة ١٩٢٦م، وقد رفعته معرفته باللغة الفرنسية إلى تحمل مسؤوليات سياسية تجاه زوار الملك من الأجانب، فعيّن ممثلاً خاصاً للملك في جدة، ثم أصبح نائباً لوزير الخارجية (الأمير فيصل أول وزير للخارجية)، ورافقه في رحلته الثانية إلى أوروبا عام ١٩٢٦م، واشترك في مفاوضات جدة التي جرت بين الإنكليز ومملكتي الحجاز ونجد (السعودية)».

وهكذا، فإن مجمل ما كتب عن الدملوجي لا يأتي على ذكر الكثير من سيرته حياته، المتصلة بشخصيته وتكوينه ودراسته الأولى، ونشأته، وعدد أفراد أسرته، لكن الأستاذ صفوة أفاد الباحث؛ بأن الدملوجي تزوج من سيدة عراقية الأصل كانت تقيم في الأحساء، وأن له ابناً واحداً (خالد) وله أربعة من الإخوة، وأن أصل العائلة عربي من اليمن، وأن اللقب نسبة إلى قلعة يمنية تُدعى «دملوة» خلافاً لما قد

يظن من أنه نسبة إلى حُلي «الدملج» أو إلى حلوى «الدملوج» العراقية المعروفة.

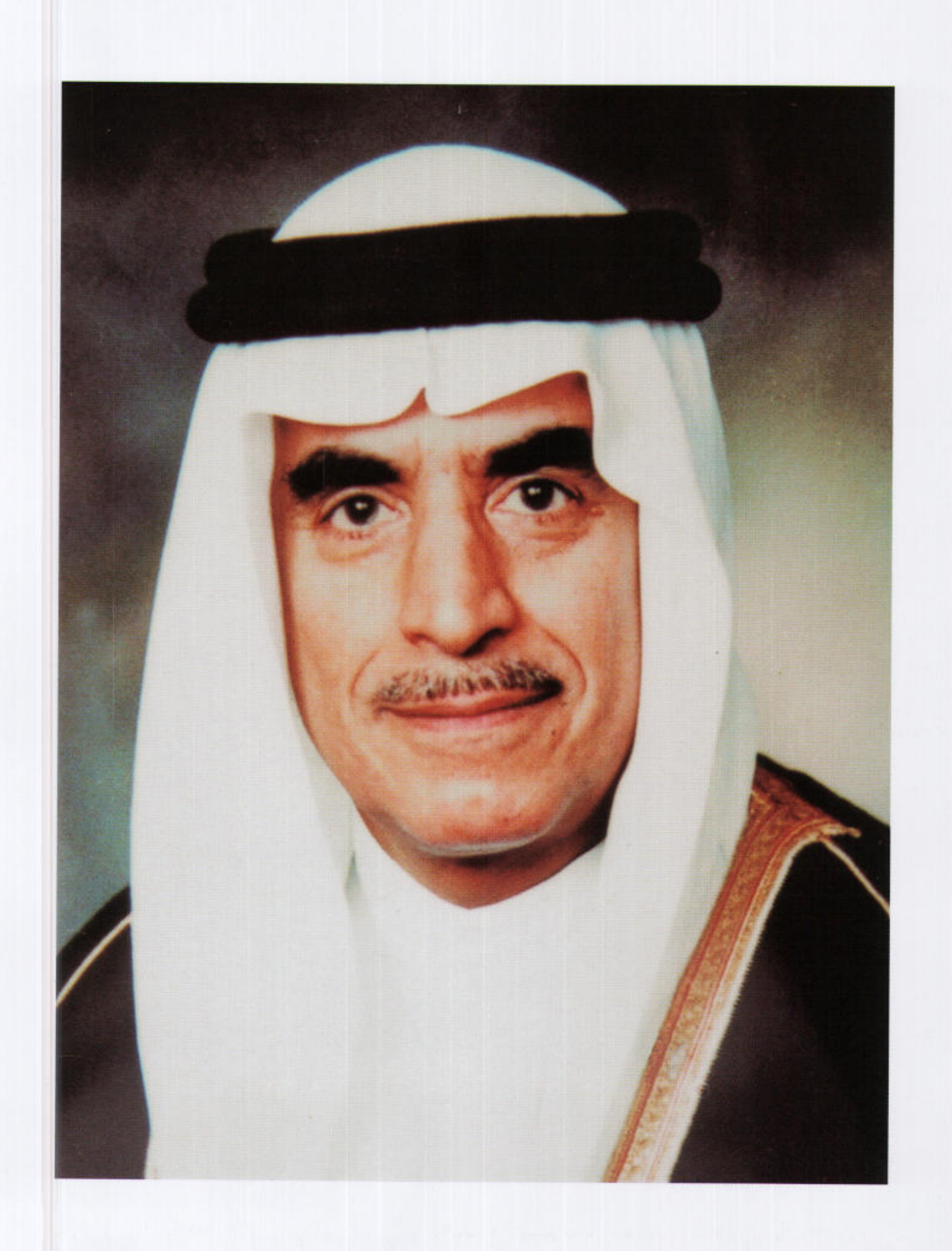
ومع تناقض الروايات حول بداية صلته بالملك عبدالعزيز، وغموض بعض جوانب سيرته، فإنني أعتقد أن الأستاذ نجدة صفوة هو خير من يستوفي تلك النواقص عنه في بحث مستقل، وذلك بحكم معرفته الوثيقة به.



(٣٣)

عبد العزيز بن عبد الله السالم

نشر بشكل مختصر في العدد (٩٩) من الجزيرة الثقافية، الملحقة بجريدة الجزيرة، الصادرة يوم الإثنين ١٨ صفر ١٤٢٦هـ (٢٨ مارس ٢٠٠٥م)، ثم طُوِّر المقال وزيد عليه لغرض هذا الكتاب.



سَمِعته أكثر من مرة معتقداً أن كاتب هذه السطور هو أول من كشف الاسم الحقيقي لصاحب اللقب المستعار: مسلم بن عبدالله المسلم، وذلك ضمن كتابي عن سيرة السفير الراحل، طيب الذكر، محمد الحمد الشبيلي (الصادر عام ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م).

ومع علمي الأكيد، بأن الاسم الحقيقي قد انكشف في أكثر من موقع قبيل صدور كتابي، مما شجعني على إماطة اللثام كاملاً عنه في مؤلفي، فإنني لم أعمل قبل هذه المرة على إزالة هذا الاعتقاد من ذهنه، علّي أحظى بجزء من شرفه، أمَا وقد مضى من الزمن ما مضى، وأدرك أن الذي ارتكب مسؤولية إفشاء اسمه هو ناشر معجم الكتّاب والمؤلفين السعوديين (الصادر عام ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م) وليس الفقير إلى ربه، فقد آن الأوان لإظهار الحقيقة هذه.

لقد ظل الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله السالم، زاده الله توفيقاً وسداداً، يكتب سنوات طويلة كتابات فكرية معمّقة، تتناول قضايا الأمة، وتستشرف مستقبلها، وتعالج قضاياها العمومية، يغرف من دروس التراث، ويستشهد بروائع التاريخ العربي المجيد، بأسلوب أدبي رفيع، وقلم رصين لم ينزلق يوماً إلى مهاترة، ولم يدنّس شرف الكلمة بالإسفاف أو المراء والنفاق، ولم يخلط بين الكرسي والحبر، أو بين شؤون عمله ومقتضيات

الاهتمامات الثقافية والفكرية، بل زهد بالضجيج الذي تعج به سوق الأضواء والبراويز.

يذكر المجتمع الثقافي لأبي عصام أنه عندما بدأ يفاجئ - بلقبه المستعار - قراء جريدة الرياض بتلك المقالات المعمّقة التي ظل يكتبها مدة (١٤) عاماً قبل أن ينكشف اسمه الحقيقي، فإنه قد لفت الأنظار إلى كاتب سعودي متمكّن، متقن العبارة، منظّم الأفكار، وجعل قرّاءه يتوقفون عند مقالاته، ويتوقون لصدورها المنتظم، ويتشوّقون لمعرفة هويّة صاحبها؛ مع أن اللقب لم يكن ينبئ بأنه غير حقيقي.

وأكاد أجزم من خلال اطلاعي على عينة ما يصدر من كتابات الشيخ عبدالعزيز، رسمياً كان أم ثقافياً، أنه كاتب يعتني بما كان يكتبه، يخدمه صياغةً وعبارةً ولغةً، وربما سعى - بلباقة - إلى تصويب ما وقع فيه من يكاتبه من هفوات لغوية أو طباعية أو نحوهما، وهو ما بدا جليّاً من مواقفه معي في عدة إصدارات، بدءًا بكتابي عن الشيخ السفير محمد الحمد الشبيلي؛ وانتهاءً بمشروع هذا الكتاب.

وأذكر من لطيف تصويباته على هذا الكتاب تنبيهي في أحد لقاءاتنا إلى أن قارات الدنيا ست وليست سبعاً كما ذكرت في أحد المقالات، ولم أجد - مازحاً - ما أبرر به خطئي إلا أن استشهدت برأي لبعض الجغرافيين يَعدّ «أنتاركتيكا» القطبية قارة سابعة.

لكننا نضع جانباً كل ما يتصل بالكتابة وشؤونها إلى ما هو أهم وأبلغ، وهو قضية شخصية الكاتب وخُلقه، فهو عندما يكتب أو يعلّق أو يناقش لا يُلقي بما يلقيه عن فوقيّة أو ترفّع، ولا يوحي بأن قوله يصدر عن مثقف قارئ متابع وصاحب رأي ناضج وفكر مستنير وثقافة عميقة الأساس.

إذا كان التواضع حلية الإنسان في تعامله وعلاقاته، فإنه عندما يزدان به الكاتب يكون تاجاً على رأسه، وأدعى لإنزاله منزلة رفيعة بين قرائه وعارفيه، وإكسابه احترامهم وإعجابهم.

إنها إحدى سمات كاتبنا، صاحب القلم الفيّاض، والكلمة الواعية، والحضور المتفاعل، والرؤية العصرية، عبدالعزيز بن عبدالله السالم، ألبسه الله ثوب العافية، ووفقه لأن يتوّج حضوره الثقافي بتدوين تجربته الثرية في ميدان الإدارة، ويجمع ما كتبه في سِفْر يسعد الأجيال بقراءته والإفادة من فكره وأسلوبه وتواضعه الثقافيِ والخُلُقيِ.

لقد قادتني محاولة التعرّف على شخصية هذا الإنسان، وتركيبة نَفْسه، وأبعاد مثالياته، إلى تلك المقابلة التي اقتنصت فيها مجلة المعرفة (ذي الحجة ١٤٢١هـ) حديثاً فريداً ممتعاً معه، نفذت من خلاله إلى أعماق شخصيته، وسلطت عبر محاوره الضوء على تفكيره وفلسفاته ومنهجه في الحياة.

ثم جاءت الجزيرة الثقافية (١٤٢٦/٢/١٨هـ ـ ٢٠٠٥/٣/٢٨م) بعدد خاص عنه، تضمن تعليقات من عدد من محبيه تناولوا فيه أسلوبه في العمل، ومنهجه في الحياة، كما تطرقوا فيه إلى كتاباته ومعارفه وفكره.

كشف الشيخ السالم، على سبيل المثال، في تلك المقابلة، أن غلبة العزلة والبُعد عن الأضواء على طبيعة حياته، وميله للقراءة حتى أصبحت جزءًا من تكوينه، قد أدّيا إلى فشله في بناء علاقات اجتماعية واسعة، وبالتالي إلى النفور من الدعوات الواسعة والمشاركة في الندوات، كما كرر التأكيد على أن أوجه الفشل في حياته قد فاقت حالات النجاح، وأن الحياة سارت به في الاتجاه المعاكس، وأن تربيته قد أورثته الحساسية في التعامل مع المال، وأن النزعة الانطوائية قد حوّلت مجرى حياته، مخالفاً بذلك ما يعتقده البعض من أن النجاح في الحياة هو الوصول إلى الوجاهة الاجتماعية، مضيفاً أن خوفه من المال جعله يبتعد عن طرقات جمعه، وأن ارتباطه بالمجتمع الثقافي يَفْضُل في نظره أن يكون محسوباً على المجتمع الوظيفي.

إن من الواضح، لمن يتتبع مسيرة حياة الشيخ عبدالعزيز السالم، ومن تعليقاته وكتاباته، ومن وقوفه ـ كما وصفه د. الخويطر ذات مرّة ـ حارساً أميناً للغة العربية، ومن تصويباته الدقيقة لكل ما يمر عليه أو يسمعه أو يشاهده، أن القراءة والمتابعة والرصد تشكل حيزاً كبيراً من

اعتكافه الثقافي في صومعة داره، وهو ما يكشف أحد أسرار ميله للانطواء، إذ إن من الصعب أن يتصور المرء كيف يمكن لشخص في مثل مواقعه الوظيفية، التوفيق بين مشاغل العمل ونهم القراءة وإشباع الرغبة في الثقافة، خاصة إذا ما عرفنا طبيعة الأعمال المضنية التي تولاها.

لقد عرف عن الأستاذ السالم، أنه كان الحاضر في المشهد الثقافي، الرصين في طرحه، المتمكن في موضوعه، الغزير في تدفق فقراته واستشهاداته، الجميل في أسلوبه، منذ أن أسهم في موضوعات مجلة اليمامة في بواكير إصداراتها في السبعينيات الهجرية - الخمسينيات الميلادية - مروراً بتلك الموضوعات التراثية والاجتماعية المتنوعة التي نشرها في جريدة الرياض، في صفحة (حروف وأفكار)، وبكتابه: أزمة القيم، الذي صدر ضمن سلسلة كتاب الرياض، مؤثراً أن يرمز لاسمه باسم مستعار، إمعاناً في البُعد عن الأضواء، وحرصاً على أن يُقرأ الموضوع لذاته لا لمنصب كاتبه، وانتهاءً بالمقالات التي مايزال يتحف بها القراء بين حين وآخر، بقلم متعقل، رشيق العبارة، يزخر بالوطنية والصدق والإخلاص.

ومع ذلك، فإنه لا ينبغي أن تُعطي تلك التصريحات والاعترافات، انطباعاً بأن الرجل «يجفل» من الناس أو ينفر من الاختلاط بهم، فهو وثيق الصداقات، يُخصص موعداً أسبوعياً من وقته للقاء مفتوح يستقبل

من خلاله الأصحاب والأقارب والزملاء وذوي الحاجات، كما يواظب على حضور ندوات ذات طبيعة حميمة، مثل خميسية الشيخ حمد الجاسر في منزله: دارة العرب، مع المشاركة الفاعلة في مداولاتها.

وهو يفتح باب مكتبه على الدوام دون حاجب أو سكرتير، بأسلوب بالغ الدماثة في الاستقبال والضيافة والتوديع، يُخجل زائره ببساطته وملاطفته وتواضعه.

ولد أبو عصام في بلدة الدرعية عام ١٣٥١هـ (١٩٣٢م) في أسرة عريقة معروفة، ودرس الابتدائية في دار التوحيد بالطائف، والثانوية في المعهد السعودي بمكة المكرمة، ثم بدأ عمله في وزارة المعارف مع استلام الأمير (الملك) فهد كرسي أول وزير فيها عام ١٣٧٣هـ (١٩٥٣م)، ثم ابتعث إلى جامعة القاهرة وحصل على الشهادة الجامعية في كلية الآداب (قسم اللغة العربية وآدابها).

وبعودته التحق بوزارة الداخلية، حيث كان الأمير فهد قد انتقل إليها فصار مديراً لمكتبه بتاريخ ١٤/١٠/١٣٨٣هـ (٢٨/٣/١٩٦٤م)، وقد لفّته تروس آلة الوظيفة، حتى لم يستطع تحقيق حلم له بمواصلة دراساته العليا في بريطانيا، مما جعله لا يعبأ بالاحتفاظ بشهادة لم تمكّنه الظروف من الحصول على ما يعلو عليها، ولم تحقق له طموحاته العلمية.

وفي عام ١٣٩١هـ (١٩٧١م) عُين أميناً عاماً لمركز الأمن الوطني، وانتهى به المطاف أميناً عاماً لمجلس الوزراء يوم ١٤٠٥/٨/٦هـ (٢٩/٤/١٩٨٥)، وهو منصب ظل فيه حتى مطلع شهر ربيع الأول ١٤٢٦هـ (١١ أبريل ٢٠٠٥م) عندما نُقل إلى منصبه الحالي: مستشاراً بالديوان الملكي، وهو له من الأولاد عصام ومازن وأحمد وأختهم مي.

ويترقب المجتمع الثقافي وفاء أبي عصام بوعده أن يجمع ما كتبه من مقالات منشورة في إصدارات سابقة، في كتاب من ثلاثة أجزاء بعنوان: «**إليك أيها الإنسان أتحدث**»، يكون هذه المرة باسمه الصريح.

لقد وصفه د. غازي القصيبي في مجلة الجزيرة الثقافية بأنه: **الأديب الخجول المتواضع، عاشق الظل، الذي يقرأ بهدوء، ويكتب بهدوء، ويتكلم بهدوء، ويهمس بآرائه، ويهرب من الأضواء.**



(٣٤)

عبد الله بن إبراهيم الجفالي

جريدة الشرق الأوسط: الخميس ١٩/٠٣/١٤٢٦هـ، الموافق (٢٨/٠٤/٢٠٠٥م)، العدد (٩٦٤٨).



إبراهيم (جالساً) وعلي وأحمد (يمين) أبناء عبدالله الجفالي

شجعت الحفاوة التي قوبلت بها الحلقات الأُول المنشورة من هذه السلسلة على الاستمرار في الكتابة عن شخصيات أخرى، كان لها تاريخ مؤثر، سياسي أو ثقافي أو اجتماعي، وكانت همزة وصل وتواصل بين قطرين أو أكثر من أقطار الجزيرة العربية، وبخاصة ممن لم يُكتب عنهم كثيراً من قبل، فهؤلاء وإن ابتعدوا عن الأضواء، لم يعد تاريخهم مُلكاً لأنفسهم، بل أصبحوا رموزاً لأوطانهم، ومن حق المجتمعات أن تعرف عنهم، وتطلّع على سيَرهم الحافلة بالإنجازات الصامتة إعلامياً، الناطقة مجتمعياً وإنسانياً، فالكتابة عنهم، لا تدخل في باب التمجيد لأشخاصهم بقدر ما هي تذكير بنماذجهم، وإبراز لدور المواطن المتفاني في خدمة وطنه والولاء له.

إن تاريخ عبدالله بن إبراهيم الجفالي وأبنائه إبراهيم وعلي وأحمد، هو جزء متمم لتاريخ الحياة الاقتصادية والإدارية والاجتماعية للحجاز ونجد والأحساء في المملكة العربية السعودية في القرن المنصرم، فلقد وُلد هذا العصامي في حدود عام ١٨٨٠م في عنيزة بمنطقة القصيم، ثم نزح إلى مكة المكرمة إبان الحكم العثماني، وعمره لم يصل حد العشرين (١٨٩٨م)، وبدأ يحتل مكانة اجتماعية مرموقة مختطّاً لنفسه مساراً يجمع بين نزاهة التجارة وخدمة الوطن وإنمائه وعمل الخير، مع

البُعد عن التباهي في المحافل العامة، تماماً كما هو خطّ أبنائه من بعده، على النحو الذي عشناه ورأيناه، وكان قبل استقراره في مكة المكرمة قد سافر إلى العراق، واكتسب شيئاً من المعارف فيها، ثم عاد إلى وطنه الأساسي (بمنطقة القصيم) ليقرر الرحيل إلى الحجاز، وذكر المؤرّخ محمد العلي العبيّد في كتاب: من أخبار الملك عبدالعزيز (١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م، تحقيق فايز الحربي) أن قائد الجيش السعودي (خالد بن لؤي) عند دخول مكة المكرمة (١٣٤٣هـ ـ ١٩٢٤م) أقام في بيت عبدالله الجفالي، لصداقة قديمة بينهما، وكان العبيّد حاضراً.

بنى مؤسس بيت (آل الجفالي) مجداً يفوق عرض التجارة، حتى بلغت ثقة الملك عبدالعزيز به ـ عام ١٩٢٥م ـ أن اصطفاه ضمن قائمة الأعضاء الأوائل، من صفوة المجتمع ومتعلّميه آنذاك، لتشكيل أول مجلس للشورى في العهد السعودي وهم: (صالح شطا وأحمد سبحي وعبدالله الزواوي ومحمد يحيى عقيل وعبدالله إبراهيم الجفالي وعبد العزيز بن زيد وعبدالوهاب عطار) فكان الجفالي وابن زيد يمثلان مملكة نجد في هذا المجلس، قبل أن تتوحد المناطق تحت اسم المملكة العربية السعودية، كما كلفه الملك عبدالعزيز بمهام تفتيش إدارية في منطقة غامد وزهران (الباحة).

وإذا ذكر البيت التجاري لآل الجفالي، فإنه يقترن على وجه الخصوص،

بإسهامه في تعبيد - رصف - أول طريق تعبره السيارات بين مكة المكرمة وجدة، وتأسيس أول شركة كهرباء سعودية في الطائف (عام ١٩٤٧م)، ما لبثت خدماتها أن شملت بعد حين مكة المكرمة، لتلغي استخدام الفوانيس الغازية في بيوتها وشوارعها وأزقتها.

وقد توفي، رحمه الله، في إثر حادث أليم في آواخر شهر رمضان المبارك عام ١٣٥٤هـ (ديسمبر ١٩٣٥م)، وعمره لمّا يبلغ الستين، مخلفاً أسرة مكّونة من (٤) أبناء وابنة واحدة (نورة)، وقد غطت الجريدة السعودية الرسمية (أم القرى) خبر وفاته في حينه (العدد ٥٧٧ في ١٩٣٥/١٢/٢٥م)، إلا أنه - حسبما ذكر لي ابنه الشيخ علي - لا تُعرف له صورة فوتوغرافية محفوظة، وقد توفي أحد أبنائه الأربعة (سليمان) وهو شاب لم يصل العشرين من عمره.

ثم كوّن أبناؤه من بعده نواة الشركة العائلية المعروفة اليوم: (شركة إبراهيم الجفالي وإخوانه) في مكة المكرمة، حيث كانت هذه العاصمة المقدسة تتبعها الطائف، تتفوق بتجارتها المزدهرة على جدة، قبل أن تبدأ الأخيرة باحتلال المركز التجاري الأول في غرب البلاد، يساعدها على ذلك ميناؤها البحري القديم وبيوتها التجارية العريقة.

استمرت الشركة العائلية في تأسيس شركات أخرى للكهرباء في المدينة المنورة وجدة والاحساء، كما سعت إلى إنشاء أولى شركات الأسمنت في البلاد، وكان مما قامت به في مجال الصناعة والتعهدّات:

تأسيس شبكة الهاتف السعودي الآلي الحديث ومصنع تجميع شاحنات المرسيدس في جدة.

وقد توفي الشيخ إبراهيم يوم ١٤٠٣/١٠/٣هـ (١٩٨٣/٧/١٣م) في المستشفى العسكري بالرياض مخلفاً ابنة وحيدة (فوزية) تقيم في مكة المكرمة، وتكرّس حياتها لأعمال الخير، سيراً على خطى والدها في العمل الإنساني النبيل، وكان حسن عبدالحي قزاز قد ضمّن كتابه: أهل الحجاز بعبقهم التاريخي، ط: ١ (١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م) ترجمة موجزة له، فذكر أنه ولد يوم ١٣٣٣/١٢/٢٨هـ (١٩١٥/١١/٥م).

ثم عاجل الأجل الأخ الأصغر الشيخ أحمد عام ١٩٩٤م في جدة بعد أن أنجب من الأبناء: وليد وخالد وطارق ومن البنات: مها، وخلّف سمعة اجتماعية وتجارية مرموقة، وأعمالاً إنسانية مستترة في مساعدة المحتاجين في الداخل والخارج، لا يكاد يُعرف منها إلا نماذج رمزية مثل مركز (العون) للمعاقين بجدة ومركز غسيل الكلى بمستشفى الملك سعود بعنيزة، وبعض الصدقات الجارية والأوقاف لرعاية الفقراء والحجاج ونحوهم.

ويعيد التاريخ نفسه، ليتم اختيار الأخ الأوسط (علي) عضواً في مجلس الشورى الحديث، في دورته الأولى (١٩٩٤م ـ ١٩٩٨م) فكان نعم العضو السمح، الحائز بامتياز على احترام زملائه، المتزن في آرائه وطرحه، المتابع للمداولات، المواظب على الحضور بالتردد الأسبوعي بين جدة والرياض.

ولد الشيخ علي الجفالي في مكة المكرمة عام ١٩١٦م، وتركز نشاطه في مباشرة مسؤوليات مجلس الإدارة والعضو المنتدب لشركة كهرباء جدة (المنطقة الغربية) وشركات الإسمنت بالإضافة إلى الشركة العائلية، وله من الأبناء: حاتم وأمين وسامي وأيمن ومن البنات: (منى).

بقي أن يذكر، أن صلة آل الجفالي بمسقط رأس العائلة (عنيزة) لم تنقطع، بعواطفهم واهتماماتهم وصدقاتهم، وكذلك مع الأحساء التي بنى الأخوة الثلاثة صلة عمل معها بعد أن توثّقت رابطة نسبهم مع أسرة (بالغنيم) الأحسائية المعروفة التي ينحدر منها د. فهد وزير الزراعة السعودي الحالي.



(٣٥)

خليل ابراهيم الروّاف

مجلة (المجلة) بتاريخ ١٤٢٦/٩/٦هـ (٩ أكتوبر ٢٠٠٥م) ـ العدد (١٣٣٩).



مازلت، منذ أن كنت مديراً عاماً للتلفزيون السعودي في السبعينيات الميلادية، أعتقد أن ظاهرة تجارة (العقيلات) التي اشتهر بها النجديّون من أبناء شبه الجزيرة العربية، والتي يؤرخ لها البعض بقرنين من الزمان (١٧٥٠ ـ ١٩٥٠م) هي مادة ثقافية ثرية، يمكن أن يستلّ منها الكثير من الروايات والمسلسلات السينمائية والتلفزيونية الشيقة والجاذبة، المشبهة، لو خدمت مالياً وأتقنت نصوصاً، لما ينسجه الأميركيون من قصص رعاة البقر (الكاوبوي) والهنود الحمر.

وقد صدر خلال العقدين الماضيين مجموعة قليلة من الكتب التي توثق لهذه الظاهرة، وتسجل بعض أسماء رجالاتها وقصصها، كان من أبرزها كتب إبراهيم المسلم الثلاثة: العقيلات، ورحلتي مع العقيلات، والعقيلات: أسفارهم ورحلاتهم، وكتاب: نجديون وراء الحدود: الصادر عن دار الساقي ١٩٩١م.

إن هذا المقال، يتحدث عن عَلَم من رجالات الأمة العربية غير المعروفين، أدرك تجارة العقيلات هذه وأسهم فيها، ثم هاجر إلى أمريكا، وتزوج منها مرتين، وتجّول في ولاياتها، وقام فيها بأدوار تجارية وسياسية وإعلامية ودعوية، واستحق بجدارة أن يسمى أحد شهود القرن العشرين، الذي ما كان لاسمه أن يغيب عن هذه السلسلة، فإذا بجريدة الشرق

الأوسط تستحث الكاتب أن يدرج اسمه، ليجد ـ أي الكاتب ـ أن بغيته من أهم المصادر عنه هو كتاب من منشورات الشركة السعودية للأبحاث والنشر، وأعني بذلك مذكرات الرواف نفسه: صفحات مطوية من تاريخنا العربي الحديث (جدة ١٩٩٤م، شركة المدينة المنورة للطباعة والنشر).

فالمقال يصلح أن يكون أيضاً، عرضاً للكتاب نفسه، الذي يتكوّن من (٥٢٠) صفحة، وقدم له د. سهيل زكّار رئيس قسم التاريخ بجامعة دمشق، وابن أخي الرواف: د. عثمان ياسين الرواف، أستاذ العلوم السياسية بجامعة الملك سعود وعضو مجلس الشورى، اللذان أشرفا وغيرهما على مراجعته وتنقيحه.

يضم الكتاب بين دفتيه (١٧) فصلاً، في جزأين رئيسيين، خصص الأول منهما لحياة الرواف في جزيرة العرب وبلاد العراق والشام، ولتجارته المبكرة مع العقيلات، وخصص الثاني لأحداث هجرته إلى أمريكا، وأتبعهما ـ بإيجاز ـ بملحق عن حياته بعد العودة من هجرته، راوياً فيه قصة عثوره المتعة بعد أن تجاوز الخامسة والتسعين على ابنه الوحيد نواف الذي غاب عنه مدة (٤٥) عاماً في أمريكا (١٩٤٧م إلى ١٩٩١م).

إن مذكرات الرواف هذه، التي بدأ في تدوينها منذ صغره، ثم أمضى

ثلاثة أعوام في تحريرها النهائي، هي في الحقيقة، وثيقة تاريخية مهمة، لأنها سجلت بعين الراصد المعايش، واقع الجزيرة العربية من منتصفها إلى شمالها، خلال فترة التحولات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي عاشها، والتي تصدت لها ذكريات القلة من المثقفين والمؤرخين والسياسيين.

لكن المرء يتوقف قليلاً أمام ادّعائه بأنه أول مهاجر سعودي إلى أمريكا، حيث يُذكر بأن عبدالله الخليفة، وهو عقيلاتي من بريدة أيضاً، كان سبقه بالهجرة منذ مطلع القرن العشرين، وقد روى ناصر بن سليمان العمري قصته في مجلة اليمامة (العدد ٢٠٦ تاريخ ١٣٧٩/٧/٢٠هـ).

ولد الرواف قبيل مطلع القرن الميلادي المنصرم (حدود عام ١٨٩٨م) في دمشق، في أسرة الرواف المعروفة في بريدة بمنطقة القصيم، وكان أساس الأسرة من مدينة العيينة لكنها نزحت متفرقة بين الرياض وعرقة المجاورة لها والقصيم، كما هاجر جزء من الأسرة إلى بغداد والزبير، واتجه أفراد منها إلى الهند، وكان أبوه (المتوفى عام ١٩٢٧م) قد تزوج من أسرة شامية من حي الميدان الشهير بالمقيمين النجديين، حيث كان يوجد فيه عدد من أسرة الكحيمي والحجيلان والنجيدي والطويان والشبل والقاضي والمحيسن والصالح والجميل والرواف.

ثم يتحدث الرواف ـ الذي يشير تقريباً لا تحديداً إلى سنة ولادته ـ إلى ظروف انقطاعه عن الدراسة في مدرسة التوفيق بدمشق التي تطبق منهجاً تعليمياً تركياً بسبب نفوره من أسلوب مدرسيها.

تنقسم حياة الرواف، بعد مرحلة الطفولة التي عاشها في دمشق قبل الحرب العالمية الأولى، **إلى ثلاث فترات**:

(١) فترة ريعان الشباب، والتي قضاها في تجارة العقيلات والتجوال في جزيرة العرب وبلاد الشام والعراق، وقد امتدت من حدود عام ١٩١٧م وحتى عام ١٩٣٥م واقترن في نهايتها بزوجته الأولى (الأمريكية) التي شجعته على الهجرة معها إلى أمريكا.

(٢) فترة هجرته إلى أمريكا، وقد امتدت نحواً من (١٥) عاماً (١٩٣٥ وحتى ١٩٤٩م) والتي تزوج فيها مرة ثانية، ورزق منها بابنه الوحيد (نواف).

(٣) فترة ما بعد العودة، والتي بقي فيها حتى وفاته عام ٢٠٠٢م وتزوج فيها زوجته الثالثة (مصرية) والدة ابنتيه: آسيا (الطبيبة) وأميمة (تخصص علوم).

وكان له أخوان هما: محمد عيد (أشير إليه في موقع آخر من هذا الكتاب) وهو يكبره بعامين، وياسين الذي يصغره بعامين، وقد توليا مناصب دبلوماسية رفيعة، وست أخوات من بينهن عائشة التي تصغره بأربعة أعوام، وهي تقيم حالياً في المملكة العربية السعودية.

تصف ذكريات الرواف ـ التي تفتقر مع الأسف إلى تحديد التواريخ مع أنه كان من السهل عليه أو على مراجعي الكتاب إضافتها، وعلى القارئ استنتاجها حيث يذكر العديد من الأحداث المعروفة تواريخها ـ تصف حال الصراع بين العثمانيين والبريطانيين في شبه جزيرة العرب، ومحاولة كل طرف منهما استمالة الأمراء المحليين، كما تروى طرفاً من علاقة والده إبراهيم المحمد الرواف بالقائد التركي (جمال باشا) في سوريا، وقيامه ـ أي والده ـ بتموين الجيش التركي باحتياجاته من الإبل والتجهيزات.

ثم تعرّج الذكريات على وصف دمشق ومنازل أهله وأخواله فيها، وعلى السعوديين المهاجرين إليها، وبعض الأسر التي استقرت في بلاد الشام ومصر، حيث طاب لها المقام بعد أن جاء أفرادها إليها متاجرين بالإبل (تجارة العقيلات الرئيسية)، كما يذكر قصة هروب والده من الشام، خشية اضطراره لخيانة صديقه نوري الشعلان، والمشاركة في اعتقاله من قبل الأتراك، حيث ينتهي المطاف بوالده لاجئاً في حائل عند ابن رشيد.

لقد خصص الرواف جزءاً من ذكرياته لوصف تجارة العقيلات هذه التي اشتهر بها النجديون، والتي تعتمد بالدرجة الأولى على شراء الإبل من عرب نجد وبادية العراق في مواسم ترخص فيها إبان فترات

الجفاف، ثم يبيعونها في بلاد الشام بعد أن تتحسن أحوال الماشية في فصول الربيع، وكان العديد من الأثرياء في القصيم (يبضّعونهم) الأموال بأسلوب (المضاربة) ليتمكن العقيلات من هذه المتاجرة، فإن ربحت تجارتهم تقاسموا الربح بينهم، لكن الخسارة، سواء كانت ناتجة عن البيع والشراء أو عن السرقات والغزوات، أو عن الفقد والضياع، لا تطالهم ولا تلحق بمسؤوليتهم، وذلك بحكم الثقة المطلقة المتبادلة.

كان البعض من تلك الرحلات يمتد شهوراً، وقد تستغرق سنوات إذا ما طابت الإقامة لبعضهم، ولذلك فإن الرواف يروي قصصاً لأشخاص لم يلتقوا بأولادهم إلا بعد أن تجاوزوا العشرين، وقد كانوا خلّفوهم وراءهم وهم في بطون أمهاتهم.

يتحدث الرواف بالتفصيل عن قصة أول رحلة له مع عمه محمد الحمد الرواف من الشام إلى بريدة مروراً بالعراق، واصفاً مشاعره لرؤية مسقط رأس أسرته، ومعرجاً على الكثير من الأحداث التي مرّت بنجد في تلك الآونة (العقد الثاني من القرن الماضي)، وهي الفترة التي سبقت انتهاء حكم آل الرشيد في حائل والأشراف في الحجاز، كما يسرد أسماء العشرات من القبائل ومن الشخصيات السياسية والاجتماعية التي عاشت تلك الفترة، ويقدم وصفاً لبعض المدن التي وطئتها قدماه في رحلاته التي لم تنقطع طيلة العقود التسعة الأولى من حياته، مع الاستشهاد بين

فينةً وأخرى ببعض الأشعار التي نظمت حولها.

ثم يستمر في سرد ذكرياته عن أول زيارة له - على الجمال بالطبع - للمدينة المنورة أيام كان الشريف علي بن الحسين أميراً عليها، وحيث كانت سكة حديد الحجاز تصلها بتركيا عبر دمشق، قبل أن تطالها أيدي التخريب، فيصف الحياة فيها، وينوه بازدهارها الاقتصادي ثمرةً لتشغيل هذا الخط الذي دام ما يقرب من ثماني سنوات، وقد غادرها الرواف مستخدما القطار عائداً إلى دمشق عن طريق الأردن قبل أن يحكمها الشريف عبدالله بن الحسين، وقد مر في طريقه بمدائن صالح (الحجر) وأقام في ضيافة صديق والده وتاجر الخيول سليمان الرميح الذي صادفه هناك.

يتجول الرواف في ذكرياته من إقليم إلى آخر ليروي التطورات السياسية التي تحل فيها، فهو مثلاً، وهو الشاهد المعاصر على أحداثها، يتحدث عن الانتداب الفرنسي على سوريا ولبنان، والانتداب البريطاني على العراق والأردن، والاحتلال البريطاني لمصر والسودان، كما يتحدث عن ظروف إعلان الشريف فيصل بن الحسين نفسه ملكاً على سوريا، وقيام دولة هاشمية في شرق الأردن، وهكذا يأتي على ذكر معركة (ميسلون) التي شارك فيها عدد من النجديين المقيمين إلى جانب إخوانهم السوريين في محاولة لصد الاحتلال الفرنسي عن بلادهم.

ثم يخصص الرواف الفصل الخامس من ذكرياته للحديث عن بداية الحكم السعودي في الحجاز (١٩٢٤م) والجهود التي بذلها الملك عبدالعزيز لتكوين نواة الحكومة الحديثة ومؤسساتها الدستورية والإدارية وأسماء بعض الشخصيات السياسية المبكرة التي تولت الأمور في تلك الفترة (عبدالله الدملوجي، يوسف ياسين، الطيب الهزازي، عبدالله السليمان الحمدان «ابن سليمان»، فؤاد حمزة، رشدي ملحس، وحافظ وهبة، وخالد القرقني وغيرهم) من المستشارين السعوديين والعرب الذين اعتمدت عليهم الدولة إبان فترة تأسيسها، ثم يحكي قصة تعيين أخيه ياسين (والد د. عثمان الرواف) قنصلاً عاماً في سوريا ولبنان إبان الاحتلال الفرنسي، وتفكير الملك عبدالعزيز في تعيين (شخصية المقال) الشيخ خليل الرواف كبيراً على العسكر النظامي، وذلك بحكم خبرته السابقة مع الحكومة التركية في تجييش الجند وتمويله وتوفير الأمن له، ثم مغادرته المفاجئة عائداً إلى دمشق هروباً من هذا التكليف المحتمل.

أما في الفصل الخامس من ذكرياته، فيكشف بعض دواخل نفسيته القلقة، حيث يكرر بأنه ليس بتاجر ولا بموظف، وإنما هو شخصية مغامرة، كُتب عليه الترحال، بحثاً عن موقع في الحياة، وأصيب بالاكتئاب والعزلة مرتين، لكن العرض الذي يواصله لسرد قصة حياته مستشهداً بالأحداث، والمواقع التي مر بها، يجدد على القارئ ما تختزنه ذاكرته من

معلومات عن تلك الحوادث والمواقع، فهو ينقل بأمانة واقع تلك البلدان، فضلا عن الجزيرة العربية، في تلك الحقبة الزمنية، سياسيا واجتماعياً واقتصادياً بما يجعل القارئ يستمتع ويستفيد ويؤكد معلوماته.

لكن ما أن يدخل الرواف في الفصل السادس حتى يبدأ في التركيز على مدينة معان (جنوب الأردن) التي عدت في العشرينيات محطة القوافل النجدية لجلب الخيول والجمال والأغنام، تنطلق بها إلى مصر وفلسطين، أو يأتي تجارها - بالعكس - لشرائها، لقد بدأت هذه المدينة تزدهر بسبب ظروف الثورة السورية ضد الفرنسيين، حيث دفعت تجار العقيلات إلى تحويل تجارتهم إليها، وكان خط حديد الحجاز ينتهي بها بعد تعطيل الجزء الحجازي منه إبان الحرب العالمية الأولى، وقد أصبح الرواف تدريجياً وكيلاً في معان للتجار النجديين، يهتم بشؤونهم ويدفع الرسوم نيابة عنهم، ويبيع ماشيتهم ويبتاع لهم بأثمانها ما يرغبون من بضاعة.

ويستمر الرواف، في رصد رحلاته المتكررة إلى الحجاز ونجد، لكنه سرعان ما يدركه الحنين إلى دمشق التي ما انفك في ذكرياته يتغنى بالطفولة التي قضاها فيها، يرتع في مروجها ورياضها ويشيد بأمجادها.

ومن خلال تخصيصه الفصل الثامن للحديث عن جهوده التي بذلها - مدة ثلاث سنوات في بغداد دون أن يحالفه الحظ - لمحاولة استعادة وقف العائلة الذي كان جده محمد العبدالله الرواف قد أوقفه أثناء

إقامته في العراق، فإنه يستعرض جانباً من التاريخ السياسي الحديث للعراق في ظل الحكم الهاشمي في العشرينيات، ثم يأتي على ذكر العديد من الشخصيات، من بينها الشيخ محمد العبدالله البسام، أبرز التجار النجديين، وإبراهيم المعمر الذي عين وزيراً سعودياً مفوضاً في بغداد (١٩٣٣م) وأخوه محمد عيد الرواف الذي خلف المعمر في السفارة السعودية في العراق.

يمضي الرواف في ذكرياته بدءاً من الفصل التاسع، وعلى مدى ثمانية فصول، للحديث عن هجرته إلى أمريكا، إثر زواجه الأول (سنة ١٩٣٣م وعمره ٣٥عاما) من السيدة فرانسيس، وهي كاتبة صحفية أمريكية تكبره بسبع سنوات، ولها بنت (كارولين) من زواج سابق، وقد تعَّرف عليها أثناء مكوثه في بغداد، وتجولا سوياً مستقلاً الطائرة لأول مرة في حياته في مصر وسوريا ولبنان وسويسرا واليونان وإيطاليا قبل مغادرتهما إلى نيويورك التي وصلاها بتاريخ ١٩٣٥/١٠/٣م، ليصبح من أشهر المهاجرين السعوديين إلى أمريكا.

وقد خصص الفصل العاشر للحديث عن انطباعاته المبهورة بمدينة نيويورك، ووصف حياتها المثيرة للانتباه، وقدم كثيراً من المعلومات الإحصائية عن وضع هذه المدينة في الثلاثينات، ثم أشار إلى بعض الأحداث التي جرت في أمريكا إبان تلك الفترة مما يتصل بالعالم العربي.

لم يلبث الزوجان بعد أن قضيا أسبوعين منذ وصولهما إلى الأراضي الأمريكية حتى شجعته زوجته على التجوال معاً في الولايات الشرقية، فزارا تسعاً منها في رحلة دامت ثلاثة أشهر، كتب في الفصل الحادي عشر وصفاً دقيقاً لأوضاعها الاقتصادية والاجتماعية، وخصص حيزاً كبيراً منه لتاريخ الهنود الحمر، ولرواية الظلم الذي حل بهم على يد الرجل الأبيض المهاجر، وعقد مقارنة بين أوضاعهم وبين حياة الفلسطينيين تحت الاحتلال.

غير أنه، وقد اتبع في تسلسل فصول ذكرياته تتابع الأحداث زمنياً، يختم هذا الفصل فجأة بالحوار الذي جرى بينه وبين قرينته في إحدى الليالي التي قضياها في نهاية الجولة في أريزونا، والذي أدى إلى انفصالهما بعد ما تبين له - حسبما قال - أنها كانت تتكئ في علاقتها الزوجية به على يسرة حالتها المادية، ولم تتردد في تحذيره من الفراق منها كي لا يتيه في لجة أمريكا بعد أن أصبح في عمقها، فقرر الانفصال ثأراً لكرامته، بعد أن استمر زواجهما ثلاث سنوات.

لكنه، لم يته كما توقعت زوجته، إذ قرر الاستقرار في لوس انجلوس، فحالفه الحظ منذ أول يوم وصوله إليها، حيث عمل في أعمال مؤقتة مختلفة، ليس أقلها مستشاراً للملابس العربية لدى أحد منتجي هوليود، وممثلاً في فيلم للممثل الأمريكي (جون وين).

صحيح أنه ذاق من الغربة - في كاليفورنيا على مدى عامين - حلوها ومرّها، عسرها ويسرها، وفوّت العديد من الفرص التي كان من أبسطها دراسته هندسة الطيران، لكنه يروي في الفصل الثاني عشر (لوس أنجلوس ولقاء في هوليود) العديد من المفاجآت والنوادر التي واجهته في الساحل الغربي الأمريكي، كما يدّون الفصل الذي بعده قصة عودته إلى نيويورك، ومن ثم انتقاله إلى فلوريدا ثم إلى أيوا للإشراف على مدرسة أقامتها الجالية الإسلامية، وينتهي من التطواف برواية تجربته معلقاً سياسياً في إذاعة صوت أمريكا في بداية الحرب العالمية الثانية.

ثم يستمر الرواف في سرد ما مّر به من أحداث، معرّجاً بين حين وآخر على حوادث العالم، إبان الحرب العالمية الثانية، ومشيراً إلى الزيارات التي قام بهاإلى نيويورك ولي العهد الأمير(الملك) سعود (١٩٤٧م) والزيارتين اللتين قام بها الأمير (الملك فيصل) إلى نيويورك وسان فرانسيسكو في الأربعينيات، يرافقه إخوته (الملك) خالد و (الملك) فهد والأمير نواف، ثم الزيارات الأخرى التي قام بها أمراء سعوديون آخرون كان من بينهم الأمير طلال الذي توثقت علاقة الرواف به فيما بعد عملاً ورفقة وصداقة، وقد شهد الرواف كل هذه الزيارات وكان له إسهامات في إنجاحها، كما تطرق إلى الجهود التجارية والتعليمية والإعلامية والدعوية التي قام بها في أمريكا في تلك الفترة.

كان من أبرز ما رواه في الفصول الأخيرة من الكتاب قصة التحاقه بالجندية في الجيش الأمريكي، وقصة اقترانه بزوجته الأمريكية الثانية (١٩٤٥م) التي أنجبت ابنه الوحيد نواف، وقصة طلاقهما بعد ثلاث سنوات، والظروف التي أدت إلى غيبة ابنه نواف وتغير اسمه من نواف إلى كليف، وهي الغيبة التي دامت (٤٥) عاماً كما سلف، وكيف عثر عليه (عام ١٩٩١م) عندما قام وابن أخيه د. عثمان الرواف برحلة اقتفى أثره فيها بمساعدة مكتب تحريات خاص، بعدما كاد يفقد الأمل في العثور عليه، خاصة أن الابن كان ممن جند للحرب في فيتنام وتزوج من هناك، ثم يروي قصة زواج طليقته (أم نواف) من الأديب والشاعر المصري أحمد زكي أبو شادي.

كان عام ١٩٤٩م هو ختام هجرته إلى أمريكا التي دامت (١٥) عاماً، عاد بعدها إلى موطنه الأصلي وقد بلغ (٥٠) عاماً من العمر أي بعد مضي نصف المدة التي عاشها، ولم تطل به العزوبية القلقة كثيراً، إذ اقترن في العام نفسه (١٩٤٩م) بسيدة مصرية رآها في أثناء زيارة له إلى القاهرة، وقد رزق منها بابنتين، ثم توفيت عام ١٩٥٤م.

إن ذكريات الرواف المطبوعة مخزون ثري بمعلومات ثرّة عن شخصيات معاصرة له مثل: الأمير تركي (الأول) بن عبدالعزيز، والشيخ محمد بهجت البيطار، وسليمان العنبر، والشاعر محمد العوني، وشاعر

الحويطات عودة بن تايه، والشيخ فوزان السابق، والتاجر حمد المديفر، والشيخ محمد المغيربي فتيح، والسيدة جيرترود بيل، والشاعر بدوي الجبل (محمد سليمان الأحمد)، وعبد الرحمن الطبيشي، وكانت مجلة (المجلة) قد أجرت معه (ومع ابنه المعثور عليه عام ١٩٩١م) حديثاً موسعاً ووضعت صورتهما على غلافها في حينه.

الكتاب ذو حجم كبير كما سلف، وقد كُتبت حروفه ببنط صغير، مما يضاعف من مساحة الذكريات، التي تدعو تفاصيلها للعجب من قدرة مؤلفها على الرصد وسبك المعلومات وإدخال كثير من الاستشهادات ذات العلاقة، فهو مرة - مع تكرار مقبول - يتناول في سرده سيرة إحدى الشخصيات، أو مدينة من المدن، وقد يورد أحياناً قصيدة يتصل موضوعها بما ذكر، مما يزيد في متعة القراءة ومضاعفة الفائدة منه، ويجعله من أنفس كتب الذكريات العربية، التي يعلو فيها الجانب الموضوعي على الجانب الشخصي.

ولا شك أن ذكرياته هذه تشكل أحد المصادر الموثوقة فيما يتصل بحالة الأقاليم التي ركزت عليها، كوضع بلاد الشام والجوف وحائل والقصيم ونحوها.

والآن، وبعد مضي أعوام على رحيل الرواف، عقب أن عاش قرناً وأربعة أعوام، فإن المأمول بإلحاح أن تقوم الشركة السعودية للأبحاث

والنشر، بإعادة طبع الكتاب بسبب نفاده، ففي سلاسته وموضوعاته وصوره التاريخية الفريدة، وفي بساطة عرضه للأحداث، متعة لا تماثلها إلا القلة من كتب الذكريات الأخرى المجانسة، على أن المرجو أيضاً أن يتم تدارك بعض الأخطاء اللغوية والمطبعية التي فاتت على مراجعي طبعته الأولى، وأن يضاف إلى الكتاب كشاف عام للأماكن والأعلام الواردة فيه مع التفريق بين الأزمنة الهجرية والميلادية فيه، حتى يستفيد الباحث والقارئ منه بشكل أفضل.



(٣٦)

عبدالله بن محمد الفضل

نشر في مجلة (**الشورى**)، العدد (٦٣)، ذو القعدة ١٤٢٥هـ (يناير ٢٠٠٥م)، ومجلة (**المجلة**)، العدد (١٣٤٢) الصادر بتاريخ ٢٧ رمضان المبارك ١٤٢٦هـ (٣٠ أكتوبر ٢٠٠٥م).



هاجرت ـ عبر القرون الماضية ـ أسر كثيرة من وسط الجزيرة العربية (نجد) لتستقر في بلدان الخليج العربي وبلاد العراق والشام وفلسطين ومنها إلى مصر، وكان بعضها (العقيلات) يكتفي بالتجارة مع تلك البلدان والعودة منها، كما عَبَر بعضها من الحجاز أو من البحرين إلى الهند، واتجه بعضها للإقامة في إقليم الحجاز الخاضع لحكم الاشراف الهاشميين التابعين للأتراك العثمانين خلال فترة حكمهم، فاتخذت تلك الأسر من جوار الحرمين الشريفين في مكة المكرمة والمدينة المنورة وما حولهما (الطائف وجدة وينبع وغيرها) مستقراً لهجرتها، دون أن تنقطع عن الاتصال بأصولها في نجد.

وليس من باب المصادفة أن تكون أغلب تلك العائلات قد جاءت من منطقة القصيم، ذلك أنها كانت من أكثر نواحي نجد اتصالاً بالخارج فيما مضى، وبخاصة مع الحجاز والعراق والبحرين وبلاد الشام وفلسطين ومصر والهند، وتوجد وثائق ومكاتبات قديمة ومواقع معروفة ماتزال مملوكة لهذه الأسر في بريدة وعنيزة وما جاورهما.

ولو اقتصر المقال على الصلات مع الحجاز في مطلع القرن المنصرم، وذلك قبيل توحيد الدولة السعودية المعاصرة، التي تكّونت سياسياً وتشكلت مؤسساتها الدستورية أواخر العشرينيات وأوائل الثلاثينيات

من القرن الماضي، فإنه يمكن الاستشهاد في هذا المقام، ومن خلال هذين الإطارين ـ الزمني والمكاني ـ بأُسر مثل آل الخريجي والبسام والجفالي والتركي والسليمان (الحمدان) والزغيبي والنانيه، فلقد استقر آباء هذه العائلات في مكة المكرمة والمدينة المنورة، أو تنقلوا بين الحجاز ونجد ثم انتهى بهم المطاف في الأراضي المقدسة، بهدف العبادة أو التجارة أو الالتحاق بالجيش العثماني، إلى غير ذلك من الأغراض.

يركز هذا المقال على أسرة الفضل التي هاجر بعض أفرادها من عنيزة إلى الهند شرقاً، ونزح البعض الآخر إلى الحجاز منذ زمن يسبق دخوله تحت الحكم السعودي (١٩٢٥م)، حتى صار كثير من رموز هذه العائلة يتردد على الهند وبلدان الخليج ويمارس التجارة فيها[1]، وكان كاتب هذا المقال قد أمضى بعض سنوات طفولته في عنيزة في منزل تعود ملكيته لأحد أفراد هذه الأسرة الغائبين.

برز من هذه الأسرة، فيما يتصل بعنوان المقال ـ وهو الجمع بين ممارسة التجارة وسمة الترحال والانشغال بالسياسة وعضوية مجلس الشورى ـ برز ثلاثة، كان الأكثر شهرة بينهم هو عبدالله بن محمد الفضل أول من عمل نائباً للأمير فيصل بوصفه رئيساً لمجلس الشورى القديم (أساس مجلس الشورى الحالي)، ورئيس مجلس الوكلاء (نواة

---

(١) ورد ذكر آل الفضل في الهند في كتاب: صحيح الأخبار لمحمد بن بليهد، القاهرة ١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢م ج ٤ ص ١٤٤).

مجلس الوزراء الحالي)، أما الآخران فسيأتي ذكرهما لاحقاً.

وقبل التعريف بهذه الشخصية، قد يكون من المفيد التذكير بعمه صالح العبدالله الفضل الذي كان قد استقر في بومبي منذ أواخر القرن التاسع عشر، وكان على صلة عمل ومودة مع الملك عبدالعزيز، ويُذكر له ولأخيه إبراهيم أنهما استقبلا الأمير فيصل بن عبدالعزيز عند مروره بالهند (بومبي)، التي كانت تمثل المحطة شبه الوحيدة للبواخر المتجهة إلى أوربا، في رحلته الأولى التي رافقه فيها الأمير أحمد بن ثنيان (١٩١٩م)، وتوجد مكاتبات موثقة بينه وبين الملك عبدالعزيز، سواء فيما يتصل بهذا الشأن أو غيره، حيث كان الملك يكلفه ببعض المشتريات والمهمات الثقافية والإنسانية، جدير بالذكر أن صالح الفضل وعدد من تجار عنيزة المقيمين في الحجاز كانوا قد احتجزوا في مكة المكرمة عام ١٣٣٨هـ بأمر الشريف حسين، للضغط على مدينتهم لفك ارتباطها مع الإخوان[١].

لم تنقطع صلته بأسرته في عنيزة، حيث كان يزورها بين حين وآخر، وبالذات في شهر رمضان المبارك، يخص فقراءها بجزء من صدقاته، وكانت له أملاك في مكة المكرمة والمدينة المنورة وجدة بالإضافة إلى بومبي وكراتشي، وقد توفي في كراتشي ودفن فيها عام ١٩٢٣م.

وعودة إلى الشيخ عبدالله الفضل، موضوع عنوان هذا المقال، الذي

(١) وردت القصة في كتاب: من أخبار الملك عبدالعزيز في مذكرات محمد العلي العبيّد (الكويت ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، تحقيق فايز الحربي).

يعد أبرز من انشغل بالخدمة العامة منهم، فإنه لا توجد مع الأسف معلومات وافية عن سيرته، والأحرى أنه ربما يكون من مواليد عنيزة حوالي عام ١٨٨٠م، ثم رحل وعمره في حدود الخامسة عشرة ليلتحق بعمه صالح - السابق ذكره - ووالده في الهند، حيث تعلم الإنجليزية والأردية وعلوم المحاسبة والتجارة، وقد عاد إلى الرياض، واتصل مبكراً بالملك عبدالعزيز (١٩٠٦م) ثم استقر في مكة المكرمة لممارسة التجارة، وعاصر دخول الملك عبدالعزيز في مكة المكرمة (١٩٢٤م)، وأصبح - كما ذكر الزركلي - من المقرّبين إليه وأحد مستشاريه، وتولّى بشكل خاص تشجيع استخدام الحجاج لميناء عدن لتسهيل دخول حجاج الهند والجاوة إبان تعطيل ميناء جدة بسبب أحداث تلك الفترة.

وكانت الجريدة الرسمية السعودية (أم القرى) قد نشرت في عامي ١٩٢٥م و ١٩٢٦م خبر اختياره في مجلس الشورى الأهلي مندوباً عن التجار، وهو المجلس الذي مهّد لقيام مجلس الشورى القديم.

ثم أصبح مقرّباً من الأمير فيصل بن عبدالعزيز (نائب الملك في الحجاز ورئيس مجلس الشورى) فصار نائباً له في مجلس الشورى، ثم أصبح نائباً له في مجلس الوكلاء بعد تشكيله سنة ١٩٣٢م، جامعاً بين المهمتين، وكان له من الأولاد: أحمد وعبدالوهاب وأحمد (الثاني) وفيصل وفهد ونايلة، وهو يذكر بالخير ويحظى بالاحترام والتقدير، وقد توفي في القاهرة عام ١٩٦٩م عن عمر يقارب التسعين.

استمرت علاقته بمجلس الشورى السعودي القديم (المطور عن المجلس الأهلي) عام ١٣٤٧هـ (١٩٢٨م)، أي بعد عامين من صدور نظامه وتشكيله، حيث اختير عضواً فيه، وفي الوقت نفسه نائباً لرئيس المجلس (الأمير فيصل بن عبد العزيز بصفته نائب الملك في الحجاز)، ينوب عن الرئيس في حال عدم حضوره، وقد ظل عضواً في المجلس، يحتل مهام النائب الأول من عام ١٩٢٨م وحتى عام ١٩٤٨م أي مدة عشرين عاماً، وكان المجلس يختار بالاقتراع السري نائباً ثانياً يحل محله في حال غيابه، وقد تراوح اختيار المجلس لمنصب النائب الثاني بين صالح شطا - وهو الأكثر - وعبدالله الشيبي والشريف شرف رضا وأحمد إبراهيم الغزاوي وصادق دحلان، الذين يعدون من أبرز رجالات مجلس الشورى القديم، يتصدرون قوائمه عاماً بعد عام.

إن من يقرأ في الأعداد القديمة للجريدة السعودية الأولى (أم القرى)، سيجدها ملآى بالأخبار عن الفضل، وعن المهام التي كلف بها، والنشاط التجاري والسياسي والاجتماعي الذي قام به، فهو، بالتضامن مع آخرين، يؤسس لأول شركة سيارات لنقل الحجاج من الموانئ (١٩٢٥م)، ويسعى في الوقت ذاته لتوفير السلع الاستهلاكية في مكة المكرمة أثناء حصار جدة ومينائها (١٩٢٥م)، لكن امتياز شركة النقل يلغى في العام الذي يليه لعدم الوفاء بالتزاماته.

ثم تورد له خبراً يفيد بأنه قطع الطريق بالسيارة، لأول مرة في تاريخ

استخدام السيارات، بين مدينتي رابغ وجدة (١٩٢٥م) بمشاركة مسؤولَين بريطاني وهندي، كما صدر أمر بتعيينه وكيلاً للوازم الخاصة بإدارات قصر الملك عبدالعزيز (١٩٢٦م)، ثم أمر لاحق (١٩٢٨م) بتعيينه رئيساً للجنة توزيع الصدقات والإعانات، وكلف في عام (١٩٣١م) ضمن هيئة للقيام بمهمة تفتيش إداري في المدينة المنورة ثم الأحساء، ثم تتوالى بعد ذلك أخباره بوصفه نائباً لرئيس مجلس الشورى (١٩٣١م).

كما يشير خبر (نشر عام ١٩٣٣م) إلى قيامه ـ مراراً ـ أثناء غياب الأمير (الملك) فيصل بأعباء رئاسة مجلس الوكلاء ووزارة الداخلية، وإلى أنه يفتتح في عام ١٩٣٤م تبرعات تأسيس أول جمعية خيرية للإسعاف نالت شهرة واسعة في حينها، لكونها أولى مؤسسات المجتمع المدني التي قامت في ظل العهد السعودي في الحجاز.

ثم صدر أمر ملكي (عام ١٩٣٧م) بتعيينه معاوناً للأمير فيصل بوصفه ـ أي الأمير ـ نائباً للملك في الحجاز، ثم نشرت جريدة أم القرى (عام ١٩٤٦م) خبر سفره إلى مصر للاستشفاء، وكان يومها ما يزال يشغل منصب النائب الأول لرئيس مجلس الشورى، وقد أحيل على المعاش في مارس ١٩٤٩م بسبب مرضه وبقي عضواً في مجلس الوكلاء، وصدر أمر بتعيين صالح شطا في محله نائباً لمجلس الشورى.

أما بالنسبة للشخصين الآخرين من آل الفضل اللذين دخلا مجلس

الشورى القديم، وكان لهما موقع في التجارة والترحال والسياسة فهما أبناء عمه، وأخواه في الوقت نفسه من الأم: محمد بن عبدالرحمن الفضل وأخوه إبراهيم.

أصبح محمد عضواً في مجلس الشورى في دورته التي شكلت عام ١٩٤٢م وظلت عضويته تتجدد عشر سنوات متتالية، وكان يكتب ذكرياته في مجلة (المنهل) السعودية، اطلعت على بعض منها لعامي ١٩٦٤ و١٩٦٩م، مقالات يستفاد منها أنه عمل مع والده في تجارة الأغذية، وأنه سبق أن هاجر إلى الهند بين عامي ١٩١٥ و ١٩٢٦م، وقد توفي عام ١٩٧٢م عن عمر ناهز التسعين عاماً، وكانت له أياد بيضاء في المساعدات الإنسانية ودعم المدارس الخيرية والأهلية في الحجاز.

أما أخوه إبراهيم، الذي ولد عام ١٣٢٠هـ - ١٩٠٣م فقد عين عام ١٩٣١م رئيساً لديوان الأمير فيصل نائب الملك في الحجاز، وفي الوقت نفسه عضواً في مجلس الوكلاء الذي سبقت الإشارة إليه، كما اختير مرتين (١٩٣٠ و ١٩٣٩م) عضواً في مجلس الشورى القديم، وقد توفي عام ١٩٤٠م وهو في طريق عودته من مهمة في اليمن، ونعته جريدة (أم القرى) في حينه.

وهناك من أسرة الفضل في القصيم شخصيات أخرى برزت في التجارة والدبلوماسية، وترددت على الهند وبلدان أخرى، لكن هذا المقال اقتصر

على أولئك الذين شاركوا في عضوية مجلس الشورى القديم.

واللافت للنظر، أن الهند كانت مقصد كثير من الأسر السعودية، وجاذبة للاستقرار فيها، لكونها ترتبط بصلات تجارية واسعة مع بلدان الخليج كافة، تماماً كما كانت جزر الملايو جاذبة للكثير من الأسر الحضرمية والعُمانية، وهو موضوع يستحق تحليل الباحثين ودراساتهم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية.

(٣٧)

إبراهيم بن عبد الله العنقري

نشرت في الأساس في جريدة (**الجزيرة**) بعنوان : القامة والقمة مجتمعتان، العدد (١٢١٦٣) بتاريخ ١٤٢٦/١٢/١٦هـ (٢٠٠٦/١/١٦م).





إبراهيم العنقري مع الأميرين مساعد بن عبدالرحمن
ونوّاف بن عبدالعزيز في جولة على المرافق الإعلامية

عرفته منذ نحو أربعة عقود، كان في حينها وكيلاً لوزارة الداخلية، وكنت مسؤولاً في تلفزيون الرياض، ثم عرفته عن قرب بعدما أصبح وزيراً للإعلام (١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م)، وكنت في حينه على وشك إكمال مرحلة الدكتوراه، وأحتفظ له، بكل تقدير، بفضل الموافقة على إكمالها في وقت كانت الوزارة في بداية عهده بحاجة إلى ملء بعض الشواغر القيادية.

تعاملتُ معه عن قُرب طيلة عمله وزيراً لهذه الوزارة، في زمالة كان يظللها الاحترام والصدق والصلاحيات الواضحة، حتي غادرها إلى موقع وزاري آخر بعد خمس سنوات (١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م).

كان الشيخ العنقري قد خلَف الشيخ جميل الحجيلان في وزارة الإعلام، فأكمل برامج ومشروعات نوعية وكمية كان قد بُدئ بها من قبل، ثم أضفى عليها ما كانت تحتاجه من الدعامات الإدارية والإسنادات القانونية، والمقوّمات التموينية (اللوجستية)، فشهدت الوزارة (الإعلام) في عهده فترة استقرار وتطور متدرج، وأسس لمرحلة جديدة من التوسع النوعي الأفقي والرأسي - وبخاصة في مجال الإذاعة والتلفزيون - كان في مقدمتها الإعداد للبثّ الملوّن، وإقامة المركز الرئيسي للتلفزيون وتوسيع شبكته، مع إضافة المزيد من المرسلات الإذاعية، وكان من

أبرز ما أدخله على المنظومة الإعلامية تأسيس وكالة الأنباء السعودية (١٣٩٠هـ ـ ١٩٧٠م).

لست هنا في موقف من يسرد قائمة ما له وما عليه في أثناء سنوات خمس، كنت فيها شاهداً على مرحلته، وشرُفت خلالها بالعمل معه وقريباً منه، كما أن المقام ليس بمقام تزكية أو مجاملات، فليس أيّ منا بحاجة إلى ذلك، وهو بالذات، ليس ممن يهتم بذاك، وقد عاش طيلة خدماته الجليلة التي أسداها لوطنه ما يزيد على نصف قرن أو يقرب منه، بعيداً عن الأضواء أو استغلالها، لكنني أظن أن الإعلام السعودي، قد شهد في عهده تقدماً رصيناً هادئاً جسّد شخصية وزيره، واستفاد من مكانته وعلاقاته، وسارت دفّة سفينته بقيادة ربّان حكيم متعقّل، يقدّر عواقب الأمور، وأبعاد كل خطوة يخطوها، ويثمّن خطورة الوسائل الإعلامية التي يمسك بزمامها، حافظاً لسانه أولاً ومنطق وزارته ثانياً عن الكلام الغلط وعن مزالق الترّهات وزلاّتها.

كان الشيخ العنقري قد أتى إلى وزارة الإعلام من خلفيّة وزارة الداخلية، وقد تزوّد بالخبرة الإدارية والقانونية والأمنية التي شكّلت له أرضية، كانت أفضل ما يحتاج إليها مسؤول في مثل حساسية موقعه، وظروف زمنه (التسعينيات الهجرية ـ السبعينيات الميلادية)، وبمثل عهد الملك فيصل، رحمه الله، وقد أسميت فترته من قبل بالإعلام ذي الأبعاد

الثلاثة: الإدارية والقانونية والأمنية، فضلاً عن الإبداعية.

إنني أعلم مرة أخرى، أن الحديث هو عن شخصية، قامة في احترام نفسه واحترام الناس له، وقمة في قِيَمه وأخلاقياته ومُثله، وأن مثل هذه الشهادة لن تزيد فيه ولن تنقص منه، لكنها كلمات وخواطر اقتضتها مناسبة تفرّغه من مسؤولياته الإدارية، بعد أن خدم مليكه ووطنه ومجتمعه على أفضل ما تكون عليه الخدمة العامة، من نزاهة وإخلاص وموضوعية ووقار.

والمرجوّ أن يخصّ أبو مازن مكتبة الوطن بشيء من وقت فراغه، لتسجيل مرحلة مهمة من تاريخ كل موقع عمل فيه، وهو خير من يقدّر أهمية تسجيل المذكرات والذكريات والمعلومات في خدمة التوثيق الوطني بشكل عام.

الشيخ العنقري ولد عام ١٣٤٧هـ (١٩٢٨م) في بلدة ثرمداء، بإقليم الوشم، شمال غرب الرياض، وتخرّج في جامعة القاهرة عام ١٩٥٣م، ثم درس الإنجليزية والعلاقات الإنسانية في جامعتي كولومبيا وميامي، ثم عمل في وزارة المعارف وفي وزارة الخارجية، ثم أصبح وكيلاً لوزارة الداخلية، فوزيراً للإعلام مدة خمس سنوات، ثم وزيراً للعمل والشؤون الاجتماعية لمدة ثماني سنوات، ثم وزيراً للشؤون البلدية والقروية لستّ سنوات، ثم أصبح مستشاراً خاصاً لخادم الحرمين الشريفين الملك فهد

ابن عبدالعزيز، رحمه الله، منذ عام ١٤٠٩هـ (١٩٨٩م)، ثم أُعفي بناءً على رغبته في أواخر عام ١٤٢٦هـ (مطلع عام ٢٠٠٦م)، وله من الأولاد مازن وعبير.

وفقه الله حيثما كان، وأسعده في دنياه وآخرته.

(٣٨)

عبد الرحمن بن حسن القصيبي

مجلة «المجلة» العدد (١٣٥٩) بتاريخ ٢٧ محرم ٤ صفر ١٤٢٧هـ (٢٦ فبراير ـ ٤ مارس ٢٠٠٦م).



اسم معرفة، وأسرة لامعة، ذاعت شهرتها في الأحساء والبحرين بخاصة، وفي أنحاء الخليج والجزيرة العربية بعامة.

هي في الأساس عائلة تجارية، ترجم لها (مايكل فيلد) موثق أبرز البيوتات المعروفة في بلدان الخليج، لكنها لعبت دوراً سياسياً فاعلاً في أحداث المنطقة في النصف الأول من القرن الماضي بالذات، وكانت وثيقة الصلة بالأسر الحاكمة، وقامت مع أسر أحسائية أخرى بدور أساسي في تسهيل عودة الأحساء إلى الحكم السعودي وتخليصه من الأتراك (١٣٣١هـ - ١٩١٣م)، وكان بعض أعيانها يمثلون مصالح السلطان (الملك) عبدالعزيز في الأحساء ثم البحرين.

إن أمر علاقات السلطان عبدالعزيز في تلك الحقبة، كان - بالمناسبة - أمراً عجيباً، ففي وقت لم يكن يوجد في نجد من يتقن القراءة والكتابة في العقود الأولى من القرن الماضي، ولم يكن يتوافر في الديوان السلطاني مثقفون يكفون لتسيير الاتصالات والمخاطبات الخارجية، كان له ممثلون في شتى أرجاء العالم العربي والإسلامي، ينتشرون من جاوة شرقاً إلى مراكش غرباً، مروراً بالهند والبحرين والكويت والعراق وبلاد الشام ومصر، بل وفي أوروبا وأمريكا الشمالية، من أمثال القصيبي في البحرين، والفضل في الهند، والنفيسي في الكويت، والذكير والشبل

والمنديل في العراق، وفوزان السابق في مصر، والرواف في سوريا والريحاني في لبنان، يراسلونه ويزوّدونه بما كان يُنشر، ويمدّونه بما يطلب من عتاد أو مؤن أو أرزاق، وتحتفظ بعض هذه الأسر بمئات المراسلات بينها وبينه وكأنه لا يتخاطب إلا معها.

لكن أسرة القصيبي، مع الأسف، وبقدر ما نالته من الشهرة والمكانة السياسية والتجارية، لم تسع بالقدر الكافي، كما فعلت أسر ميسورة كُثر، إلى توثيق تاريخ رجالاتها الأوائل وأمجادهم، مع أن تاريخها كان مشرّفاً وناصعاً، بل لقد روى لي د. غازي القصيبي أن والده (شخصية هذا المقال) كان قد أوصى بإتلاف كل أوراقه من بعده، وأنه كان يمانع في تدوين سيرته وذكرياته إبّان حياته، فضاعت بذلك على الباحثين ثروة لا تُقدّر بثمن، وبقي ذكره متناثراً في بطون كتب التاريخ ومجلدات المطبوعات الصحفية المعاصرة له، بانتظار من يتصدّى لجمعها وتوثيقها.

أورد عنه د. غازي في كتابه: الغزو الثقافي ومقالات أخرى (الصادر عام ١٩٩١م في بيروت) وفي كتابه: حياة في الإدارة (الصادر في بيروت أيضاً عام ١٩٩٨م) فقرات تصف هيبته بعد أن وعاه في كهولته، وتدلل على الصفات الحازمة التي كانت تميز شخصيته، وكان مما نقله عنه، عندما ألح عليه بتدوين ذكرياته:

«هل تريدني أن أكتب ما يعرفه الناس جميعاً؟ فهذا لا قيمة له، ولا يستحق أن يُكتب أو يُقرأ، هل تريدني أن أذيع أسراراً هي عندي بمثابة الأمانات؟ وهو ما لا أستطيعه، هل تريدني أن أكذب؟».

إن الدعوة إلى تدوين تاريخ هذه الأسر، متى ما تمّ بموضوعية، فيه خدمة للمعرفة، واستكمال لجهد التوثيق الوطني، ومساعدة للباحثين عن الحقيقة في التاريخ السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي لهذه المنطقة، ولنا أن نتصور كيف صار الباحثون يعتمدون اليوم على مرجع أجنبي، مثل كتاب: التجار The Merchants لمايكل فيلد Michael Field، الصادر في ولاية نيويورك عام ١٩٨٥م، والمترجم إلى العربية عام ١٩٨٦م، وهو ما ساعد باحثاً سعودياً (محمد بن عبدالرزاق القشعمي) على كتابة مقال موسّع من جزأين عن أسرة القصيبي (نشرته المجلة العربية في عدديها رجب وشعبان ١٤٢٣هـ ـ سبتمبر وأكتوبر ٢٠٠٢م)، كما نشرت مجلة (الرجل) تحقيقاً مصوّراً عن أسرة القصيبي المعروفة حالياً (بفرعيها) ظهر في عدد سبتمبر ١٩٩٣م.

وتشير الكتابات القليلة المتوافرة عن منشأ أسرة القصيبي، ومنها ما جاء في كتاب مايكل فيلد، بأنها ظهرت من بلدة القصب المعروفة في منطقة نجد (قرب شقراء)، وكانت حينذاك تُعرف باسم أسرة الحسين، ثم نزحت ـ وهنا بدأت تكتسب اسمها الجديد ـ إلى حريملاء القريبة

من الرياض قبل أن تستقر في الأحساء، وأنها كانت على صلة تجارة واستقرار وثقافة مع الهند، حيث أقام بعض أفرادها بين بومبي والبحرين والأحساء، واكتسبوا من خلال إقامتهم في الهند بالذات بعض اللغات والعلوم الحديثة، وربما وُجدت أسر أخرى تحمل اسم بلد المنشأ (القصبي أو القصيبي) واستقرت في بلدات نجد وعسير وغيرهما.

ومن المعروف أن معظم آل القصيبي ينحدرون من جدهم القريب عبدالله الذي خلّف ثلاثة من الأبناء هم: حسن (المتوفي في حدود عام ١٨٩٠م)، ومحمد (المتوفي عام ١٩٢٠م)، وإبراهيم (المتوفي عام ١٩٣٠م)، وقد نزحوا جميعاً إلى الأحساء.

وقد خلّف حسن ثلاثة من الأبناء أيضاً وهم: عبدالله وعبدالعزيز (جد خالد القصيبي وزير الاقتصاد والتخطيط السعودي) وعبدالرحمن (شخصية هذا الموضوع ووالد د. غازي وزير العمل السعودي).

وقد عمل بعض رجال هذه الأسرة مبكراً مع «عمالة» جمع الزكاة، أو مع قوافل الجمال التي تنقل التجار والمؤن بين نجد والأحساء أو بين الأحساء وميناء العقير، وذلك قبل أن يقرروا الرحيل إلى البحرين والهند فيما بعد، ويمارسوا تجارة اللؤلؤ والمؤن ونحوها.

ويبدو أن محمد بن عبدالله القصيبي - السابق ذكره - كان الأقدم

في النزوح إلى البحرين (١٨٨٨م)، فالتحق بداية مع التاجر السعودي المقيم هناك آنذاك: عبدالرحمن بن عيدان، أما أخوه حسن فقد توفي مبكراً في أثناء موسم الحج، فتزوّج أخوه إبراهيم أرملته وأنجب منها حسن وسعد أخوين لأبنائه.

وفي حدود عام ١٨٩٨م، نزح أبناء حسن وهم: عبدالعزيز وعبدالله وعبدالرحمن (موضوع المقال) إلى البحرين للحاق بعمهم محمد، الذي قام بإيفادهم واحداً تلو الآخر إلى الهند، بغرض تعلّم اللغة الإنجليزية والتعرّف على تجّار اللؤلؤ، وشراء بضائع من المواد الغذائية، والمتاجرة فيها، وبهذا تكون صلات الأسرة مع البحرين والهند قد بدأت في العقد الأخير من القرن التاسع عشر.

أما بالنسبة للأخ الثالث إبراهيم، فقد بقي في الأحساء يمارس التجارة ويهتم بمزارع الأسرة، وكان أول من اتصل عام (١٩٠٦م) بالسلطان (الملك) عبدالعزيز بعد صعود نجمه حاكماً لنجد، وكوّن معه، ومع آخرين من أهل الأحساء، علاقة صداقة، مهدت الطريق فيما بعد للسلطان للاستيلاء على المنطقة (١٩١٣م) وضمها إلى دولته.

وفي السنوات اللاحقة، التي توثقت فيها صلة بيت آل القصيبي بالملك عبدالعزيز، اشتهر من هذه الأسرة خمسة وهم: عبدالعزيز وعبدالله وعبدالرحمن (موضوع هذا المقال) أبناء حسن، ومحمد وسعد أبناء

إبراهيم، أما بالنسبة لعلاقتهم بالملك وتمثيلهم له، فإنها تتراوح بين الشأن السياسي المتمثل بالاتصال بالسلطات البريطانية الحاكمة؛ وبين تأمين المستلزمات، أو إقراضه المال، أو استقبال الضيوف القادمين عبر موانئ القطيف والجبيل والعقير وتأمين سفرهم لمقابلة الملك في الرياض؛ وذلك فضلاً عن توفير التجهيزات الغذائية اللازمة لبعض الحملات العسكرية واللقاءات السياسية، كما قامت الأسرة باستقبال الملك أثناء زيارته للبحرين، وتتعدد الوثائق التي تدوّن كل هذه العلاقات.

ومن صور الدور السياسي التي أشارت إليها الوثائق، حضور عبدالعزيز ابن حسن القصيبي لقاء السلطان عبدالعزيز مع ملك العراق (فيصل) يوم ٢٣ رمضان المبارك عام ١٣٤٨هـ (١٩٣٠/٢/٢١م) في مياه الخليج على الباخرة (الطراد لوبين)، كما تشير الوثائق إلى مرافقة أخيه عبدالله للأمير (الملك) فيصل بن عبدالعزيز في رحلته الأولى إلى أوروبا (١٩١٩م).

لكن يبدو أن أخاه عبدالرحمن بن حسن القصيبي كان فيما بعد الأكثر بين إخوته ذكراً في الوثائق اللاحقة، وأصبح الأقرب تواصلاً مع الملك عبدالعزيز، وهو - كما هو معروف - والد د. غازي وإخوته السبعة الأكبر منه سناً، وكان قد عاش مئة عام وتوفي سنة ١٣٩٦هـ (١٩٧٦م)، بعد أن كان اتخذ من البحرين مقراً نهائياً لإقامته في العقود الثلاثة الأخيرة من حياته.

تدل الكتابات على أنه كان يتميز بشخصية جذابة، ويحافظ على أناقته، ويحيط بثقافة واسعة ويلم بالأردية والفرنسية والإنجليزية، وكانت له علاقات تجارية مع باريس.

وكانت الجريدة الرسمية السعودية (أم القرى) قد نشرت عنه في العدد (١٣٣) لعام ١٣٤٦هـ (١٩٢٧م) أخباراً تزامنت مع إقامته في مكة المكرمة، فقد اختاره الملك عبدالعزيز ضمن لجنة التفتيش والإصلاح، التي ضمت عدداً من الأعيان وأعضاء مجلس الشورى القديم لرعاية مصالح الناس وتأمين راحة الحجاج.

وذكر العدد (١٣٥٨، لعام ١٣٧٠هـ - ١٩٥١م) صدور مرسوم ملكي بمنحه لقب وزير مفوض في وزارة الخارجية تقديراً لإخلاصه، كما منح لقب وزير دولة في عهد الملك سعود (١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م).

ومن المعروف أن عبدالرحمن القصيبي، كان قد تزوّج في أثناء إقامته في الحجاز من بيت آل الكاتب وأنجب منها ابنه د. غازي وبعض إخوته وأخواته، وقد ذُكر عنه أنه كان اقترن بعشر زوجات في سائر البلدان التي استقر فيها.

كانت الجريدة قد أشارت في العدد (٢٧٩ لعام ١٣٤٨هـ - ١٩٣٠م) إلى اعتزام عبدالرحمن القصيبي - تاجر اللؤلؤ في البحرين والهند ونزيل

مكة اليوم كما وصفته ـ تأسيس مكتبة عمومية في مكة المكرمة وجعلها وقفاً للمطالعة والدراسة.

إن خبر تأسيس هذا الوقف يعيد إلى الذهن اهتمامه واهتمام أسرته كافة بأمر نشر الكتب وإعانة المدارس الخيرية، إذ يذكر المجتمع الأحسائي والبحريني أوجه الإنفاق التي كانت تخصص لهذه الأهداف، كما ذكر د. علي جواد الطاهر في كتابه (معجم المطبوعات العربية) وغيره من المؤلفين، نماذج من الكتب الدينية التي طبعت على نفقة عبدالرحمن القصيبي وإخوانه.

وبينما تُجمع آراء كل من عاش تلك الحقبة من تاريخ الخليج، على أن هذه الأسرة تُعدّ في مقدمة الأسر الخليجية ثراءً وبخاصة بين بيوتات البحرين حيث تتنافس مع عائلة كانو، إلا أنها تعرضت في الثلاثينيات الميلادية لهزة مالية أعقبت انهيار تجارة اللؤلؤ، مما تسبب في تفكك لُحمة هذا البيت التجاري وتقاسم الثروة بين أفراد الأسرة، واختيار كل شريك طريقه الجديدة في التخصص التجاري.

لكن ما نُشر حتى الآن لا يكفي لاستخلاص سيرة كاملة لرجالات هذه الأسرة، والأمر مايزال بانتظار جهد أصيل يغوص في الوثائق، و «ينبش» في الصحف والمجلات، ويفتش في الأوراق والمراسلات القديمة، بما فيها المخاطبات التجارية والشخصية، كما ينتظر تعاوناً أكبر من

أبناء هذه الأسرة ومثقفيها.

لقد عُرفت في القرن الماضي أسرٌ تجارية كثيرة في الحجاز ونجد والأحساء وغيرها، فبرز من كل أسرة رجال على درجة متقاربة في الشأن والأهمية، حتى إن بعضها اتخذ توقيعاً موحداً لاثنين أو أكثر من الإخوة أو أبناء العمومة الشركاء، وأصبح المتعامل معهم يكتفي بالعلاقة مع أحدهم بما يغني عن التفاهم مع الآخر، وكان المجتمع يطلق صيغة الجمع على الأسماء القابلة لصيغة الجمع من هذه الأسر، فيقال «القصابا والخراجا والقواضا والشبالا».. وهكذا.

اشتهر من شخصيات أسرة القصيبي في تلك الفترة التي يعنيها المقال (النصف الأول من القرن الماضي) أسماء عديدة ورد ذكرها مفردة أو بشكل جماعي في معظم الكتب والوثائق والتقارير والمقالات التي تناولت شؤون المملكة والخليج العربي في القرن الماضي، منها على سبيل المثال: كتابات روبرت أرنست تشيزمان وفيلبي ونجدة فتحي صفوة وحمد الجاسر وحافظ وهبة والمؤرخ والصحفي الكويتي عبدالعزيز الرشيد (في مجلة الكويت التي انتقل صدورها إلى البحرين عام ١٣٤٨هـ - ١٩٢٩م) وعبدالله شباط ود. عبدالله السبيعي ومحمد السماعيل وخالد البسام، فضلاً عن الوثائق الأجنبية بعامة والبريطانية بخاصة.



(٣٩)

صالح بن عبد الرحمن الحصين

الشرق الأوسط : العدد (٩٩٨٨) بتاريخ ٥/٣/١٤٢٧هـ (٣/٤/٢٠٠٦م).



يتناقل المجتمع السعودي منذ السبعينيات قصصاً ونوادر غاية في الظُرف عن تواضعه المتناهي إبان صلته السابقة بالوظيفة العامة، لدرجة لا أعتقد أن أحداً قد بلغها في بساطة العلاقة مع المواقع الرسمية المتتالية، وفي رقة التعامل مع الآخرين و «الحبابة» مع الناس.

من ذلك مثلاً: ما قيل من أنه قد أتى إلى الديوان الملكي بسيارة أجرة بينما كان في حينه يحتل مرتبة وزير، وقد أوقفه الحرس، لكن عبور الدكتور رشاد فرعون سهّل الموقف، وقصته مع والدته عندما أخبرها بأنه أصبح مستشاراً في الدولة فقالت له: خلف الله على حكومة تختارك مستشاراً فيها، أو رواية مراسل إمارة القصيم عندما قصده في مزرعته لإيصال دعوة لاجتماع عاجل في الرياض، فوجده وهو في ملابس المنزل، يُعيد ـ فوق السلّم ـ دهان جدران بيت المزرعة، وكان المراسل ظنّ أنه أحد عمّالها، ففوجئ بأنه «المطلوب» بعينه.

ذلكم هو العالم الورع، والقانوني الموهوب، الشيخ صالح الحصيّن، الذي ولد في شقراء عام ١٣٥١هـ (١٩٣٢م) من أسرته المعروفة في إقليم الوشم، وأتم كلية الشريعة في مكة المكرمة عام ١٣٧٤هـ (١٩٥٤م)، ثم نال الماجستير من مصر في الدراسات القانونية عام ١٣٨٠هـ (١٩٦٠م).

عمل مستشاراً في وزارة المالية والاقتصاد الوطني في عهد وزيرها الأمير مساعد بن عبدالرحمن، وأصبح في عام ١٣٩١هـ (١٩٧١م) رئيساً لهيئة التأديب ووزير دولة وعضواً في مجلس الوزراء، وكُلّف برئاسة شعبة الخبراء في المجلس.

ثم استراح من الوظيفة العامة فترة تقارب العقدين، تفرغ خلالها «للجوار» قرب الحرم النبوي الشريف، وللاحتساب في الدعوة، وكان يتسلى ـ كما سلف ـ بممارسة هواية الزراعة في القصيم ثم في المدينة المنورة بعد أن استقر فيها.

وكان قد أسهم ـ بخبراته القانونية ـ في تأسيس صندوق التنمية العقارية، وهو المصرف غير الربحي الذي أنشأته الحكومة منذ منتصف السبعينيات الميلادية، لتقديم قروض يُعفى المواطن من نسبة (٣٠٪) منها إذا ما أوفاها بانتظام، وتولّى الشيخ الحصيّن لفترة من الزمن رئاسة مجلس إدارته.

لكنه أُعيد إلى الخدمة العامة، في أشرف موقع يمكن أن يجمع فيه المرء بين سدانة البيت الحرام وخدمة الإسلام والمسلمين، ويظل حيث أمنيته بجوار الحرمين الشريفين، عندما كُلّف عام ١٤٢٢هـ (٢٠٠٢م) برئاسة شؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي.

في خلال هذه المسيرة، وقت الانشغال وحين التفرغ، كان الشيخ الحصيّن الباحث الجاد الذي لا تنقطع قراءاته واستنباطاته الفقهية، (وبخاصة في مجال الاقتصاد ونظرياته الإسلامية)، والداعية الذي لا تتوقف جهوده، والقانوني الذي لا ينفك من طلبات المشورة تنهال عليه من كل جانب، فترك بصمات واضحة في العديد من الأنظمة الدستورية المهمة التي صدرت في البلاد خلال العقود الماضية، كما تولى رئاسة العديد من المجالس العلمية والدعوية، وهو عضو فاعل في مؤسسة الملك عبدالله لوالديه للإسكان التنموي.

وعندما بدأت مسيرة الحوار الفكري في المملكة العربية السعودية عام ١٤٢٤هـ (٢٠٠٤م)، كان اصطفاء الشيخ الحصيّن رئيساً للجنة العليا لمركز الملك عبدالعزيز للحوار الوطني خير اختيار أضفى على المتحاورين مناخاً من الطمأنينة والموضوعية والاعتدال، ثم نال تكريماً رمزياً معبراً من جائزة الملك فيصل العالمية لنيل الجائزة مناصفة مع الداعية الكويتي الشيخ يوسف الحجي في خدمة الإسلام (١٤٢٧هـ).

الشيخ الحصيّن يلم بالإنجليزية والفرنسية، وعُرف بغزارة علمه وبثقافاته الحديثة، وبالفكر المستنير، وبالاجتهاد الرشيد، وبالزهد عن مغريات الدنيا، وبالتفاني في أعمال البر والتطوع لها.

يقول فيه عارفوه عن قرب، والمشاركون في ندوات الحوار الفكري المتعاقبة: **إن من طبعه الجنوح إلى الصمت، مغلّباً أن يحتفظ بآرائه ليبديها عند الطلب، وإن من عادته تلطيف مداخلاته بالطُرَف والأمثال، ومراعاة توجّه الأغلبية في الاجتماعات الإدارية التي يحضرها.**

وهو رجل دقيق المواعيد، يحرص على حضور الاجتماعات مهما كان مقر عقدها، وكثيراً ما يسافر للمشاركة فيها ويعود في اليوم نفسه، وهو في أسفاره يبتعد عن المظاهر، ويتنقل بالدرجة السياحية، ولا يكلف أحداً بمرافقته أو خدمته أو استقباله.

الشيخ الحصين شخصية ذات نسيج مختلف، يرى أن العمل الخيري والاجتماعي والإنساني أكثر إمتاعاً له من الوظيفة الرسمية، ومن المؤكد أنه لولا التزامه بإطاعة رغبة ولي الأمر لما قَبِلَ الوظائف الحكومية، وهو ينتظر اليوم الذي يُعفى منها، إنه، وأمثاله قلّة، مدرسة في نكران الذات، في زمن يعج بالكبرياء وتضخيم الإنجازات الشخصية.

أعرف من إخوة الشيخ صالح أخاه سعداً الذي يماثله كثيراً، فهو يشدو طرفاً من الثقافة والمعارف الشرعية والعامة، وينذر النفس للدعوة إلى الله، والانشغال بأعمال الخير والتطوع لخدمة الناس، كما أعرف شقيقهما المهندس عبدالله (وزير الماء والكهرباء السعودي)، الذي لا يقل عنهما فيما ذُكر من الشمائل والخصال الكريمة.

وللشيخ الحصين أربع بنات، وابن واحد، هو الدكتور عبدالله الأستاذ في كلية الهندسة بجامعة الملك سعود.

إنه جنس من الرجال خُلقوا من طين الحب والتسامح، وجبلوا على المروءة والخير، وتدثروا بعباءات التقشف، وطبعوا على الزهد والبساطة والإيثار، وهو في هذه البلاد رمز من رموز البر، وأئمة الوسطية والتعقل والاعتدال، وناشري لغة السماحة والحوار، وأحد ربابين العصمة من الغرق.

يتعب المرء في العثور على صيغة يصف بها هؤلاء الأعلام الراغبين عن وهج الأضواء، فالموضوعية تتوه أمام تواضعهم، والإنصاف يذوب عند نكرانهم لذاتهم، وجُمَل الإطراء تجرح جدران سمتهم، وتصطدم بأقواس خجلهم.



(٤٠)

حسن المشاري الحسين

لم يسبق نشره.



هو صاحب المقولة الشهيرة: «**إن أصدقاء المنصب ذهبوا مع الوظيفة، أما أصدقائي الحقيقيون فلا أزال معهم ولا يزالون معي**».

والواقع أن هذه حال بعض من كانت مناصبهم تجتذب أصحاب المصلحة، فهم يُخطب وُدَّهم، وتُدارى مشاعرهم، وتُؤيّد آراؤهم ومواقفهم، فإذا ما انتهت علاقتهم بالمنصب ينفضّ السامر ويتناقص الاهتمام أو ينفد، إلا ممن حازوا بقية من مروءة ووفاء.

الاستثناء من هذه الظاهرة ـ شبه القاعدة ـ مسؤول بنى مع المجتمع علاقة لا تكون الوظيفة محورها، موطّناً نفسه على الفرضيّة الحتمية بزوال المنصب يوماً ما، والواقع أن شخصية هذا المقال، هو من أولئك الذين كوّنوا لأنفسهم قاعدة اجتماعية عريضة من الاحترام، فحافظ على علاقة متوازنة مع محيطه، وتفاعل مع من حوله بعقلية راجحة ونظر بعيد .

إنك إذا ما أردت أن تصوّر شخصية الشيخ المشاري لغير عارفيه، فإنه يمكن اختصارها في ثلاث جُمَلٍ: وفاء مع نُبل، وثقافة نخبوية مستنيرة، وتهذيب يبعده عن الغرور.

فهو في وفائه يغمر أسرته ومحبيه وأصدقاءه بمبادراته الإنسانية والاجتماعية المتواصلة، ويحفظ الجميل لصانعيه، مهما طالت المسافة والسنين.

وهو في ثقافته يغرف من قراءة واسعة واطلاع متصل، وهو محاور يحترم رأي الطرف الآخر ويتمعن في وجهة نظره.

وهو في تهذيبه يصدر عن أدب جمّ، وبُعد عن المظاهر، وترفّع عن الابتذال، وانتقاء للتعبير والكلمات، لكن المهم في هذه الخصلة أنه يلتقي مع كثيرين ممن ورد ذكرهم من شخصيات هذا الكتاب في العزوف عن الأضواء، إذ حافظ على نمط هادئ من المعيشة إبان الوظيفة الوزارية وبعدها.

إن مسألة تجنب الحياة المشعّة بالأضواء، تتصل إلى حد كبير بتكوين الإنسان، ودرجة ثقته بنفسه، ومبلغ كرامته واعتزازه وتواضعه واحترامه لذاته، ولذلك فلا غرابة ألا تجد ترجمة مدوّنة للشيخ المشاري، وألا يعثر الباحث عن سيرته سوى مقابلة صحفية واحدة، أجرتها معه جريدة الجزيرة في العدد (٣٧١٣) الصادر بتاريخ ١٤٠٣/٢/٤هـ (١٩٨٢/١١/١٩م).

الشيخ حسن المشاري، ينتمي إلى أسرة أحسائية، نزحت من الدرعية ضمن الأُسر التي غادرتها بعد أن دمرها الغزو التركي على نجد عام ١٢٣٣هـ (١٨١٨م)، وهي تلتقي نسباً مع آل سعود ـ وفق الأستاذ عبدالرحمن الرويشد ـ في جدهم جميعاً إبراهيم بن موسى بن مانع المريدي (مؤسس الدرعية في حدود عام ٨٥٠هـ ـ ١٤٤٦م)، وقد أورد ذلك

الشيخ حمد الجاسر في كتابه: جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد، والشيخ حمد الحقيل في كتاب: كنز الأنساب ومجمع الآداب.

وُلد الشيخ المشاري في مدينة الهفوف بالأحساء عام ١٣٤٩هـ (١٩٣٠م)، ودرس في المدرسة الأميرية حتى نال الابتدائية عام ١٣٦٣هـ (١٩٤٤م)، لكنه انتقل بعد ذلك لمواصلة دراسته المتوسطة والثانوية في مدرسة تحضير البعثات في مكة المكرمة حيث حصل على التوجيهية (الثانوية) عام ١٣٦٨هـ (١٩٤٩م)، وكان من زملائه في تلك المرحلة الدكتور عبدالعزيز الخويطر وإبراهيم العنقري وعبدالوهاب عبدالواسع وأحمد زكي يماني وناصر المنقور، ثم واصل دراسته الجامعية في كلية التجارة (قسم المحاسبة) بجامعة القاهرة، ليحصل على البكالوريوس عام ١٣٧٣هـ (١٩٥٣م)، وما دمنا في الحديث عن الزملاء والأصدقاء، نجد أن الدائرة تتسع، حيث تعرّف على الكثيرين في أثناء دراسته في مصر ولندن وكاليفورنيا، وكان البعض منهم مرّ في ظروف مشابهة، وعمل في القطاع الخاص أو في الدولة مما يصعب معه الحصر والذكر.

عاد حسن المشاري إلى وطنه، وعمل سنة عملاً تطبيقياً في شركة أرامكو، يجرب فيه علي الواقع ما تعلمه في قاعة المحاضرات، ويتزود فيه من الخبرة ما يساعده على الدخول في عالم الدراسة العليا، وهو الأسلوب الأمثل الذي يأخذ به كثير من الدارسين في العقود المتأخرة.

لم تشغله وظيفته في أرامكو من التفكير في الغربة مرة أخرى لتحقيق طموحاته العلمية، حيث اتجه نحو بريطانيا هذه المرة ليقوّي معرفته باللغة الإنجليزية التي تعلم مبادءها البسيطة في المرحلتين الثانوية والجامعية، واكتسب بعضاً من مصطلحاتها التقنية في شركة الزيت، فقد رغب في تعلّمها على أصولها في أحضان أمها، لكن حرب السويس تثور وتتسبب في توجيهه وزملائه وجهات مختلفة من بينها أمريكا التي كانت من نصيبه.

وفي عام ١٣٨٠هـ (١٩٦٠م) حصل على الماجستير في الإدارة الصناعية من جامعة جنوب كاليفورنيا، ثم عمل لفترة وجيزة مديراً عاماً لشركة إسمنت اليمامة.

عند منتصف عام ١٣٨٠هـ (١٩٦٠م) دخل الشيخ المشاري السلك الحكومي وكيلاً لوزارة المالية والاقتصاد الوطني، وفي الوقت نفسه بدأ يُلقى محاضرات في قسم الاقتصاد بجامعة الملك سعود، ثم عُين وزيراً للزراعة والمياه بتاريخ ١٣٨٤/٢/٢١هـ (١٩٦٤م). وهي الوزارة التي ظل فيها طيلة حكم الملك فيصل (أحد عشر عاماً).

الفترة الطويلة نسبياً التي بقيها في وزارة الزراعة، فضلاً عن كونه خرج من بيئة زراعية لها تاريخها، مكنته من تحقيق إنجازات ملحوظة في مجال التنمية الزراعية، وبخاصة في مجال عون المزارعين وتحلية

المياه، وتوزيع الأراضي البور وبناء السدود، خاصاً بالذكر تطوير مياه عيون الأحساء، ثم تنفيذ مشروع مياه الري والصرف في الأحساء، وكان لولعه بالزراعة دور كبير في حبه لعمله ونجاحه فيه، وأذكر أنه أقام مزرعة في الخرج، تُعد نموذجاً للمنتجات الواعدة في بيئتها.

لم تكن المشروعات الزراعية الأهلية العملاقة قد بدأت في عهده، لكنه تبنّى مشروعاً كبيراً لاستصلاح مساحات زراعية واسعة من أراضي «حرض» مع حفر آبار لاستخراج المياه الجوفية العميقة، وتمديد شبكاتها، وهو مشروع تحوّل فيما بعد إلى ما يمكن أن يُعد «نواة» الشركة الوطنية للتنمية الزراعية «نادك»، وكان المواطن في تلك الفترة يلمس حضوراً واسعاً لوزارة الزراعة في العديد من نواحي الحياة المتصلة بالمياه والأبحاث الزراعية والغابات والمراعي وخلافها.

أما على الصعيد الاجتماعي، فإن للشيخ المشاري الكثير من الأعمال والمبادرات التي تُذكر له، ومنها دوره البارز في تأسيس نادي الفروسية وتطويره ورعايته، وفي تأسيس مدارس الرياض الأهلية المعروفة، وفي إنشاء الشركة السعودية للفنادق والمناطق السياحية، وأخيراً مشاركته في إقامة البنك السعودي الفرنسي، وقد أصبح بالنسبة للمشروعين الأخيرين أول رئيس لمجلس إدارتهما.

الشيخ حسن المشاري، رزق بثلاث بنات هنّ: منى وليلى ونورة، وهو أخو الدكتور عبدالرحمن المشاري طبيب أمراض النساء والولادة وصاحب المستشفى المعروف باسمه في الرياض.

لقد عرفته منذ أن كان وكيلاً لوزارة المالية، ثم توثقت الصلة معه في أثناء عمله في وزارة الزراعة والمياه، وهو كما هو منذ بدأت المعرفة، لم يتبدل، وله أسلوب لم يتغير، وصاحب دماثة وألطاف لم يتحول، وله من الطُّرف والنوادر والتعليقات ما يجعل حديثه لا يُمَلّ.

(٤١)

د. مطلب بن عبد الله النفيسة

لم يسبق نشره.



يلتقي مع نظيره الدكتور عبدالعزيز الخويطر في سمات عديدة، لعل من أطرفها أن المرء يلتقيه، وفي رأسه هموم الوظيفة وخفايا السياسة، ومع ذلك، فإنه يتقن صرف الحديث إلى موضوع جانبي لا يمت إلى ما في بال ملتقيه من توقعات.

وتحضر مجلسه أو تلتقي معه في دعوة، وربما جلست إلى جواره في حديث خاص، فترى حديثه يتجه إلى نوادر وقصص أو موضوعات لا يتوقع أن تكون محل اهتمام شخصية بحجم مسؤولياته، وهي، بلا شك، مهارة فائقة في الحفاظ على أسرار الوظيفة، وعدم البوح بها في محفل خاص، أو الخوض بها في جوّ عام.

بل ربما سُئل عن موضوع معين، فيُظهر بأن لا علم لديه أصلاً بشيء مما سُئل عنه، بينما الواقع أنه قد يعرف أدق التفاصيل فيه، وقد تراه في ذروة الانشغال في أزمة ما يعيش أحداثها، فتجده بارد الأعصاب، لا تبدو عليه مظاهر الانزعاج أو القلق أو التوَهان، وفوق هذا فهو من صنف لا يدَّعي الإنجازات لنفسه، بل غالباً ما يقلل مما عمل، وينسب ما تحقق لمن هو أعلى منه، وللجهود المشتركة مع زملائه، كل ذلك دون تملّق أو رياء.

شخصية بهذه السمات، وأمثالها، يظهر بين حين وآخر في دواوين الدولة،

يكون نادر الحديث إلى وسائل الإعلام، ولا يرضى بكشف مذكراته إن وجدت أو بالإفصاح عن ذكرياته، هذه الفئة من المسؤولين هم - في الواقع - مستودع أسرار الدولة، وخازنو معلوماتها، وهم العنصر الصنديد ذو الوزن الثقيل، الذي يحظى دوماً بالثقة وطول الاعتماد عليهم.

كم من الوقت - في أثناء كتابة هذه المقالات وقبلها - صرفته في التأمّل في سمات هذا الصنف من المسؤولين مع نقيضه، فاقتنعت أن كثيراً ممن اتصف بهذه المهارات، من مغالبة النفس على التواضع وعلى الصبر وكتمان المعلومات ونكران الذات، هو الأندر، وهو الأدْوم، وهو الأثقل وزناً والأكثر احتراماً وتقديراً في نظر المجتمع والمسؤولين، وهو تعميم لا يقصد به شخصٌ بعينه بقد ما هو استنتاج مقارب لواقع معظم من تطرَّقتْ إليهم هذه المقالات من الشخصيات العامة.

ولد الدكتور مطلب النفيسة في بلدة رياض الخَبْراء بالقصيم عام ١٣٥٦هـ (١٩٣٧م)، ودرس بعض الابتدائية فيها، ثم التحق بمعهد الرياض العلمي (أحد المعاهد التابعة حالياً لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية) وهو معهد يهيئ - في الغالب - لتخريج القضاة والمتخصصين باللغة الفصحى، وقد تابع في الوقت نفسه منهج المرحلة الثانوية وفق نظام وزارة المعارف من خلال مدرسة اليمامة الثانوية بالرياض حيث نال شهادتها عام ١٣٧٨هـ (١٩٥٨م)، ثم ابتعث إلى مصر ليحصل من

جامعة القاهرة على البكالوريوس في الحقوق.

بدأت علاقته بالوظيفة الحكومية عام ١٣٨٢هـ (١٩٦٢م) بالعمل مستشاراً قانونياً في مجلس الوزراء، ثم بتعيينه نائباً لمدير عام معهد الإدارة العامة المنشأ حديثاً في مطلع الثمانينيات الهجرية (الستينيات الميلادية)، كما بدأ في تلك الفترة بممارسة مهنة المحاماة عبر مكتب خاص.

ثم ابتعث للحصول على الماجستير والدكتوراه في القانون من جامعة «هارفرد» الأمريكية، وفي عام ١٣٩٥هـ (١٩٧٥م) عُيّن رئيساً لشعبة الخبراء في مجلس الوزراء.

وشعبة الخُبراء هي التي - ارتبط اسم الدكتور مطلب بها وبالعكس - أصبحت تسمى هيئة الخبراء منذ عام ١٤١٤هـ (١٩٩٤م)، هي الذراع القانوني لمجلس الوزراء، وهي كيان يتبع إدارياً لرئيس مجلس الوزراء، أدت وتؤدي وظيفة أساسية في تهيئة الأنظمة (القوانين) واللوائح التي تصدر من المجلس بحيث تأخذ الصيغة القانونية الدقيقة، وتتسق مع غيرها من الأنظمة ذات الصلة بها، وتشهد اجتماعاتها عادة جلسات للتنسيق بين الجهات الحكومية التي تتقاطع أو تتشابك مسؤولياتها التنفيذية عند تطبيق هذه الأنظمة.

وما من شك في أن هذه الهيئة التي تضم في تكوينها نخبة من المستشارين الشرعيين والقانونيين، قد أصبحت تتكامل في مسؤوليتها

مع ما ينتجه مجلس الشورى من أنظمة، سواء قامت بدراسة الأنظمة قبل عرضها علي المجلس أو العكس.

عُيّن الدكتور النفيسة منذ عام ١٤١٦هـ (١٩٩٥م) وزير دولة وعضواً في مجلس الوزراء، لكنه ظل لصيقاً بالعمل ذي الصبغة القانونية، في وقت تخلو الدولة من وزارة تُعنى بهذه الوظيفة، فهو مثلاً يمسك بشكل أساسي بملفات تتعلق بقضايا الحدود مع الدول المجاورة، ويُعدّ أحد الخبراء السعوديين المعتمدين في هذا المجال.

وهو عضو في المجلس الاقتصادي الأعلى، وعضو وأمين عام للمجلس الأعلى للبترول والمعادن، وعضو في العديد من المجالس التنظيمية والإشرافية، ومن بينها على سبيل المثال: مجلس الخدمة المدنية ومجلس الخدمة العسكرية ونحوهما، كما شارك في دراسة الأنظمة الأساسية الأربعة (النظام الأساسي للحكم، ونظام مجلس الوزراء، ونظام مجلس الشورى، ونظام المناطق) وكذلك الأنظمة القضائية والتجارية والمالية، حيث يُعد الدكتور النفيسة أحد أركان مراجعة مشروعات الأنظمة والقوانين المهمة في الدولة.

ومع مشاغله العديدة، وارتباطه بعشرات المجالس واللجان الحكومية، يحرص الدكتور النفيسة على أن يبقى قريباً من البيئة الأكاديمية، فقد مارس التدريس في معهد الإدارة العامة، وفي قسم القانون بجامعة الملك سعود، وله العديد من المؤلفات ذات الصفة التوثيقية والمنهجية (التعليمية).

لقد عرف عنه، وهو بهذه الشخصية التي عرض المقال لبعض أوجهها، مثابرته على إنجاز الأعمال الموكلة إليه، وهو يحضر إلى عمله مبكراً، ولا يخرج إلا بعد أن ينهي ما بين يديه من أعمال، ما لم يحتم عليه موجب ملزم مغادرة مكتبه.

كان من التقاليد التي حرص الدكتور النفيسة على تطبيقها في هيئة الخبراء، مما يُعد تنفيذاً لمتطلبات نظامها، لقاءٌ يومي صباحي يحضره كل يوم جميع المستشارين في الهيئة لمناقشة الموضوعات المدرجة على جدول أعماله، لقاء يتيح الفرصة للمستشارين الجدد بخاصة لسماع وجهات نظرهم حيال ما هو مطروح، بقصد تشجيعهم وتدريبهم، وكان يحرص على أن يحصل كل مستشاري الهيئة على أفضل فرص التدريب والتأهيل الأكاديمي، بما في ذلك الحصول على الماجستير والدكتوراه من الجامعات الكندية والأمريكية والأوروبية في الدراسات القانونية.

للدكتور النفيسة (٣) أبناء هم: خالد وفهد وعبدالله و (٢) من البنات هنّ: ندى ولمى.



(٤٢)

أحمد عبد الوهاب نائب الحرم

لم يسبق نشره.







كثير ممن تطرقت إليهم هذه الحلقات كانوا تحت الأضواء الكثيفة، لكنهم لم يكونوا يسعون إليها، فلقد تعرّضوا لها بحكم وظائفهم أو نتيجة اهتماماتهم، فلما تخلّوا عن مواقعهم لم يفقدوا توازنهم، ولم يسعوا لتصيّد فرص الظهور مرة أخرى.

شخصية هذه الحلقة، شغل رئاسة المراسم الملكية السعودية لمدة واحد وعشرين عاماً، وكان مثلاً بارزاً على هؤلاء، فلقد لازم الملك فيصل ثم الملك خالد ثم سنوات من عهد الملك فهد، وبحكم طبيعة عمله، كان نجماً بكل ما تعنيه الكلمة من بريق ووهج، لكنه، وللحقيقة، لم يتعمّد صناعتها لنفسه، كما لم يستثمرها للبروز، ولا يُعرف حتى تاريخه أنّ أحداً قد نجح في اختراق عزوفه هذا ففاز منه بحديث إعلامي، بل لقد كدت أجرح شيئاً من ودّ متبادل بمجرد أن أحس أن حديثاً هاتفياً معه كان سيؤدي إلى النشر، لولا أنني غلّفت الحديث معه بالتركيز على والده، وكان لسان الحال يقول:

ما أروع أن يكون المرء مصدراً للأضواء في يوم من الأيام، ويكون في الوقت نفسه الأزهد فيها، وكم تمنّيت أن يتعلم أولئك من هؤلاء لنخرج بخلطة واقعية النظرة، معتدلة التصرفات، «لا تخرق الأرض، ولا تبلغ الجبال طولاً».

كان السيد أحمد عبدالوهاب أحد جيل الشباب الذين جيئ بهم في الثمانينيات الهجرية (الستينيات الميلادية) حتى عرفت بهم وزارة ولي العهد الأمير فيصل في عهد أخيه الملك سعود (١٣٨٢هـ ـ ١٩٦٢م)، فعُيّن هو رئيساً للتشريفات الملكية.

وكان ـ بثقافته وجرأته وأناقته ـ «مفصّلاً» لهذا العمل الذي ظل يطلق عليه اسم «التشريفات»، منذ أن قرأنا لقب «تشريفاتي» الملك عبدالعزيز يطلق على فؤاد شاكر في منتصف الستينيات الهجرية (الأربعينيات الميلادية) أو ربما أقدم من ذلك، ثم غُيّر اسم هذا الجهاز المساند للديوان الملكي إلى اسم المراسم (المقابل للمصطلح الإنجليزي Protocol)، الذي اختاره السيد أحمد عبدالوهاب بعد أن ألح الأمير عبدالله بن عبدالرحمن، عم الملك فيصل وإخوانه، في عام (١٣٩١هـ ـ ١٩٧١م) على ضرورة تغيير اسم التشريفات.

إن التعرف على شخصية هذا المقال وعلى شيء من سيرته، يتطلب التمهيد بمعلومات عن حياة والده السيد عبدالوهاب نائب الحرم، الذي كان ولد في مكة المكرمة (١٢٨٣هـ ـ ١٨٦٥م) من أسرة حجازية كان لها شرف الإسهام في خدمة البيت الحرام، تتقاسمه مع سدنة البيت من آل الشيبي، ومع القائمين على سقاية الحاج (الزمازمة)، وكان قد نزح إلى تركيا ـ قبلة بعض الهجرات الحجازية في زمن الأشراف والعثمانيين،

أما لقب العائلة (نائب الحرم) فكان لقباً تركيّاً أطلقه العثمانيون للدلالة على هذه الخدمة الشريفة.

وفي أسطنبول أقامت الأسرة نحو ثلاثين عاماً، اكتسب فيها الأب عضوية مجلس المبعوثان (البرلمان التركي) نائباً عن منطقة عسير، وكانت الأسرة تقيم في حارة تقطنها أغلبية العائلات النازحة عن الجزيرة العربية، بما فيها أسرة الأمير محمد الثنيان آل سعود (والد الأميرة عفت حرم الملك فيصل)، ومن هنا بدأت الصلة بين الأسرتين.

القصة تطول، لكن الملك عبدالعزيز، بعد دخول الحجاز في حكمه، رحّب بكل المهاجرين من الحجاز ونجد والأحساء وغيرها، واستفاد من ثقافتهم وتعليمهم، وجعلهم في مراكز سياسية وقيادية في الدولة السعودية الفتيّة، وهذا ما حصل بالنسبة لعبدالوهاب نائب الحرم الذي كلفه الملك عبدالعزيز بتنظيم مالية عسير التي كان يتولاها آنذاك عبدالوهاب أبوملحة، وربما كان لمعرفته بتاريخ عسير في مجلس المبعوثان علاقة بهذا الاختيار والتكليف، لكن إقامته في عسير دامت أكثر مما توقع، فتزوج سرّاً من فتاة من الجنوب أنجبت (فيصل) أخاً لأحمد لم يقدّر له العيش طويلاً، ليبقى السيد أحمد وحيد والده ووالدته.

وبعد عودته من عسير إلى مكة المكرمة، يصبح رئيساً للمجلس البلدي بمكة المكرمة، وقد وثقته الجريدة الرسمية أم القرى في عددها

(٨٢ لعام ١٣٤٥هـ ـ ١٩٢٦م)، ويبدو أنه، بموقعه هذا كان يشرف على بلدية العاصمة المقدسة قبل تعيين عباس قطّان (عام ١٣٤٧هـ ـ ١٩٢٨م)، ثم عُيّن مديراً للأوقاف بعد أن فُصلت من وزارة المالية، لتكون مديرية مستقلة تشتمل على أوقاف الحرمين، وتستفيد من تاريخ العائلة في خدمة البيت العتيق (محرم ١٣٥٥هـ ـ مارس ١٩٣٦م).

وكان مما سجلته الجريدة الرسمية (أم القرى) أيضاً ـ والحديث دائماً عن الوالد عبدالوهاب ـ أنه كان عُيِّن عضواً في مجلس الشورى بمكة المكرمة ولمدة ثماني سنوات بدءًا من عام ١٣٤٦هـ ـ ١٩٢٧م)، وأنه كان قد اختير عضواً في لجنة الصدقات العُليا (العدد ٦٣٥ في ١٣٥٥/١١/٢٤هـ ـ ١٩٣٧/٢/٥م) وهي لجنة استمر فيها بشكل غير متفرغ حتى وفاته المفاجئة، كما يفهم من أعداد أخرى أنه كان أحد المرافقين المقربين للأمير فيصل نائب الملك في الحجاز.

لقد توفي، وهو يؤدي مناسك الحج (أثناء سعي الإفاضة يوم عيد الأضحى المبارك) عن عمر يقارب الثامنة والسبعين، ووثقت جريدة أم القرى نعيه (بالعدد ٩٣٩ في ١٣٦١/١٢/١٧هـ ـ ١٩٤٢/١٢/٢٥م)، ولم يكن له سوى أخت واحدة تزوجها الشيخ عبدالله الشيبي (نائب رئيس مجلس الشورى لاحقاً، وسادن الكعبة المشرفة).

وعودة إلى شخصية هذا المقال، ابنه السيد أحمد عبدالوهاب، يُذكر

أنه ولد بمكة المكرمة في عام ١٣٥١هـ (١٩٣٠م)، وكانت والدته إحدى بنات عمومة والده، وعاش طفولته في حارة «الفَلَق» المعروفة بمكة المكرمة، ثم درس الابتدائية والثانوية في مدرسة السَّعْديّة بالقاهرة، والتحق بجامعة القاهرة، لكنه لم يكمل دراسته فيها بسبب مرض والدته، واضطراره للعودة، فمارس التجارة فترة من الوقت، مشاركاً لكمال أدهم في شركة عرين، واكتسب عضوية الغرفة التجارية بجدة.

التحق بالعمل الحكومي في ديوان الأمير فيصل - نائب الملك في الحجاز - أيام كان الشيخ إبراهيم السليمان العقيل رئيساً له، وقد رافق بعض الرحلات المبكرة التي قام بها الفيصل بوصفه وزيراً للخارجية في عهد والده، ومنها لقاؤه بالرئيس الأمريكي آيزنهاور (في واشنطن ١٣٧٢/٦/١٦هـ - ١٩٥٣/٣/٢م)، ثم عيّن مديراً للتشريفات في ديوان ولي العهد (الأمير فيصل)، وعندما تولّى الملك فيصل مقاليد الحكم في ١٣٨٤/٦/٢٧هـ - ١٩٦٤/١١/١م) عُيّن رئيساً للتشريفات الملكية خلفاً لعبدالمنعم عقيل.

ظل أحمد عبدالوهاب في عمله هذا، فرقّي إلى المرتبة الممتازة في عهد الملك فيصل، وإلى مرتبة وزير في عهد الملك خالد، حتى أعفي بعد نحو ثلاثة أعوام ونيّف من عهد الملك فهد (١٤٠٥/١٢/٢٠هـ - ١٩٨٥م)، وله من الذريّة بنتان: نورة وسارة.

عرفت السيد أحمد عبدالوهاب عن قُرب عندما رافقت ـ لأول مرة في حياتي الإعلامية ـ رحلة الملك فيصل إلى مؤتمري القمة العربية الثاني وعدم الانحياز المعقودين تباعاً في مصر عام ١٣٨٤هـ (١٩٦٤م)، وفي ظني أن المراسم الملكية قد انتقلت تحت رئاسته إلى طور متقدم من الألق والهيبة والأناقة، وأدخل عليها ـ دون انتقاص لوضعها السابق أو اللاحق ـ الأصول الحديثة لصنعة المراسم، بما جعلها تجمع بين العبق الشرقي وملامح الأساليب العالمية المتبعة، وأحسب أنه وزملاءه قد استفادوا من المؤلّفات الصادرة عن تلك المدارس والمفاهيم.

يعلق في الذهن ـ من بين ما بقي فيه ـ إدخال فكرة الأوسمة (الوشاح) وتطوير نظام العَلَم، ووضع قواعد مكتوبة لحفلات الاستقبال والتوديع وكل المناسبات الأخرى، وكتابة مدوّنة ـ مطويّة ـ تُقْتَفَى عند زيارة الزعماء والضيوف.

وعودة إلى ما قيل في مطلع المقال، لقد كانت المراسم والتشريفات في عهده انعكاساً لشخصيته التي أضفى منها عليهما كل ما كان يملك من وهج وبريق وثقافة متنوّعة وصلات خارجية واسعة.

(٤٣)

د. سُلَيْمَان بن عبد العزيز السَّلِيم

لم يسبق نشره.



عرفته في مطلع التسعينيات الهجرية (السبعينيات الميلادية) من القرن الماضي، كان قد عاد إلى الوطن، حاملاً درجة الدكتوراه في العلاقات الدولية من جامعة جونز هوبكنز الأمريكية، وكان للتوّ قد انتقل من وزارة العمل والشؤون الاجتماعية - التي ابتعثته - إلى جامعة الملك سعود، لينضم إلى زملائه في قسم العلوم السياسية، في كلية التجارة، قبل أن يتحول اسمها إلى كلية العلوم الإدارية، وكان من بينهم آنذاك د. غازي القصيبي، ود. محسون جلال، ود. أسامة عبدالرحمن، ود. منصور التركي، الذين كانوا في طليعة أعضاء هيئة التدريس السعوديين في تخصصاتهم، وكانوا يقودون مع زملائهم في كلية الآداب - بخاصة - الحراك الثقافي النشط في حينه.

وكان كاتب هذه السطور للتوّ أيضاً عائداً بعد أن أكمل دراساته العليا واستأنف عمله في مجال الإعلام مديراً عاماً للتلفزيون، وقد قامت بين الطرفين ألفة خاصة، تمثلت في الاستعانة بطبقة المثقفين هؤلاء في تقديم بعض برامج التلفزيون وفي المشاركة في ندواته السياسية، كما نتبادل الصحف الأجنبية التي كان يحظى بها منسوبو الإعلام، وقد شاركتُ في حينه بمحاضرة، تحدثت عن عالم الأقمار الصناعية، بحضور طلاب كلية التجارة آنذاك، وهي المحاضرة التي تحدث عنها

د. القصيبي في كتابه: صوت من الخليج.

كان لإسهام د. سليمان السليم بوجه خاص، وعدد من أساتذة الجامعات في تلك الفترة، ومنهم د. عبدالرحمن الأنصاري ود. غازي القصيبي بالإضافة إلى الأستاذ عبدالرحمن السدحان، في تقديم البرامج الحوارية والثقافية والسياسية في التلفزيون، دور فاعل في الرفع نوعياً من مستوى برامجه عامة، وفي تشجيع غيرهم من المثقفين وحفزهم على التواصل معه، وتلبية احتياجاته، وشهدت تلك الفترة تسابقاً في التعاون مع الإعلام، على مختلف الأصعدة، وكان من بين ما قدمه الدكتور السليم في التلفزيون برنامجان: نحن والعالم وأضواء على الأنباء، وهما كما يبدوان من اسميهما، مواكبة للأحداث السياسية الجارية، يستضيف فيهما من الكتاب وأساتذة الجامعات من يتابع التطورات ويعلق عليها ويشرح أبعادها بجرأة معقولة في معيار تلك الأيام.

وكان د. سليمان أثار في مطلع التسعينيات أيضاً مناقشة لأوضاع صحافتنا، كانت مجلة اليمامة مسرحها، وشارك فيها الأمير سطام ابن عبدالعزيز وكاتب هذه السطور وغيرهما، وكان عنوانها: كي تكون لنا صحافة تُقرأ، وقد حملت مداخلته الصريحة في ذلك الحوار تعبير «برقطة» الصحافة المشتق من مصطلح «البيروقراطية»، للدلالة على أن الصحافة كانت تتعامل مع الخبر بأسلوب الروتين الحكومي

مطالباً بالانعتاق منه والتحرر من قيوده.

وقد استعانت به في تلك الفترة، وخلال عمله الأكاديمي، كل من وزارة الإعلام ووزارة المالية والاقتصاد الوطني للعمل فيهما مستشاراً غير متفرغ.

ومع أنه ظل وفياً للعمل الإعلامي، ومقدّراً لطبيعته وظروفه، ومتابعاً من الدرجة الأولى لما تبثه وسائل الإعلام الأجنبية، الأمريكية والأوروبية بشكل خاص، إلا أن تعيينه وكيلاً لوزارة التجارة في عام ١٣٩٤هـ (١٩٧٤م)، وفي العام اللاحق له وزيراً للتجارة قد بدأ يغرقه في بحر البيروقراطية، لكنه من حسن حظه رزق بوكلاء أعانوه على التخفيف من مظاهرها في وزارته، ذات المساس المباشر بمصالح المستهلكين والتجار على حد سواء، محافظاً على علاقة طيبة مع الطرفين.

إن من يعرف الدكتور السليم عن قرب لا يملك إلا أن يحترم فيه شخصية مثقفة واعية، صبورة، هادئة، ذات تفكير عقلاني، وذا طبيعة هادئة لا تأبه بالأضواء، ولا تتزلّف الثناء أو تنخدع به، بل إن المديح أصلاً لا يجد صدى في نفسه، ولذلك فإن من يحادثه يكبح جماح الإطراء في نفسه، وهو يعلم أنه أمام إنسان لا يعير مثل هذه المسائل شأناً.

وإن من يعرف شخصيته تلك، يدرك أنه يقف أمام إنسان قوي في الحُجّة، واضح في الرأي، مع أنه ـ في الوقت ذاته ـ يُؤثر التسامح، ويتجنب الصدام، وأحسب أنه يحمل قلباً لا يقوى أصلاً على المناكفات، دون التنازل عما يعتقده يصبّ في الصالح العام، وبالتالي فلا عجب ـ ولأسبابه الصحية ـ أن يبادر إلى طلب الاستقالة بُعيد تعيينه وزيراً للمالية والاقتصاد الوطني (١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م) التي لم يكد يدخل إلى مقدمة ردهاتها ولفترة قصيرة، حتى بادر بتفكيك هرمها، وإلى التخفيف من الأعباء التي تثقل كاهلها (كالإحصاء، والتجارة الخارجية، ومفاوضات منظمة التجارة العالمية، ومعهد الإدارة العامة، والاقتصاد الوطني)، بنقلها إلى جهات حكومية أخرى أقرب إليها.

لقد آثر الهدوء على الصخب، واختار الظل على الأضواء، فأنشأ لنفسه مناخاً خالياً من المنغّصات، يتابع فيه قراءاته، ويمارس رياضته اليومية، ويلتقي فيه بمحبيه وزائريه، ويرعى فيه شؤون أسرته، ويقوم بواجباته الاجتماعية، لكنه استبقى من الأعمال ما يتناسب والعيشة الوادعة التي اختارها أسلوباً ونمطاً لحياته، فهو ـ مثلاً ـ عضو في الهيئة الاستشارية لمجلس التعاون الخليجي منذ عام ١٤١٩هـ (١٩٩٨م)، ورئيس لمجلس إدارة مجموعة سامبا المالية منذ عام ٢٠٠٣م، وهو عضو في مجلس إدارة شركة الزامل للاستثمارات الصناعية منذ ذلك العام أيضاً.

هكذا سجل د. السليم اسمه بعزوفه عن المناصب والأضواء ضمن قائمة من الوزراء الذين ترجلوا عن الوظيفة في عز السنام، وحافظ على سمعته النزيهة ويده النظيفة، وبقي مرفوع الرأس، محترم الملفّ، ناصع التاريخ.

عاش د. السليم بعض طفولته في جنوب العراق، حيث كان والده يمارس التجارة في البصرة، وقد درس أبو باسل الابتدائية في مدرسة «النجاة» الشهيرة التي تكرر ذكرها في هذه المقالات، وله من الأبناء ثلاثة، ومن البنات مثلهم.



كشاف عام



(أ)

(ت)

(ث)

(ج)

(ح)

(خ)

(د)

(ذ)

(ر)

(ز)

(س)

(ش)

(ص)

(ض)

(ط)

(ظ)

(ع)

(غ)

(ف)

(ق)

(ك)

(ن)

(هـ)

(و)

(ي)

